



Bibliotheca Alexandrina

6018594









## فهرست الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي غردون وكثرت

| صحيفة                               | صحيفة                                 |
|-------------------------------------|---------------------------------------|
| ٣٣ الكتاب الاول من المهدي           | ٧ قيام دولة المهدي في السودان         |
| لمصطفى باشا                         | ٨ ذكر مقابلة المؤلف مع أمين بيت المال |
| ٣٤ الكتاب الثاني                    | ٩ ذكر ماغنه المهدي من الاموال         |
| واقعة كروبي وقتل الشيخ الهدي        | والذخيرة من الخرطوم                   |
| ٣٧ ذكر وفاته                        | ١٠ ذكر قتل قريش باشا الزين            |
| ٣٧ ذكر وفاته                        | ١١ ذكر مقابلة المؤلف للمهدي           |
| ٣٨ وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة | ١٢ مقابلة المؤلف للتعايشي             |
| ٣٩ حملة الجبال اول وقتله واقعة      | ١٤ ذكر دخول المهدي مدينة              |
| كر بكان                             | الخرطوم                               |
| ٤٠ واقعة أبو طليح                   | ١٥ القبض على المؤلف وسجنه في          |
| ٤٣ ذكر تعيين عبد الرحمن النجومي     | الخرطوم                               |
| لقتال الانكليز في التمة             | ١٦ ذكر أهالي الخرطوم بعد ذلك          |
| ٤٥ ذكر عودة الحملة الانكليزية الى   | ٢٣ ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين       |
| دنقلة                               | للمهدي ووفاته                         |
| ٥٤ ذكر فداء القسس والمسيحيين        | ٢٥ ذكر انتقال المهدي الي أم درمان     |
| ٥٥ ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار     | ٢٦ حوادث دنقلة                        |
| ٥٥ ذكر انتداب الشيخ حسين            | ٢٧ ذكر الشيخ الهدي                    |
| زهراء الى كسلا                      | ٢٨ ذكر واقعة الشيخ الهدي              |
| ٥٦ ذكر وفود عوص الكرم أبي           | مخبرات المهدي مع مصطفى ياو باشا       |
| سن زعيم الشكرية على المهدوية        |                                       |

| صحيفة  | صحيفة   |
|--|---|
| ٥٧ ذكر تميمين حسين باشا خليفة                              | ٩٧ شأن أهل الخرطوم بعد ذلك                      |
| داعية للمهدي في قبيلة العباددة                             | ٩٤ ذكر الاجتماع للعيد الاضحى                    |
| ٥٨ ذكر ضرب نخانة نفود المهدي                               | ٩٧ ذكر وفود الهنود على التمايشى                 |
| ٥٨ ذكر ختان أولاد المهدي                                   | ٩٧ ذكر انتفاض الاشراف وسليم الرايات             |
| ٥٩ ذكر تميمين حمدان أبى عنجه على جبال كردفان               | ٩٩ القبض على أمراء سنار وفرار الشيخ مقبضى       |
| ٦١ ذكر مرض المهدي ووفاته                                   | ١٠١ ذكر عصيان الجهادية بالايضى وقتل أمير كردفان |
| ٦٥ ذكر طرف من سيرة المهدي                                  | ١٠٢ ذكر أعمال أبى عنجه فى الجبال                |
| ٧٣ ترجمة التمايشى  | ١٠٣ ذكر اشخاص محمد خالد زكى من دارفور وسجنه     |
| ٧٦ خلافة التمايشى  | ١٠٤ القبض على أحمد سليمان أمين بيت المال وعزله  |
| ٧٨ أول أكاذيب التمايشى                                     | ١٠٧ الاشاعة بمودة الانكليز الى دنقله            |
| ٨٢ دعوة التمايشى أهالى السودان لاداء فريضة الحج بأمر درمان | ١٠٩ انقاذ عبدالرحمن النجوى الى دنقلة            |
| ٨٣ ذكر مسألة الشرعة من لحية المهدي                         | ١٠٩ انتفاض دارفور على التمايشى واخصاعها         |
| ٨٤ ذكر وقائع سنار وسقوطها                                  | ١١٠ ذكر لحاق قبيلة الشكرية بالحشة وقتل زعمائها  |
| ٨٧ حوادث كسلة وسقوطها                                      |   |
| ٩١ أول واقعة بين الدراويش والاحباش                         |   |
| ٩١ ذكر قتل المدر أحمد عفت ومن معه من القواد                |   |

| صحيفة  | صحيفة  |
|--|--|
| ١٤٨ ذكر ضرب نخانة التعايشي                         | ١١١ ذكر قبيلة الضبابية والقبض                          |
| ١٤٩ ذكر انشاء دار للخيرة والبارود                  | على زعيمها في الجهات الجنوبية                          |
| ١٥١ ذكر موت لبنين بك مدير بحر<br>الغزال            | ١١٢ ذكر انتفاض قبيلة جعينة                             |
| ١٥١ المقدم عمر الجعلي واستخراج<br>الرصاص           | ١١٣ ذكر حرب قبيلة الكبايش                              |
| ١٥٣ ذكر احراق عظام قتلى الخرطوم<br>ونبش القبور     | ١١٥ ذكر القبض على شارل نيوفيلد                         |
| ١٥٤ ذكر تخريب بلاد الجزيرة<br>وحشد أهلها بام درمان | ١١٧ ذكر حروب الاحباش الى قتل<br>النجاشي يوحنا          |
| ١٥٦ ذكر تخريب الخرطوم                              | ١٢٨ ذكر فتح قندر بالجيشة                               |
| ١٥٦ ذكر فرار المؤلف وارجاعه الي<br>أم درمان        | ١٢٩ وفاة أبي عنجه وولاية الزاكي<br>طمل                 |
| ١٦٣ ذكر احتراف المؤلف                              | ١٢٩ وبقعة القلابات و قتل النجاشي                       |
| ١٦٦ ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين<br>ابن التعايشي    | ١٣٢ شأن خطالا - راء مع المهدويين                       |
| ١٧٠ الكلام على الخراج والجبابة<br>والعمال          | ١٣٩ ذكر عزل محمد الخير من بربر<br>وموته                |
| ١٧٣ ذكر المختارين                                  | ١٤١ النور ابراهيم الجريفافوي وتجار<br>المصريين في بربر |
| ١٧٥ حوادث دقله وقتل ابن النجومي                    | ١٤٢ السودان الشرقي                                     |
|  | ١٤٤ ظهور المهدي أبو حمزة في<br>درا ففور                |
|  | ١٤٥ شأن التعايشي وقبيلة التعايشة                       |

| صحيفة                             | صحيفة                              |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| ٢٠٤ ذكر فرار الغزالي وقتله        | ١٨٠ زواج المؤلف باحدى نساء         |
| ٢٠٦ ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين    | التعايشي                           |
| بيت المال                         | ١٨٥ ذكر الميرالاي حسن البهنساوي    |
| ٢٠٩ ذكر بقية أخبار ابراهيم عدلان  | بك                                 |
| ومسألة مصادرة العاج               | ١٨٨ ذكر مآلتيه المؤلف في مقابله    |
| ٢١٠ حادثة العباددة والبعادهم      | بعض الامراء                        |
| ٢١٣ ذكر غارة العباددة علي أبو حمد | ١٨٩ ذكر نفى عبد القادر ابن أم مريم |
| وقتل سليمان نعمان قر              | ١٩٢ ذكر قصة المراتين               |
| ٢١٤ ذكر موت الحاج علي سعد         | ١٩٣ ذكر رسالة محمد ماهر باشا       |
| ٢١٥ ذكر موت عثمان آدم وتولية      | للدولف                             |
| محمود أحمد بدله                   | ١٩٥ ذكر مسألة الشيخ محمد عبد       |
| ٢١٧ ذكر صفة معيشة التعايشي        | الماجد وصلبه                       |
| ٢١٩ ذكر حادثة البطاحين            | ١٩٧ ذكر تشييد قبة المهدي           |
| ٢٢٢ شأن محمد خالد زقل بعد ذلك     | ١٩٨ ذكر المجاعة في في سنتي ١٣٠٦    |
| ٢٢٥ ذكر استخراج الرصاص            | ١٣٠٧                               |
| والنحاس والكحل من معادن           | ١٩٨ المجاعة في ام درمان والجزيرة   |
| حفرة النحاس                       | ٢٠٠ المجاعة في اقليم بربر          |
| ٢٢٥ ذكر بنات الجعلين              | ٢٠١ المجاعة في دنقلة               |
| ٢٢٦ ذكر انسحاب الجيش من           | ٢٠١ المجاعة في كسله                |
| القلابات                          | ٢٠١ المجاعة في القضارف             |

| صحيفة                              | صحيفة                           |
|------------------------------------|---------------------------------|
| ٢٢٧ ذكر غارة الزاكي طمل علي الشلاك | ٢٢٧ ذكر شأن نساء المهدي مع      |
| ٢٣٧ ذكر بقية أخبار عثمان دق        | التعايشي                        |
| ٢٤٢ ذكر هزيمة الدراويش من          | ٢٨١ ذكر سجن أولاد المهدي        |
| هندوب وأخبار أمارأر                | ٢٨٣ ذكر مؤامرة عبد المولى صابون |
| ٢٤٣ ذكر هزيمة عثمان دقته من طوكر   | على قتل التعايشي                |
| ٢٤٨ شأن عماد دقته بعد ذلك          | ٢٨٤ ذكر قدوم محمود أحمد من      |
| ٢٤٩ حالة السودان بعد ذلك على       | دارفور                          |
| الاجال                             | ٢٨٦ ذكر القبض على أمراء لعلين   |
| ٢٥٨ ذكر تعيين المؤلف وجماعة من     | وتفهم                           |
| المصريين أمراء                     | ٢٨٨ ذكر نفى الأمير أبي قرجه     |
| ٢٦٢ ذكر ملازمي الصلوات في          | ٢٨٩ عودة الى ذكر بيت المال      |
| الم د                              | ٢٩٢ ذكر سور أم درمان            |
| ٢٦٥ ذكر انتفاض الخليفة شريف        | ٢٩٥ ذكر قدوم الزاكي طمل من      |
| وأولاد المهدي                      | فشودة الى أم درمان              |
| ٢٧١ ذكر القبض على كبار حزب         | ٢٩٦ الزاكي في أبي حراز          |
| الخليفة شريف وقتلهم                | ٢٩٧ علائق التعايشي ومنليك       |
| ٢٧٥ ذكر القبض على الخليفة شريف     | ٢٩٩ ذكر سجن الزاكي طمل وقتله    |
| وحبه                               | بام درمان                       |
| ٢٧٧ ذكر القبض على عبد القادر       | ٣٠١ ذكر قتل صالح حسين خليفه     |
| ساقى ومحمد عبد الكريم وقتلها       | ٣٠٢ ذكر واقعة ( غوردت ) بين     |

| صحيفة                            | صحيفة                              |
|----------------------------------|------------------------------------|
| ٣٣١ ذكر تولية الشيخ الحسين       | الايطاليين والمهدين                |
| الزهراء القضاء وقتله صبوا        | ٣٠٣ ذكر احتلال الايطاليين كسلة     |
| ٣٣٥ خفراء السجن                  | ٣٠٥ ذكر ممسكرو صوبرى وأخبار        |
| ٣٣٦ الايام الاولى في السجن       | حامد علي وأحمد نيل                 |
| ٣٣٧ شارل نيوفيلد والمؤلف         | ٣٠٨ اجمال حال السوءان بعد ذلك      |
| مقرونان في قيد                   | ٣١١ ذكر قراءة الناس بالالواح       |
| ٣٣٨ أمير السجن في منزله ونسائه   | ٣١٣ ذكر بقية أخبار سلاطين باشا     |
| ٣٣٩ صلاة المسجونين               | وفراره                             |
| ٣٣٩ ضريبة ريال كل يوم على المؤلف | ٣١٦ ذكر نفي أحمد الفحل والذين      |
| ٣٤٠ النادرة العباسية في السجن    | ساعدوه على فرار سلاطين باشا        |
| ٣٤٢ ذكر ابطال القهوة             | ٣١٨ ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة    |
| ٣٤٤ ذكر اختتان المسيحية واجبارهم | من اعيان بربر                      |
| على تعدد الزوجات                 | ٣١٩ تمهيد في ذكر السجن ونظاماته    |
| ٣٤٦ ذكر سجن ابن المؤلف           | واطلاق اسم السائر على كل سجن       |
| ٣٤٨ التعاضى قبل حملة دنقلة       | ٣٢١ ذكر سجن المؤلف                 |
| ٣٥٠ جواسيس المهذوبة              | ٣٢٣ أول ليلة في السجن وأخبار اثنين |
| ٣٥٣ ذكر جلب المنوعات من مصر      | يدعيان النبوة                      |
| ٣٥٧ دنقلة قبل الحملة عليها       | ٣٢٦ انذار المؤلف بالاعدام          |
| ٣٦١ ذكر مسألة المقرّب مع التعاضى | ٣٢٧ ذكر قتل القاضى أحمد بن على     |

كتاب  
السَّيِّئَاتِ  
بَيْنَ يَدَيِ الْمُنْذِرِ وَكَرْسَانِ

ألف

أبراهيم فوزي باشا

الجُزْءُ الْإِلَّهِي

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٣١٩ هجرية)

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه. والصلاة والسلام على سيد رسله وأنبيائه. محمد وآله وصحبه وأوليائه

وبعد فقد انتهينا في الجزء الاول من كتاب (السودان بين كتشنر وغردون) الى آخر حادثة سقوط الخرطوم بقتل الطيب الذكر (غردون باشا) ووقوع البلد في قبضة المهدي ووقوعنا والحامية في أسره. وبقي أن نذكر من موضوع هذا الكتاب ما تلا ذلك فنقول وبالله المستعان

## قيام دولة المهدي في السودان

لما كانت مدينة الخرطوم عاصمة أقاليم السودان المصري فسقطها في قبضة المهدي صير السودان كله خاضعاً له ولا عبرة بأقليم ثقلة الذي كان وقشد مقر الحملة الانكليزية كما انه كانت توجد مدينتان لم تخضعا له بهما وهما مدينة سنار عاصمة اقليم سنار ومدينة كسلة عاصمة مديرية (التاكا) ومهما يكن من الامر فان حالة تينك المدينتين كانت منسدة بقرب بسقوطهما وسيأتي تفصيل ذلك كله في مكانه

بلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يوم سقوطها أربعة وعشرين ألف رجل وقتل الاطفال وكل ذكر ولو كان رضيعاً غير ان النساء لم يقتلن وابتدأت هذه المذبحة عند طلوع الفجر. وقبيل شروق الشمس أصدر الخليفة (شريف) الاوامر



بالكف عن القتل وأخرج السكان من منازلهم بملابس النوم وأصدر أمين بيت المال أمراً إلى الحاج خالد العرابي بالوقوف على باب الخندق لتفتيش كل خارج من سكان المدينة المدين أمروا بالبقاء في بقعة بين الخندق وممسكر ابن النجوى معرضين للبرد القارس والحر المحرق واستولى الدراويش على المنازل وفي اليوم التالي بدأ بتعذيب الناس حيث يستدعون صاحب المنزل وكبار أفراد عائلته إلى منزل الأمين ويتدوّن مكالمته بقولهم له حيث أنك كفرت بالله ورسوله وحاربت المهدي فقد أهدر الله ورسوله دمك وحرم مالك عليك وصيره حقاً للمهدي والمهدي عفا عن دمك ولا سلامة لك في الدنيا والآخرة إلا بتسليم جميع أموالك حتى الحيط والخياط وسواء أذعن لهذه الأكاذيب وسلم ماله أو لم يسلم فلا بد من ضربه الف سوط والمرأة نصفها وتوثق يده ورجلاه ويلقى على الأرض ويصب عليه الماء البارد في الليل وبقي السكان في هذا المذاب شهرًا حتى جمعت الأموال والامتنعة في بيت المال

ومن الحوادث التي وقعت يوم سقوط الخرطوم أن رجلاً اسمه (كريب) من أقارب المهدي ومن حراس الخليفة شريف الذين يطلق عليهم اسم (اللازمية) ومعه نحو عشرة من أقاربه دخلوا منزل رجل مصري اسمه إبراهيم له سبعة إخوة فقتلوا الثمانية وقتلوا المنزل فلم يجدوا به مالا وكان لإبراهيم غلام في التاسعة من العمر فاخفته أمه ونساء أعمامه في وسط الامتعة خوفاً عليه من القتل فمضوا به في غضون التفتيش وأخرجوه فترامت أمه ونساء أعمامه على اقدام كريب ورفقائه وقلن له أن والده وأعمامه النسبة قتلوا ففسألك بالمهدي إلا ما تركت لنا هذا الصبي فالتفت هن وقال كيف

تركه ونحن لم نجد في بيتكن ذهباً ولا فضة وكلكن نساء مسنات ليس  
بينكن من تميل النفس اليها ثم صاح برفقائه وقال قطعوا الصبي ثمانى قطع  
وأتركوا الكل واحدة منهن قطعة ولم يتم هذه العبارة حتى تناول رفقاه الصبي  
وقطعوه ثمانى قطع وألقوا لكل امرأة قطعة ومثل هذه الحادثة يمد بالآلاف  
ذكرنا منها هذه للدلالة على اخواتها

وأخذت النساء سبايا وأرسل أمين بيت المال بخو الف عذراء من بنات  
أعيان المصريين فاختر الممهدى منهن ثلاثين فتاة من فوات الحسن والجمال  
آباؤهن من وجهاء المصريين سكان المدينة ووزع الباقي على حرسه وذوى  
قرباته وكلهن كموالات بملك الميمن

وأرسل أمين بيت المال عدداً عظيماً من النساء الى عبد الله التمايشي  
فابقي لديه العذارى منهن ووزع الباقي على حراسه وذوى قرباته ايضاً وصار كلما  
قضى وطره من واحدة يهديها الى أحد رجال حاشيته

وأرسل أمين بيت المال أيضاً بمئات من النساء الى الخليفين على بن  
حلو ومحمد شريف وكان عملهما بهن مثل عمل عبد الله التمايشي. وكثير من  
أولئك النسوة امتعن من الفسق والمجون بهن فعذبن عذاباً اليماً وضربن  
ضرباً مبرحاً وحلفت شعور رؤسهن وكثير منهن فضلن الموت على  
الحياة ورأيت امرأة أحد الصناجق وهى تركية من جهة أيتها وسودانية من  
جهة أمها اتخرت تخلصاً من العذاب الذى نالها على أثر امتناعها من تسليم  
نفسها لعبد الله التمايشي وضربت امرأة الشيخ محمد السقا شيخ القراء فى  
الخرطوم وعذبت ستة شهور لامتناعها من تسليم نفسها الى عبد الله التمايشي  
والخلاصة ان عدد النساء اللواتي سببن لا يقل عن خمسة وثلاثين ألف فتاة

وشاهد ذلك امك تجد عند أصغر أمير من أمراء المهدي عشرين فتاة أما  
الامراء الكبار وأقارب المهدي فإن اللواتي يأخذهن كل واحد منهم يزيد عددهن  
على العشرين فتراهن ولا يظنن القارئ انهم يختلسون أولئك الفتيات بل يأخذونهن  
بأمر من المهدي أو أحد الخلقاء أو أمين بيت المال موضعاً في كل أمر اسم الفتاة  
واسم أبيها وجدها وأوصافها وأنها أعطيت لفلان فقيمة له يحل له وطؤها بملك  
اليمين ويجوز له بيعها ما لم تصر أم ولد ومن وجدت عنده من أتباع المهدي  
امرأة وليس لديه أمر بالبيانات التي شرحناها تصادر أمواله ويقبض عليه  
ويعامل معاملة سارق

وكان المهدي أصدر أمراً حظر فيه سبي كل امرأة لها بعل ولكن هذا  
الامر كان لا يعمل به الا اذا كانت المرأة طاعة في السن أو قبيحة المنظر لا تعيل  
اليها النفس وكان أمين بيت المال يمسك النساء ويفتشهن بعد خلع ملابسهن فن  
وجدت سليمة من العيوب أخذت ومن وجد بها عيب انهرت وطردت  
هذا يجعل مافعله المهدي بسكان الحرطوم من جهة الاموال والاعراض ذكرته  
بناية الايجاز لا تتي اذا تقيمت التفصيل أفتيت الاعوام. دون أن أوفي حق المقام  
وأصدر المهدي منشوراً قال فيه ان جميع الذين خرجوا من قفرة  
الحرطوم اي ( خندق ) الحرطوم لا يمتد زواجهم شرعياً لانه حصل في زمن  
الفترة التي كانت قبل بئته وأمر بمقد زواج كل زوجين من أولئك الاسرى  
واذا كان في المرأة شيء من الحسن أو بقية من الشباب لا يستأنف عقد زواجها  
بل تؤخذ غنيمة

وكتب أمين بيت المال الى المهدي يستفتيه في أنه وجد بالحرطوم عتيق  
أعتقهم مواليم قبل فتح المدينة بزمن بعيد فهل يعاملون كالأحرار أو الأرقاء

فأجابهم بأن الذين اعتقوا كذا لا يتبرعتهم وأمره بمعاملة أولئك المتق  
معاملة الأرقاء

### ذكر مقابلة المؤلف مع أمين بيت المال

ذكرت أنني أسلمت نفسي ومن معي من الجنود في منتصف النهار  
فتقبضوا علىّ وأوثقوني كئافاً وساقوني إلى أمين بيت المال يحيط بي نحو مائتي  
نفر من الدراويش شاهرين سيوفهم وكلهم يصيحون بي ويقولون يا كافر  
ياعدو الله فالنبيته بمنزل أبي بكر الجار كوك أحد أعيان المدينة ووجدت المنزل  
مملواً بالنساء وهو مشغل بفرزهن

ولما أوقفت بين يديه كان مشغلاً بالنظر إلى فتاة فتاة وهي مجردة من  
ملابسها ويدها خرقة تستر بها عورتها وهو يقلبها يمنة ويسرة والدموع  
تساقط من جفونها وهي تقول : رضينا بقضائك يا الله ونبذلان فرغ من  
أمر الفتاة التفت نحوى وقال أعوذ بالله من هذا الوجه الأبيض ثم التفت  
للحراس الذين حولي وقال لهم من هو هذا الكافر فقالوا هو إبراهيم باشا  
فوزي فقال لماذا لم تقتلوه فقالوا تركناه ربنا يظهر أمواله وأموال غردون  
والحكومة ثم صاح بي وقال دلنا يا كافر على هذه الأموال قتلنا أن أموالنا  
أخذت من منزلي وأنا أموال غردون والحكومة فلست موكلاً بحفظها ثم  
استل سيفه من غمده وتقدم إلى وقال هذا الكافر لا يظهر هذه الأموال  
وقتل خير من استحيائه فأمسكه من حوله وقالوا له أرجئه ربنا نمذبه أو يدلنا  
على الأموال ثم صاح بالبيد فطرحوني على الأرض وجلس واحد منهم  
على رأسي وأمسك أشناق السياط وضرباني حتى كلت سواعدها فأبدلا

بأثنين آخرين حتى سال الدم من جسعي فقلت لهم ليس لردون مال وليس  
للحكومة مال غير أوراق البون

وبعد ان تمزق جسعي زجوني في السجن وبقيت ثلاثة أيام فيه يسوقوني  
للاستنطاق والضرب في كل غدوة وروحة

وفي اليوم الثالث أخرجوني من السجن موثوق الكتاف بحيطا بي  
الحراس وأرسلوني الى منزل فوجدت به أحد الامراء المشهورين بالورع  
والتباعد عن غل الثنائيم فجمع أمتعتي وكتبها في ورقة عرضها علي فلم أجد  
شيئا مفقودا منها ثم قال لي ان الاموال الظاهرة كلها استوليت عليها ولم يبق  
غير ما يخفي في بطن الارض فقلت اني لم أخف شيئا في بطن الارض فأخذ  
يوعظني تارة ويهددني أخرى وآتا يسب علي بالسيف فقلت له اني لم أخف  
شيئا ولم يكن لدي مال غير ما استوليت عليه فساقتني ومسى ماخف حمله من  
الامتنعة الذهبية والفضية والنقود وبعض حلي مجوهره الى أمين بيت المال  
فلما نظرتني قال كيف أبقيتم هذا الكافر حيا حتي الآن فقال له الامير نحن  
نؤجل قتله حتي يظهر لنا أمواله وأموال غردون والحكومة ثم قال أمين بيت  
المال لذلك الامير ألم يك عنده نساء فقال له عنده محظيتان حبشيتان أخفتهما  
لنفسى فقال أمين بيت المال كيف تأخذها قبل عرضها علي وأخذ الاذن  
بهما منى فأجابه الامير اني أخفتهما بسيفي ولا أطلب من بيت المال غيرها  
فبارك لي فيما فقال له قد باركت لك فيهما وملكتك اياها فشكره وأنا واقف  
وساعداي موثوقان كتافا

ثم تقدم أمين بيت المال الى الصناديق التي فيها امتعتي وقتحها فوجد  
ضمنها صواني وطواقم للقهوة والشاي مصنوعة من التبر على طريقة صناع الخرطوم

الماهرين وهي عبارة عن اسلاك مسبوكة يتألف منها كل واحدة من  
 تلك الاواني فالتفت الى أمين بيت المال وقال لي يا كافر يا عدو المهدي ومحارب  
 انصاره لما اذا اتلفت ذهب المهدي وفضته وصنمها أواني مثل ما يصنمه الكفار  
 فقلت له اني صنعت ذلك لما كان هذا التبر ملكا لي ولما صار الآن ملكا  
 للمهدي فانه يصنع به ما يشاء فقال لي من أين لك انه كان ملكا لك مع انك  
 محارب للمهدي وكل ما في الخرطوم ملك حرسه حتى الارواح وضربني  
 بسوط كان في يده ضربتني على رأسي حتى خضب بالدماء وجيئ ثم قال خذوه  
 الى الامير ابني قرجة ليريمحه من الدنيا . فاخذت بحالة لا أستطيع وصفها حيث  
 كان يحيط بي نحو ثلاثمائة درويش شاهرين السيوف والحراب حولي وهم  
 يصيحون يا كافر يا عدو الله حتى بلغت منزل أبي قرجة وكان نازلا بديوان  
 المديرية فالتفت بالبواب جماعة غفيرا من الناس وسمعت قهقهتهم من البعد وهم  
 مزدهمون فادخلوني على الجمع المتكوف فنظرت رجلين مجردين من ملابسهما  
 فامنت النظر فيهما فاذا احدهما حامدا أغا صالح أحد الصناجق وهو ابن صالح  
 بك الملك صاحب فدا سي الذي تقدم لنا ذكره والثاني من ذوي قرابته والدرأويش  
 يطمنونهما بالحراب طعنا لا يجل موتهما فابقت اذ ذاك انهم سيفعلون بي  
 مثل ما يفعلونه بهذين الرجلين وأخيرا سقط الرجلان مضرجين بالدماء على الارض  
 وتطاير دمهما على وجهي وأصاب ملابسني فاجهزوا عليهما وكان ايقافي لمشاهدة  
 ذلك المنظر القبيح بقصد ارهايي لادهم على ما يطلبونه ثم ادخلوني على  
 أبي قرجة فاستدأته بالتحية فرد باحسن منها فاطمأن خاطري بما توسمت  
 فيه من البشاشة فالتفت الى الحراس وقال لهم من هذا فتقدم رئيسهم اليه  
 وأسر اليه قولا لم اسمعه فالتفت الي بسكينته وحنان وقال فكوا وثاقه فقبلوا

وأمرني بالمرس على الارض فجلست وكنت وقتئذ في أشد حالات الظأ وآلام  
 الضرب فقلت له ياسيدي الامير أأتجاسر بطلب شربة ماء قبل المات فقال لي  
 «أبشرك بكل خير» وأمر أحد غلمانه باحضار شراب من العسل ممزوج بالماء  
 فقدمه لي فتناولت جزءة منه لم تظم بسد الظأ واشتدت بي الحاجة الى طلب الماء  
 فاعدت عليه الرجاء بطلب الماء فأمرني بماء ممزوج بشيء من خبز الذرة اسمه  
 (الابريه) ينذني ويزيل الظأ فتناولت منه بقدر الحاجة وبعد برهة خاطبني وقال  
 ان الدنيا قانية وان زمن المهدي ليس كما تقدمه من الازمان وان المال أصبح  
 ملكا له ومن اخفاه عنه وقع في غضب الله فقلت له ياسيدي ليس لي مال  
 غير ما أخذ مني وغردون لامال عنده والخزانه الاميرية ليس فيها غير  
 أوراق البون فقال تخلف بي بالله العظيم فقلت احلف بالله انني ما قلت الا الصدق  
 فرفع صوته وقال للحراس الذين جاؤا بي ارجعوا من حيث جئتم فان الرجل  
 صادق فيما يقول واحذروا من ان يمس أحد بسوء واعلموا ان من مسه بالماء  
 أسسه بالسلاح والتفت الي وقال لا بأس عليك لهدأ روعك فانت آمن من كل  
 سوء ثم أمرني بالبقاء في منزله فبقيت به ليلتين كان يقدم لي الغذاء الكافي في  
 خللها وكان كريما يأكل معه نحو ثلاثين رجلا من خواصه وكانوا يقدمون لي  
 الطعام منفردا فاستعطفني في ذلك وقال انه لا يمنعه من تناول الطعام معي غير  
 شيء واحد وهو انني لم أقابل المهدي ولم آخذ عيه البيعة فظهرت له رغبتي في  
 ذلك وانني أصبحت لا أطلب غير شؤولي بعفو المهدي وتمثي برضاه عني

ذكر ما غنمه المهدي من الاموال والذخيرة من الخرطوم  
 كان سكان الخرطوم أغني أهالي السودان واكثرهم مالا ولما أحسوا

بقدم المهدي عليهم هجرا أكثر من الخرطوم ولحقوا بمصر وكانوا من الطبقة الرفيعة جداً وأرسل أكثر التجار أموالهم الى مصر وغيب الباقون أموالهم في بطن الأرض ولما قتلوا يوم سقوط المدينة ذهبت ولم يمتد أحد لحملها ولذلك يقول المارقون إن أكثر الاموال مودعة في بطن الأرض ولم يحصل بيت المال على شيء يذكر من المال. ومن المؤكد ان الامراء كانوا لا يقدمون الى بيت المال أكثر من ربع ما يمترون عليه ومع ذلك كله بلغ ما اجتمع في بيت المال نحو ثلاثمائة الف جنيه ونحو ثلاثمائة الف ريال من الهندي والنمساوي ونحو ثلاثين قنطارا من الذهب المصنوع حلياً ونحو اربعمائة قنطار من الفضة أما أثاث المنازل والرياش والملابس فانها لا تدخل تحت حصر وقد جمعت تلالا يخالها الرائي جيالا

وأما الاسلحة فانها مدفان من كروب و٣ مدافع مترالبوز و٢٠ مدفعا جياليا و٦ آلاف بندقية رامنجنون جيدة و٤ آلاف بندقية رامنجنون بها خلل وكانت مودعة بالمخازن وعدد لا يدخل تحت حصر من البنادق ذوات الطلقتين ومن طراز آخر قديم وأما الذخيرة فكما يأتي ٢٠ قنبلة لمدافع الكروب أما المدافع الجبلية فقتالها موجودة بكثرة و١٠ آلاف صندوق مملوءة بالخرطوش و٨ آلاف اناة (برميل) مملوءة بارودا

### ذكر قتل فرج باشا الزين

لما دخلت ميسرة الدراويش من مينة خندق المدينة كان فرج باشا الزين قومندان الحامية وقتئذ واقفا عند باب المسلية فتكر ولبس ملابس



جندى بسيط وحذا حذوء القاتمقام سرور بهجت بك واختلا مع الجنود  
السود وخرجا من باب المسلمية فامسكهما حراس ذلك الباب من الدراويش  
وقتشوها ولدي فتشيهما ارباب الحراس في أمرهما حيث وجدوا عندهما  
ساعتين من الذهب وسلسلتين ذهبيتين ثم وجدوا مع فرج باشا خاتمه المنقوش  
عليه اسمه وكذلك سرور بهجت بك فقبضوا عليهما وأوتقوها كتافا وأرسلوها  
الى أمين بيت المال الذى أرسلهما الى عبدالله التماشي وهو أمر بضرب  
عنقهما فضربا وكان ذلك في اليوم التالى لسقوط المدينة  
وذهب كثيرون من الناس أن لفرج باشا الزين يدا في سقوط المدينة  
وانه كان خائنا والحقيقة انه لم يخن ولا يده له الأتية في أمر سقوط المدينة غير  
انه كان كسولا يميل الى الراحة ويفر من التعب سبي الادارة  
على ان الذى دعا غردون لتوليته هذا المنصب كونه سودانى الاصل وربما  
كانت توليته تجذب قلوب بني جلده الجنود السود لما صدته نغاب ظن  
غردون فيه ولم يتحقق شيء مما كان يؤمله فيه وصراعاة للظروف ابقاء في  
وظيفته التي كان يحث بك بطراق يابرها بدلا عنه

### ذكر مقابلة المؤلف للمهدي

قلت ان الامير أبا قرجة اطلقني من الوثاق وسكن دومي وآواني في  
داره ليلتين ثم أرسل معي مندوبين حافظوا على واجتازوا النهر معي حتى  
أوصلوني الى منزل يوسف منصور قومندان طوبجية المهدي وأبانه المندوبون  
ان أبا قرجة أرسلني له ليقدمني للمهدي فقضيت تلك الليلة في منزله وفي ظهر  
الغد رافقني الى دار المهدي ومنا السيد بك جمعه مدير القاشر فالقيناه

قد فرغ من صلاة الظهر والناس متكوفون حوله وهو ينظمهم فتقدم يوسف منصور اليه وقال له يا سيدي الامام المهدي هاهو ابراهيم فوزي قالت انت الى بوجهه باش وقال يا ابراهيم فوزي اتني امرتك منذ كنت حاكما في مقاطعات البحر الابيض فلماذا ركنت الى الكفار ولم تسلم لي اولم يكن الواجب علي مثلك اجابة دعوتي فقلت يا سيدي اتني من كبار قواد الحكومة ولا يليق بي ان اتركها في اوقات الشدة وسوديات الازمة وكما اتني وفيث لها فسأوف لك أيضا فتبسم وقال لي قد عفوت عنك وأمرني بالدنو منه فدنوت فباينني ييمته المعلومة ثم نزع مرقته وقدمها لي فلبستها وكان ذلك دليلا على منتهي رضاه عني ثم انصرفت فاحاط بي الناس ليتبركوا بلثم جبة المهدي وبعضهم ناظم على نوالي هذه المنة فكان فريق من الناس يقصدون ثم تلك الجبة وآخرون يقصدون ايذاي بالاكهم وأخيرا خلعت لهم الجبة ليتبركوا بها ووقفت بعيداً وكانت الشمس محرقة حتى اجتاز بي كبير من الاسراء فتقدمت نحوه وسألته ان يساعدني على ارجاع الجبة ففعل ولما دفعها لي أخذتها ووضعها على رأسي ثم لبستها وتوجهت قاصداً منزل يوسف منصور الذي نجما بنفسه وتركني وسط جموع المتبركين واللاكين وتبعني في الطريق عدد ليس بقليل وكلهم ناقلون على نوالي هذه المارقة . ثم أبليت ان المهدي أمرني بعلاءة للنطاء وانا طبخ الطعام وقصصة للأكل وجارية رأيت منها التذمر وعدم الرضى بالبقاء عندي فبعتها بمشرين ريالاً

### ذكر مقابلة المؤلف لعبد الله التعايشي

لما انصرفت من دار المهدي وعدت الى منزل يوسف منصور قال لي

لا بد لك من مقابلة عبد الله التمايشي قتل له بلقي ان هذا الرجل مشهور  
 بالقسوة واني أخاف على نفسي منه فقال لي يوسف انه كذلك ولكن اذا  
 بلغه انك قابلت المهدي ولم تسع لمقابله كانت الماقبة اسواق قبيلات مشورته  
 وفي الند صاحبني يوسف منصور والسيد بك جمعه الى دار التمايشي الذي  
 مكثنا ننظر غروجه علينا ست ساعات وفي منتصف النهار خرج علينا واذا هو  
 رجل نحيف الجسم بوجه أثر الجدرى وملابسه مرقعة رثة بالية فابتدره يوسف  
 منصور بالتحية فرد عليه ثم قال له يوسف منصور يا خليفة الصديق هذا  
 ابراهيم فوزي من الخرطوم ففانعه المهدي وبايمه فجاء يطلب غفوك أيضاً  
 فالتفت الي بوجه عبوس وقال ما هذا ثم التفت لمن حوله من الدراويش  
 وقال لهم ألسن أمرتكم ان لا تتركوا اذا شارب أو ملتحمين من الذين دخلتم  
 عليهم في الخرطوم ثم قال ليوسف منصور ماهي وظيفة هذا الكافر في  
 الخرطوم فتلمس يوسف منصور وتوقع شرا يصيبني وقال له انه كان ملازما  
 بيته وكان فردون ينفذه فقال التمايشي للسيد جمعه ماهي وظيفة هذا الرجل  
 فقال كانت وظيفته (باشا) فقال التمايشي (كان باشا الشونة) ومنذ ذلك  
 فهمت ان لفظة الشونة كلمة عظيمة جداً عندهم ثم قلت له ياسيدي خليفة  
 الصديق ان سبب نجاتي من القتل هي تعلق قلبي بمحبتك ومحبة سيدنا  
 الامام المهدي المنتظر وان أنوارك وأنوار المهدي هما كالنا سبب نجاتي واني  
 أحمد الله على منته على بمشاهدة نورك ونور المهدي وقد صرت الآن لا اكره  
 الموت لانماسي في ذلك النور فاطرق الى الارض ورفع رأسه وقال يا يوسف  
 منصور قد دفوت عنه ثم انصرفنا عنه وعدت الى منزل يوسف منصور  
 وصنعت لي كوخاً من الحشيش بجوار منزل يوسف منصور الذي قال لي بعد

انصرافنا من عند التمايشي اذهب بنا لمقابلة الخليفين علي بن حلو ومحمد شريف  
فقلت له اني لاقيت من التمايشي مالاقيته فليت شعري ماذا الاقي من الخليفين  
ثم قلت له لا اذهب اليهما البتة وقد كان من امرى معهما اني ماصاغت  
واحداً منهما ولا اجتمعت بهما حتي من الله علي بالخلاص من أسر المهديونية  
والحمد لله علي كل حال

### ذكر دخول المهدي مدينة الخرطوم

في يوم الجمعة ١٣ ربيع الثاني ركب المهدي وخلفاؤه الباخرة (إسماعيلية)  
واجتاز بها النهر الى الخرطوم ثم قصد المسجد وصلى فيه فريضة الجمعة ثم خرج  
بعد الصلاة وقصد سراي فردون ثم تفقد الترسانة والجبه خانه وكشبه أسراً  
الى خاله طه محمد بتوليته ناظرآ على الترسانة وأمره بجمع العمال الذين كانوا بها  
واعادة الاعمال فيها وفوض الى عبيد الله التمايشي أمر حراسة الجبه خانه  
فانتدب لها رجلاً اسمه عبد الرحيم الطريفي وأمره بجمع العمال واعادة الاعمال  
فيها مثل تهيئة الخرطوش واعداد آلات الحروب واصلاح كل متخرب من  
البنادق التي في مخازنها ثم زار أمين بيت المال وليت عنده برهة قدمت له  
في خلالها المرطبات والقهوة فتناول القهوة ومزجها بالحلوى ليظهر للملازمهده  
وعدم اعتناؤه بالطعام فقال له أمين بيت المال لا تفعل ذلك يا سيدي فقال له  
ولماذا فقال لان ذلك يذهب بلذة الحلوى والقهوة مما فقال قدر كنا للذات  
لأنها مقببة بالحشرات ثم قال لأمين بيت المال اني عازم على الاقامة بمض  
أيام في هذا المنزل أي منزل أبي بكر الجار كوك وأمره باعداد ما يلزم لراحته  
وكان لصاحب المنزل أبي بكر الجار كوك بنت تزوجت قبل سقوط المدينة

باسبوع وفي يوم السقوط قتل زوجها وابوها ما فامسكها أمين بيت المال وقال  
للمهدي اني أقدمها لك في غضون اقامتك في منزل ابيها فقام المهدي ودخل الى  
داخل المنزل ورأى المرأة فاعجبه حسننها ولم يخرج حتي نال وطره منها وكان  
ذلك في اليوم الرابع لقتل زوجها ثم قفل المهدي واجمالى ام درمان والمشاوره  
دائرة بينه وبين أهل شوره على جعل الخرطوم عاصمة ملكه وكلهم  
موافقون له على هذا الرأي ماعدا عبد الله التمايشى فانه كان يقول للمهدي انا  
لم نعرف بعد عاقبة امرنا مع الحلة الانكليزية التي ربما اضطررتنا الظروف  
للتقهقر امامها الى كردفان فاذا أقمنا بالخرطوم صار النهر بيننا وبين كردفان  
وما زال التمايشى يثبط المهدي ويقيم له العقبات لينته عن سكنى الخرطوم  
وبقي المهدي مدة مترددا في القبول يقيم أسبوعا في الخرطوم وأسبوعا في أم درمان  
ويصل الظهر والمصر في سلامك الحكمدارية وإقامته في منزل ابي بكر  
الجار كوك حتى وافقه منيته كجاسياني



### ذكر القبض علي المؤلف وسجنه بالخرطوم

وبعد مضي شهر على سقوط الخرطوم ارسل الي حسين باشا خليفة  
مدير بربر خمسين ربالا فاشتريت منها جبة ونملا وعمامة وأقيمت بعضها لتفتاتي  
وما مضت على ثلاثة أيام حتي جاءني نحو عشرة دراويش يحملون  
الاسلحة فقبضوا علي وأوثقوني كئفا وقتشوا كوخني وحضروا أرضه وساقوني  
الى أمين بيت المال في الخرطوم فدخلت عليه فصاح بي وقال يا كافر يا منافق  
يا لص أنت سرقت من مالك وتوسعت به حيث غيرت ملابسك وعلا رأسي  
بسوط كان في يده حتى تطاير الدم فقلت له ياسيدي اني لم أسرق شيأ بل

ان أحد، مه ارفي أحسن على بخمسين ريالاً فرفع سوطه وقال من هو الكافر  
الذي يحسن على الكافر فلما رأيت إلحاحه خشيت أن يكون وراثة مسؤولية  
على حسين باشا خليفة فقلت انه رجل من جهات النيل الأبيض كان يعرفني  
أما أنا فلم أعرف غير وجهه ولا أعرف اسمه فأمرني الى السجن فكشفت فيه  
ثلاثة أيام ثم أخرجني منه وقال لي لا جناح على فيما فعلته معك لان الذين  
وشوا بك مصريون من أبناء جلدتك فالآن صفوت عنك واطلب منك أن  
تجئني في حل مما اصابك متى فقلت له انت في حل فأعطاني عشرة ريالات  
واناء للطبخ وآخر للاكل وملاءة وجارية وقال لي عد الى أم درمان فحملت  
الامتعة وذهبت مع الجارية التي أخذت تسبني وتقول (كيف أوضي بولد  
الريف تعني المصري سيدا لي) وبينما أنا سائر في الطريق وهي سائرة بجانبني  
اذلحت الجارية جماعة من العبيد الجهادية سائرين في الطريق فاستنات بهم  
وقالت ان ولد الريف سرقني فقال لي البعيد من أين سرقها يا ولد الريف  
فقلت لم أسرقها بل أعطانيها أمين بيت المال فاستدروني بالضرب بالسياط  
وسلبوا كل مامعي من الامتعة والنقود والجارية ثم ذهبوا الى حيث لا أعلم  
وجهتهم فسدت الى أمين بيت المال وقصصت عليه قصتي فكان جوابه  
لا شأن لي فعدت الى أم درمان في اسوأ حالة لأملك قوت يومي فضلا عما  
أنا فيه من آلام الجروح الناشئة من ضرب السياط

### ذكر اهالي الخرطوم بعد ذلك

مكث الدراويش يمدون أهالي الخرطوم ليمدوهم على خبايا أموالهم  
بقية شهر ربيع الثاني وشهر جمادى الاولى الى أواخر شهر جمادى الثاني وم

باقون في البقعة التي بين الخندق وممسكر ابن النجومي ممرضين للبرد  
والحرارة ووكل بحراستهم الحاج خالد المبراني فكان يأخذ الرجل أو المرأة  
الى منزله في المدينة ويوالى تذيبه حتي يدل على ماله وكثير منهم ماتوا تحت  
أيدي المذبذبين الذين لا يرثون ولا يرحمون

وقد رأيت كثيراً من النساء أصيبن بالجنون لهول من ما قاسينه من  
أليم المذاب وأخريات فقدن العقل عند ما رأين أولادهن وأزواجهن  
مذبوحين بين أيديهن وفيهن من فقدت من الأولاد سبعة وثمانية ولقد رأيت  
امرأة رجل مصري اسمه عطية كان أمين ورق التفتة قتل زوجها واخوتها  
ثلاثة وأولادها خمسة واحفادها من جهة أولادها ثلاثة وأزواج بناتها ثلاثة  
وأحفادها من جهة بناتها أربعة وكان عمرها زهاء سبعين سنة فكنت تراها  
وقد ذهل عقلها وهي تصف لكل من وقع نظرها عليه مصرع أولادها ثم  
تتناول التراب وتضمه على رأسها ثم تصرخ وتبكي على وجهها في القلعة وهكذا  
كان حالها حتى توفيت بعد بضعة شهور ومثل هذه المرأة كثير يمد بالثلاث  
وأصيب كثير من الرجال بمثل ما أصيبت به هذه المرأة وكثير من  
الذين نجوا من تلك المذبحة ماتوا لفرط ما أصابهم من الحزن بعد أن انفطرت  
أكبادهم من هول ما رأوه في ذلك اليوم المشؤم

ومما يذكر هنا ان محمد باشا حسن مأمور المالية دخل عليه يوم  
سقوط المدينة أسدقائه له من جيش المهدي وأحاطوا به وحجوه من القتل  
فلما خرج معهم ونظر في طريقه الى جيرانه ومبارفه قتل في شوارع  
المدينة قال لاسدقائه الى أين تذهبون بي فقالوا الى خارج الخندق لانه  
لا سلامة لك ما دمنا داخل الخندق فقال لهم قد قتل أهل بلدي كلهم فم

من أعيش حتى تطلبوا لي النجاة فأنا أقول لكم أيها الاصدقاء انكم لا تحسنون  
الى الا اذا قتلتموني بجانب هؤلاء فأخذوا يراجعونه وساقوه بالاكرام فامتنع  
وقال لهم اقتلوني أيها الناس فأنى كرهت الحياء فتركه أصدقاؤه وامتنعوا من  
قتله فقتله غيرهم

ومن أمثال هاته الحوادث امرأة احد عبد الوهاب وكيل الضبطية  
فإنها لما قتل زوجها واخوته الأربعة رابت على اقدام القتاتين وقالت لهم  
ألقوني بين قتلتموم فامتنعوا لانها كانت فتاة رائحة الجلال وما زالت  
تلح عليهم فلم يفعلوا وأخيراً أمسكت سلاحاً وهمت بأولئك القتل فقتلوا  
تخلصاً من شرها

وقتل أيضاً امرأة ابراهيم بك ليبس حكامدار بوليس المدينة مع  
زوجها لانها احتضنته لما تم الدرايش بقتله. وكذلك امرأة ثالثة حذت حذوها  
فهذه الثلاث نسوة اللواتي ذكرنا خبر قتلهن يوم سقوط الخرطوم أما اللواتي  
ذهبن ضحية التعذيب فان عددهن يزيد على الثلاثمائة

وكان في الخرطوم رجل مصرى أصله من نتر دمياط. ومن علماء  
الازهر الشريف ثم عين قاضياً لبربر ثم عين مدرسا بجامعة الخرطوم ورئيساً  
لأساتذة المدرسة الاميرية. وكان يتعمم بمهمة خضره لا تنسأ به لآل البيت  
المطهرين كان في طليعة العلماء الذين كتبوا النصائح تكذيباً لدعوى المهديونية  
وكان فردون يحترمه ويحمله ويشاوره في كثير من الامور واسمه حسين المجدي.  
وفي يوم سقوط المدينة دخل عليه الدراويش وله جاران اسراييليان أحدهما  
اسمه بيسون والثاني اسمه اسراييل فلما أحسا بدخول الدراويش قالان جارنا  
عالم من علماء الاسلام وذو اتساع لآل بيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )



ولا بد أن يحترمه هؤلاء الدراويش ولا يمدوا أيديهم بسوء لمن دخل في  
جواره فيها بنا ندخل منزله وبنا كنا يهينان نرحمهما بالشيخ حسين المجدي  
اذ أبصره من نوافذ يديهما جالسا على مصلاه متعبا بهامته الخضراء يقرأ في  
المصحف فدخل عليه الدراويش فضربوه بالسيوف ويترؤا يمينه فقال مرحبا  
بقضاء الله فقالوا له يا كافر فقال انني أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول  
الله وأمتلاً المصحف من دمه فأغمي عليه فقتلوا أحد الدراويش امرأته وآخر  
بنته على صرأى منه ومن جيرانه وفسدق الاول بالمرأة واقتضى الثاني بكارة  
البنات وقال له قد أحل الله لنا دمك وعرضك فقتل لهم كذبهم ان الله لم يحل  
دمي ولا عرضي ثم اجهزوا عليه أما الاسرائيليان فانهما قد نجوا من القتل  
ولا يزالان على قيد الحياة

وكان في الخرطوم أيضا رجل معمرى اسمه الشيخ فايد كان شيخ سحادة  
الاحمدية وفي ساعة المذبحة التجأ الى بيته نحو عشرين شخصا من جيرانه من  
موظفي الحكومة فدفع الشيخ طبوله وحمل راياته فدبحه الدراويش ومن معه  
ولم ينج منهم غير واحد اسمه عبد الله ابراهيم سعد كان ضابطا في الحامية  
بعد أن اصيب بثلاث ضربات بالسيف على راسه.

وقتل قنصل الدول كلهم وكان موسيو هنزل قنصل النمسا استأمن  
المهدي على نفسه ورعاياه فوعده المهدي باشخاصه الى بلاده اذ اخرج اليه مسلما  
نفسه وفي يوم سقوط المدينة ذبح وسييت امرأته وصارت جثث القتلى مطروحة  
على وجه الارض.

ومن أعجب ما شاهدته أن هذه الجثث لم تتنفع ولم تتغير ملامحها حتى  
أنك لتستطيع معرفة الشخص المقتول بعد بضعة شهور ولم تأكلها الطيور ولم

يشاهد حولها شيء من الديدان أو الحشرات التي تفتاب الاجسام الميتة وقد  
 عد شعراء المهدي ذلك كرامة من كرامات المهدي حيث قالوا في أنشودة  
 باللمة الداروجة مامناه ان اعداء المهدي الذين قتلهم سيفه طافت اكل لحومهم  
 الطيور والديدان والكلاب وسائر الحوام وذلك دليل على كفرهم ،  
 ولم تقف القطائع عند حد القتل وازهاق الارواح بل كانوا يمثلون باشلاء  
 المتولين ويجمعون التبن ويحرقون به الجثث

وكان في الخرطوم رجل من أهل خراسان اسمه الشيخ عبد الرحمن  
 الخراساني وكان مجاورا بالمدينة المنورة ومعروفا عند أهلها بالصلاح والورع  
 وله أتباع كثيرون في السودان فقتله الدراويش وربطوا جثته بجثة كلب ميت  
 ووضعوا فيه على رأس الكلب واحرقوها ما

ومن الذين قتلوا يوم سقوط المدينة الشيخ شاكر الرئيس مفتي السودان  
 وكان سوريا قتلته محمد نوباوي الذي دخل على فرعون وقتل ابنه قبله ولما  
 هم بقتله قال له احد الحاضرين اتركه لانه رجل فقيه فقال له انه افقي بفتوى  
 ضدي منذ عشرين سنة فأنا اذبحه واذبح ابنه قبله تشفيا

وقتل من العلماء أيضا الشيخ موسى مفتي الحاكم الشرعية والشيخ محمد  
 حتيك قاضي القضاة وكنا فقيهين محققين كتبنا رسالتين طويلتين كذبا بهادعوي  
 المهدي وفندا مزاعمه وقبل سقوط المدينة جاءني الشيخ موسى زائرا ثم اختل  
 بي وقال لي والدموع تنساقط من عينيه اني وأولادي لم نذق طعاما منذ  
 ثلاثة ايام ثم كشف عن بطنه فرايت حبرا مربوطا عليها فهائي ذلك وعرضت  
 عليه تقودا فلم يقبلها ثم وجدت بمنزلي أقتين من البقسماط دفعت له اقة  
 وابتعت لنفسى الثانية واعطيته خروفا من الضأن كشت اشترته من احد

الصناجق الذين غزوا في ضواحي الخرطوم على احدى البواخر فشكروني  
ورجاني أن أذن له بالبقاء ريثما يأكل قليلا من البقسماط ليستفيد بمض قوته  
ثم سألتني ان أرسل معه جنودا يحفظونه من الاعتداء عليه حتى يبلغ منزله وفي  
الفد عاد اليّ واخبرني أن أولئك الحراس اغتصبوا منه البقسماط ولكنهم  
تركوا الحروف له فدعوتهم لاسألمهم فقابلوني بشراسة خلق وقالوا ألم نصنع  
معه من اللزوة ما لا يصنمه غيرنا حيث تركنا له الجروف فقلت لهم صدقتم  
وطيبت خاطرهم وصرقهم

والحاصل ان المهدي بعد ان صادر جميع أموال سكان الخرطوم وسي  
من نسايم كل حسناء وقاسوا من العذاب أشده ونالوا من الضنك غاية وكانوا  
محجورا عليهم الكسب وسبل الاوتراق وكان يعطى كل شخص نحو رطل من  
الدرة في كل يوم حتى هلك من هلك ونجا من أراد الله نجاته ركب هو  
وخلقاؤه ذات يوم ووقف حولهم فرثي لهم وأذن لهم بمبايسته ثم كتب لهم  
منشورا وعظم فيه وضمنه ما يقطع أملهم من إعطائهم شيئا مما سلب منهم  
وهذه صورة المنشور نقلنا من كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
وبعد فن العبد المقتدر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أحبابه وأصحابه  
الذين خرجوا من قفرة الخرطوم ومرادهم السلامة لليوم المعلوم ورضاء الله  
الى القيوم أقول يا أحبابي ان نعمة الدين نعمة لا نعمة غيرها وحيث من  
الله عليكم بها وصرتم من عبيد الله الذين يطلبون ما عنده ويمثلون أمره  
ويرغبون فيما رغب فيه ويزهدون ويستحقرون ما حقره بعد ان كنتم على

شئنا حفرة من النار فنقذكم منها فاشكروا نعمة الله التي انعمها عليكم واستمظموها  
 لتشكروها وتكفوا بها عن نعم الدنيا ومتاعها لان نعم الدنيا ومتاعها نصيب  
 أبناء الدنيا الذين لا نصيب لهم في الآخرة واعلموا ان الله هو المتكفل بالارزاق  
 الضامن لها فن عرف ذلك عرف انه مادام حيا لا يقطع رزقه ولو هرب  
 منه للحمه كما ورد « لو ركب العبد الريح هاربا من رزقه لركب الرزق البرق  
 حتى يلحقه » وحيث كان كذلك وان ما وجد في الخراطوم شئ جزئي لا يكتفي  
 الانصار الذين فتحوه وانتم الله عليكم باعائهم وقد صرف عليهم جميع ما وجد  
 مع غنائم بربر ولم يفضل الا ما يحتاج للتزيين فاصرفوا نظركم عما خرج من  
 ايديكم جملة حيث بتم أنفسكم وأموالكم لله وانتم تملكون ان الصحابة لما  
 خرجوا الى الهجرة فارقوا ديارهم وأموالهم رغبة في دين الله وانتم لما أنتم الله  
 عليكم بالصحة التي تمنها كل السابقين فخرجوا عن ذلك واكفوا بالله  
 وارضوا فيما عند الله كما البيعة على ذلك فان من لم يخرب الدنيا للآخرة لا يستقيم  
 له دينه وقد بعث صلى الله عليه وسلم لحراب الدنيا وعماراة الآخرة كيف وقد  
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم على طالب الدنيا الذي لا يرضى الا بها فقال صلى  
 الله عليه وسلم « تمس عبد الديار والدرم والخمصة ان أعطي رضي وان لم يمت  
 سخط تمس واتكس واذا شيك فلا تنتش » ووصف الله المنافقين بذلك فقال  
 تعالى « ومنهم من يلزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها  
 اذام يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا  
 الله من فضله ورسوله انا الى الله راضون » وانتم أحبابي اكثفوا باندراجكم مع  
 المجاهدين وما يملئكم اسوتهم فلا خير في الرقيق حيث يعيش العبد بدونه  
 ويتأسف واجده عند فراقه وقد صدق فيه اسم الرقيق لان الرقيق ينقطع

ولا يدوم لمن تعلق به ولا يمسه فاعتصموا بالله وتوكلوا عليه وأقوه فانه قال  
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على  
الله فهو حسبه » صدق الله العظيم والسلام ٢١ جاد آخر سنة ١٣٠٢

ذكر مقابلة الشيخ محمد الامين الضريير للمهدي ووفاته  
تقدم لنا ذكر الشيخ محمد الامين الضريير ونقلنا صورة الكتابين  
الذين بينهما له للمهدي وفي غضون حصار الخرطوم كان الناس اشاعوا  
منه انه جاسوس للمهدي وانه كان يبعث لواءه وكان أهل الخرطوم  
ينفضونه لهذه الاسباب حتى شكوه الى غردون قبض عليه وعلي  
قاضي القضاة الشيخ محمد حنيك والشيخ موسى المفتي الذين تقدم ذكر قتلها  
وقبض أيضاً علي عبد الرحمن ارباب أحد علماء المدينة وبالتحري عن شأنهم  
ثبت ان الشيخ محمد الامين وقاضي القضاة والمفتي بريئون مما رماهم به أهل  
الخرطوم الموصوفون باساءة الظن بكل مواطنهم الذين لم يكونوا مصريين  
من جنسهم

ولكن تحققت الهمة في عبد الرحمن ارباب فقط وبمد ان قضوا  
أربعة ايام في السجن امر غردون باطلاقهم حتي عبد الرحمن ارباب الذي ثبتت  
ادانته وبالغ غردون في الاعتذار الى الشيخ محمد الامين واسترضاه ورفقاه  
وفي يوم سقوط المدينة دخل على الشيخ محمد الامين ابن له اسمه علي  
كان قائداً صغيراً من قواد للمهدي وساقه الى عبد الرحمن النجومي الذي هم  
بقتله واستل ابنه سيفه ليقتله اظهاراً لاختلاصه للمهدي وبيناهم كذلك اذ  
مر عليهم الخليفة شريف فسأل عن الخبر فقبل له ان القوم يتآمرون على قتل

الشيخ محمد الامين الضريير فاخترق الصوف بحصانه وقال للمتأمرين احذروا  
ان تصيخوا الشيخ بسوء واعلموا ان من اصابه بماء اصابته بسيفي فخرق الناس  
وانعمدوا سيوفهم عنه وقاد على اياه واجتاز به النهر وقدمه للمهدي الذي  
قالبه بالاكرام واكثر من لومه ومعاتبته ثم يايه البيعة المشهورة ثم قاده ابنه  
أيضاً الى عبد الله التمايشي الذي أخش له في القول واسمه من الكلام  
أمره وأخيراً قال له يا عالم السوء يا من أجمي الله بصره وبصيرته قضيت صورك  
المشوم في تحصيل علوم جاء المهدي بنسخها فقد كنتم تقولون حدثنا فلان  
عن فلان باسانيد طويلة ونحن الآن نلتقي الشريعة من المهدي الذي يتلقاها  
مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاحذر يا شبيه السوء ان أسع عنك  
انك تعلم الناس شيئاً من العلوم القديمة المنسوخة واعلم انك منذ  
الآن محتاج الى التعليم من أحقر انسان من أصحاب المهدي ثم دعا عبداً  
أعجيباً وقال للشيخ محمد الامين هذا استاذك منذ الآن فصل بجانبه وتلق  
شريعة المهدي عنه اما ما تعلمته قبل الآن فانه منسوخ وخير لك ان تحفر له  
في الارض حفرة تسييه فيها فسكت الشيخ ولم يجاوبه بكلمة بل خرج من  
عنده وهو يقول اللهم اقبضني اليك غير مفتون فتوفى بعد بضعة أيام خملت  
جثته الى المهدي فامتنع عن الصلاة عليه وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم  
نهي عن الصلاة على المنافقين وقرأد ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم  
على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون « الآية

ونجا عبد الرحمن ارباباً بعد ان هم عبد الرحمن التجوي يقتله فاكرمه المهدي  
واردفه خلفه ثم مال بث عبد الرحمن ان انكر على المهدي أفعاله ونقم عليه وايقن  
انه كان في ضلال مبين حيث كان مصداقاً بهذه الدعوة ومعيناً لذلك الطاغية

## ذكر انتقال المهدي الى ام درمان.

ذكرنا ان المهدي كان مسكرا في جبة الفتيح بعيدا عن مرعي المذوفات  
وفي أوائل جمادى الثانية سنة ١٣٠٢ زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره بنقل مسكركه الى ام درمان وكان يطلق اسم ( البقعة الطاهرة المشرفة )  
على كل مسكر حل فيه وفي صبيحة يوم ركب ناقته وقال ان النبي صلى الله  
عليه وسلم أمره باطلاق خطامها حتى تنزل بالمكان المأمورة بالقاء رحلها  
فيه وذلك كما كان يديره صلى الله عليه يوم دخل المدينة المذورة فارت التناق  
المأمورة على زعمه حتى القت رحلها بمكان مرتفع شمال خندق أم درمان  
يمعدن ضفة النهر بأني مترقربا وهناك القت رحلها فضربت اطناب الحيام  
وصنعت الاكواخ من البوص وجعل طول المسجد نحو ستمائة متر في ضفة  
هذا القدر وصنعت للمهدي مقصورة من ألواح الزنك التي كانت تصنع للامان  
التي تودع فيها المواد المثبتة ونقل منبر الخطابة الذي كان موضوعا في سلاسل  
الحكمادارية الى تلك المقصورة وكانت بقية المسجد مكشوفة والمصلون  
معرضين للحر والبرد

ولما كان منزله متصلا بالمسجد كان يصلي الاوقات كلها داخل بيته والناس  
يأتون به وبينهم وبينه نحو عشرة حجب من الشوك والاطناب والبوص وكان  
لا يصلي في المقصورة الا فريضة الجمعة

وكان اذا صوت جهوري في الصلوات الجهرية يرفع صوته بالقراءة باكيا  
وتساقط الدموع من عينيه وكثيرا ما كان يمسح تلك الدموع في حال القيام  
وقومه معجبون به ويمدون البكاء في الصلاة من علامات اطلاعه على التيب

حيث يزعمون انه يرى اللوح المحفوظ متى أحرم بالصلاة  
وقيامه وسجوده طويلا جدا حيث كان يقوم في قراءة الركعة اكثر  
من عشر دقائق وفي الركوع والسجود نحو ثلاث دقائق  
وصلى في رمضان صلاة القيام عشر ركعات قرأ في جزأ من القرآن وصلى  
بالناس في ليلة نصف شعبان مائة ركعة بالقرآن كله واقفا صوته بالقراءة با كيا  
وكان عنده عبد اسود يؤذن له فقال انه وارث مقام بلال مؤذن النبي  
صلى الله عليه وسلم واعطى مقام ابن أم مكتوم لمؤذن نان  
هذ وقد قلده كثير من الامراء والاتباع في رفع أصواتهم بالبكاء أثناء الصلاة  
ومن المضحكات ان دنقليا من أقارب المهدي تناول الف ريال من تاجر  
قبطي اسمه جرجس ليصنع له بها سراكب ثم اغتال المال ولحق بالمهدي  
وبعد سقوط الخرطوم زاره نجاران مصريان فقام يصلي واسترسل في البكاء  
فاندش الزائران من هذا البكاء وقال أحدهما ما الذي أصاب الرجل فقال الآخر  
لا أعلن شيئا أصابه غير انه لما رأنا تذكر ما اغتاله من مال جرجس فبكى ظلما  
منه انا جئنا لطلبه به

### حوادث دنقلة

دنقلة إقليم من أقاليم السودان المصري وحده من جهة الشمال  
(خور موسي باشا) وهو يبعد عن حلغا بنحو خمسة أميال ومن جهة الجنوب  
حدود مقاطعة بربر واقسامه احد عشر قسما أربعة منها في الشمال وسبعة  
في الجنوب

وسكان الاقسام الشمالية هم قبائل (سكوت والمحس) والداقله يسكنون



الاقسام الوسطى. والجهات الشمالية أرضها قاحلة مكسوة بالحجارة الا ان النخل فيها كثير ومحصوله جيد وبه قوام مما يش السكّان خلافاً للاقسام الوسطى فان أرضها خصبة وطريقة الري فيها بالسواني وهي تجود بمحصول وافر من الحبوب وفيها النخل أيضاً لكن محصوله لا يذكر في جانب محصول الجهات الشمالية وسكان هاته الاقسام خليط يطلق عليهم (الناقلة) والتألب على اخلاقهم الهدو والسكينة أما سكان الاقاليم الجنوبية فهم قبائل الشايقية وأرضهم تشبه الاراضي الشمالية والخاص ان عوائد سكان دنقلة متقاربة متشابهة

### ذكر الشيخ الهدي

كان في احدى قرى الشايقية التي بين الخرطوم وشندي رجل اسمه (الشيخ الهدي) وكان صاحب طريقة وله صداقة مع محمد الخير داعية بربر وبمد هلاك حملة الجنرال هيكس وفد هذا الشيخ على المهدي فاكرم وفادته وقدم له الهدايا وتلقاه بالاكرام ثم عرض عليه ان يقوم بالدعوة له في مديرية دنقلة فاجابه بالقبول فكتب له بالامارة على قبائل الشايقية كلها وبالدعوة له في مديرية دنقلة ثم تفاذر الشيخ الهدي كرفان مع محمد الخير داعية بربر واشتغل معه في حصار بربر ثم انفذ خاله (ولد عبود) أحد افراد قبيلة الشايقية الي اقسام دنقلة الجنوبية فنارت معه قبيلة الشايقية واعلنت خلع طاعة الحكومة ورفضت لواء الصبيان وقبضوا على ستة عشر جندياً واثنين صف ضباط كانوا حياة في هذين القسمين وقطعوا اسلاك التلغراف وأسروا عماله ولما وصلت تلك الاخبار الى المدير مصطفى ياور باشا انتدب الضابط أحمد افندي سليمان ومعه عشرة عساكر من النظاميين لاكتشاف الاخبار

وما كاد يبلغ محل الثارين حتى قبضوا عليه وعلى جنوده المشرة بعد أن اطلقوا النيران على العدو الذي لم يتمكن من القبض عليهم الا بعد ان نفذت ذخيرتهم وبعد ان هوا بقتل أحمد أفندي سليمان وجنوده ارجأوا قتلهم الى الغد واعتقلوهم في منزل رجل اسمه الخليفة أبو بكر وكان صديقا حميلا لأحمد أفندي سليمان وما كاد الليل يرخي سدوله حتى أطلق الخليفة أبو بكر أحمد أفندي سليمان ومن معه فركبوا دوابهم وفروا وفي الغد فقدوهم فبعثوا خلفهم نحو مائتي راكب فلم يدركوهم وعادوا بغير طائل ولم ينتقموا من الخليفة أبي بكر لما بينه وبين العصاة من روابط الجنسية

ولما وصل أحمد أفندي سليمان الى مركز المديرية رفع الى المدير نتيجة مأورته فابحجر المدير ومعه مائة جندي نظامية على باخرة قاصدا جهة (الدبة) وكان ولد عبود ومعه زهاء سبعة آلاف مقاتل قصدوا جهة الدبة وكان بها نحو ثلاثمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وما كاد المدير يصل تلك الجملة حتى علم ان العدو منقسم قسمين في جهتين متقابلتين وانهم ممتنعون عن الحرب حتى ينسلخ شهر رجب فاخذ المدير في الاستعداد وهاجم مركزي العدو فكان النصر حليفه حيث انجلى الهجوم عن انتصار المصريين وهزيمة الثوار وعاد الامن الى ربيع دفقة وقفل المدير راجعا الى مركز المديرية بعد ان حصن نقطة الدبة

### ذكر واقعة الشيخ الهدي

لما وصلت اخبار الهزيمة الى الشيخ الهدي في بربر غادرها قاصدا جهة لدنة وأمدّه محمد الخبير بمائة جندي سدداني من الذين انضموا اليه من جنود

الحكومة واستصرخ في طريقه ببائل الرباط وأولاد قر الذين صاحبه  
 رئيسهم نمان بن قروا الدسلان بن نمان قاتل الكولونيل ستوارت فاجتمع  
 عليه نحو ستة عشر ألف مقاتل وصل بهم الي الدبة وفي ذات ليلة هجم بهم  
 علي مركز الدبة وكان الظلام حالكا فما شعرت الخامية الا بالضوضاء حول  
 المعقل فصوبت مقذوفاتها علي المدو فسقط منه أثنان وسبعمائة قتيل  
 وقتل نمان بن قر وفر المهدي ومعه نحو خمسة آلاف مقاتل وفر الباقون  
 ولحقوا ببلادهم وعسكر المهدي في جبل علي شاطيء النهر في جهة (الحنانة)  
 وفي ثاني يوم الواقعة وصل المدير ومعه فصيلتان من الجنود النظاميين ثم سار  
 الي الحنانة ومعه خمسمائة جندي فابتدوه الدراويش باطلاق البنادق فاحاط  
 بموقعهم وهجم بمجنوده عليهم فلما أبصر المهدي الجنود هاجم عليهم ولي  
 الادبار ومعه قومه وغنم الجنود مسكرهم وفيه كثير من الاقوات واستولوا  
 على عشرين صندوقا مملوءة خرطوش بشاقق رامنجنون ثم تأثر المدير المدو  
 مسيرة ست مراحل حتى خرج من حدود المديرية وقفل راجعا الي مركز  
 المديرية وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٣٠١

ذكر مخبرات المهدي مع مصطفى ياور باشا

تقدم لنا ذكر وقائع دققة وهما نحن نذكر ما قلنا فتقول

لما حاصر أبو قرجة الخرطوم وظفر محمد الخير ببر كتب المهدي  
 كتابا مع رسول خصوصي الي مصطفى ياور باشا مدير دققة يدعوه فيه الي  
 التسليم أو الحرب وكان الشيخ الهدي في ببر يتأهب للمارة على دققة كما تقدم  
 فادرك مصطفى ياور باشا حرج موقفه اذ كان جنوده لا يزيدون على خمسمائة

جندى فعول على دفع البلاء بالمختلة والحديمة فاستدعى المسيحيين الذين كانوا معه في المديرية وأمر اليهم انه عول على دفع شر المهدي بالحديمة ريثما تصل النجدة الانكليزية وانه سيستعوم على رؤس الاشهاد في سراي المديرية ويمرض عليهم الاسلام فيجبيونه فصدعوا بما أشار به عليهم ثم استدعى رجالاً من ذوي قرابة المهدي المقيمين في دنقلة وأعلن أمامهم انه دخل في طاعة المهدي وانه صار عاملاً من قبله على إقليم دنقلة ثم دعا المسيحيين للاسلام فاجابوه وكتب الى المهدي كتاباً ضمنه دخوله في طاعته وشرح له كل ما فعله من اسلام المسيحيين واعلانه الطاعة فاجابه المهدي بكتاب سماه فيه مصطفى جابر بدل ياور لانه من أسماء الكفار على زعمه وضمن الكتاب تعيينه أميراً على دنقلة من قبله وأمره بابدال ملابس المسافر بالمرقات التي هي شعار المديرية ثم بعد ذلك حصلت وقائع الدبة والحفانة التي تقدم لنا ايرادها

ولقد جاء ما أتاه مصطفى ياور باشا بنتيجة مرضية حيث استطاع حفظ البلاد مع قلة جنوده ريثما وصلت طليعة الحملة الانكليزية وساعد أيضاً على حفظ المديرية من السقوط في قبضة العدو وجود رجال اكفاء قاموا بتدبير الامور وخطروا بنفوسهم في جميع الوقائع التي انتصر فيها جنود مصطفى ياور باشا ونخص منهم بالذكر أحمد جودت بك وكيل المديرية وقتئذ فانه كان قومندان القوة المدافعة في واقعة الدبة التي انهزم فيها الشيخ المهدي شر هزيمة وقد أصيب وقتئذ أحمد جودت بك بطلمة ربح في جبهته أما الضابط أحمد أفندي سليمان الذي تقدم ذكر وقوعه في قبضة العصاة وفراره منهم بواسطة صديقه الحليفة أبي بكر فانه كان قومندان القوة النظامية وشهد كل وقائع دنقلة كما انه شهد كل الوقائع

التي انتصر فيها عبد القادر حلمي باشا في جنوب الخرطوم مما تقدم لنا ذكره  
ومن قواد الباشبوزق الصناجق نور الدين بك وماميش أغا وسليمان بك  
جبريل ومن الضباط النظاميين الضابط سعد نيه أفندي ومرسال كوكو  
أفندي وغيرهم

ولما وصلت طلائع الحملة الانكليزية الى حلقا كان الشيخ المهدي ممسكراً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة بعد هزيمته من الحتاة وكان قد وصل الى  
دنقلة في غضون ذلك رسول الى مصطفى ياور باشا يحمل كتابين أحدهما  
من المهدي والثاني من شخص يدعي الشريف محمود من أقاربه وكان مضمون  
كتاب للمهدي الى مصطفى ياور باشا أمره بتسليم المديرية الى الشريف  
محمود والشخص اليه وكتاب الشريف محمود مضمونه انه تعين من قبل المهدي  
أميراً على اقليم دنقلة وانه ممسك في بئر تبعد عن الهر بثلاث مراحل  
اسمها (أم بليلة) فكتب اليه مصطفى ياور باشا يقول فيه اني لم اكن مصدقاً  
بدعوة المهدي وان ما فعلته كان خديعة وحيث انك من أهالي دنقلة  
فانت آمن اذا عزمت علي المودة الى وطنك مستظلاً بطاعة الحكومة  
ولما عاد رسول الشريف محمود اليه في بئر (أم بليلة) واطلع على ما كتبه له مصطفى  
ياور باشا أسرع بالفرار من ذلك المكان ولحق بالشيخ المهدي الذي كان ممسكاً  
في جنوب حدود مديرية دنقلة في مكان اسمه (كورتى) وأخذ في الاستعداد  
والاهبة للنارة علي الحدود وكان مع الشريف محمود حسن خليفة البادي  
ابن أخي حسين باشا خليفة مدر بربر أرسله المهدي للدعوة له في بسعيد  
مصر ومعه أيضاً رجل مغربي أرسله أيضاً ليدعو أهل طرابلس الغرب  
وهاهي صورة كتابين اختارناهما من الكتب المديدة التي كتبها المهدي الي

مصطفى ياور باشا الاول منهما في شهر رجب سنة ١٣٠١ والثاني في شهر  
رجب سنة ١٣٠٢ أي بعد سقوط الخرطوم وفي الاول من اللين والحجامة ما وراء  
القارئ وفي الثاني من التهديد والوعيد بان النبي صلى الله عليه وسلم وعد  
المهدي بوقوع مصطفي ياور باشا في قبضته عاجلا أو آجلا ما فيه

## الكتاب الاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن الابد الواثق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي مصطفى ياور امير مدينة  
دققة وتوابعها كان الله له معين أمين. بدد السلام والاحترام لا يخفى عليك ان  
الذي ايا ليست دار راحة وماهي الا ساعة فن لم يجعلها طاعة ويكتب رضاه  
الله تعالى فيها ويكتب بالله ويجعل همه به واحدا لا يسلم من همومها وضومها  
ولا بد أن تذهب ويقع المفرط فيما لا ينبغي منه من الاهوال الشداد كما جاء  
بذلك الوعيد في قوله تعالى « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع  
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله  
شديد » واعلم أني داع الى الله ودال عليه وقد بعثني الله تعالى رحمة لمن اتبعني  
من أهل زماني ونعمة على من عصى الله وخالفني واني انذرتك قبل هذا  
واوضحت لك الامر جليا وكتب اليك بتوليتك اميرا في جهتك وما فعلت  
ذلك الا لك وما وليت احدا غيرك كان في ولاية الترك الابد لقائنا والاخذ  
عنا وروية الصدق منه كمحمد خالد الذي كان مدير « دارا » فانه قد انا  
عند فتح مديرية الابيض وصحبنا ونخلق باخلاقتنا وتربي حتي تحقق بالصدق

والديانة المرضية على حجة كاملة فلما رأينا فيه آثار الصدق - الأمانة والعدالة  
والسخلق باخلاصنا والقيام بأمرنا على ما نحب ونرضى وليناء على كافة نواحي  
دارفرر ففتحها وصدق في ارشاد أهلها وادخلهم جميعاً في طاعتنا فصدقوا  
كامل الصدق فجاءه الله الخير والاحسان فقد زاد على ما غننا فيه ورق أصحابه  
ومن بنواحيه على حسن اليقين والوثوق برب العالمين وإيثار الآخرة وزهد  
الدنيا في الانابة الى ما عند الله فجاءه الله عنا وعن المسلمين أجراً جزيلاً وأنت  
ماولينك من قبل ان تراك الا لحسن غلطنا بك في صدق ديانتك وطلبك  
ما عند الله ومعرفتك شؤم الدنيا ودنائتها ومعرفتك قوة الله وقدرته على كل  
شيء حتى لا تميل الى شيء الا الى رضى الله فان طاعة الترتك بسد ظمور  
المهدى كفر وضلال كما هو وارد فان قويت سريرتك واشتد عزيمتك على  
ذلك كما غلطنا فيك فانت مؤتمر منا كما أمرناك والا فان علمت من نفسك  
ضعف يقين وعدم طاقة على مقاتلة الترتك ومناوأتهم وقطع الاخبار عنهم  
فأت الينا لتزيد يقينا وتمكيناً وتكسب نوراً وتحسيناً حتى يسقط من قلبك  
الانفاس الى الاولاد والاهل والخشية من غير الله والطمع فيه بما نريك  
اياهم من الارشاد والتربية التي خصنا الله بها دون أوليائه الكرام وهو  
ذو الفضل العظيم وقد علمت ثواب الهجرة والجهاد في سبيل الله من قول  
الله تعالى « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم  
أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم رحمة منه وورعوان  
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدون فيها » الآية وقوله تعالى « فالذين هاجروا  
وأخرجوا من ديارهم وأذوا في سبيلى وقتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم  
ولادخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن

الثواب « فن كان مؤمناً مصداً بكلام ربه وعظمة وعده ووقوع ذلك يقينا  
بؤثر ما ذكر على ملك جميع الدنيا وشهواتها ومتاعها ومقايضة الشهاد في ادراك  
الوعد المذكور ومن لم يكن مصداً بذلك مؤثراً له فذلك لعدم إيمانه وتصديقه  
لوقوع ذلك وتسفيهه لمن فعل ذلك ممن آمن بالله وآثر ما عنده فاستحق  
ان يكون ماله غنينة وان يخذل في الدنيا ويحشر الى جهنم في الآخرة قال الله  
تعالى « قل للذين كفروا سئلون وتحشرون الى جهنم » الآية وقد كتبنا  
اليك أبناً انك ان قت باحد هذين الامرين فهو دليل صدق إيمانك  
وتسليمك والا فلا بد ان تقع في قبضتنا بقوة الله وحوله كما أشار الي ذلك  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ونسأل الله ان لا ينجيب  
غلطنا فيك لاننا نحب لك الخير ونملكك بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ان الترك لو أتوا عدد الشجر والمدر لا تقوم لهم قائمة كما بشرنا بذلك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وانهم وان كثروا كورق الاشجار والرمال لو دخلهم  
احد من أصحابنا يموتون كما بشرنا بذلك الصادق الامين صلى الله عليه وسلم  
هذا والسلام رجب سنة ١٣٠١ ( الكتاب الثاني )

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد  
فمن المبدع المتعمم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى مصطفى ياور وفقه الله  
لطريق رشاده آمين. اعلم وفقك الله تعالى الي سبيل الرشاد وصرف عنك  
خيالات النفس وباعد عنك طريق المناد ان الهدى خير من الضلال وان  
الدار الآخرة لحي الحيوان وهي الدار التي أعدها الله لاصفيائه وأمناء دينه  
ونذب اليها عباده المؤمنين في محكم كتابه العزيز بقوله « وساروا الي مغفرة



من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للعتقين « ولا يخفى عليك  
 أي طالما أحسنت بك الظن ورجوت لك الخير وتوسمت فيك الديانة  
 والامانة وأحببتك في الله وخاطبتك خطاب أهل المحبة حتى أتى من فرط  
 ما حصل لي من محبتك في الله أصدرت لك أمراً يجتنب بمملك عاملاً من  
 طرفي على صوم دنقلا رجاء أن تكون من الذين باعوا الله نفوسهم بالجنة  
 وبذلوا مهجهم ونفائس أرواحهم في احياء السنة فظاهرتني بالقيام بذلك ثم  
 نكثت العهد ونقضته ومن نكث فاعما ينكث على نفسه وجاهرت بالمداوة  
 وبارزت وقتلت أخياراً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمكرك وخديمتك  
 ولم تحش الله ولم ترع حقوقه مع انك في الحقيقة مغرور بمستدرج لم تدر  
 عاقبة أسرك ألم تعلم أن الله يهمل ولا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين  
 فيا أيها الرجل وبحك تدارك نفسك واعتبر بمن مضى من قبلك فإن العاقل  
 من اعتبر بغيره والسعيد من دبر أمر نفسه ونظر صلاح الدواب والكيس  
 من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واعلم ان الله يعلى للظالم حتى اذا أخذه  
 لم يفلته فان جميع ما حصل لك فهو استدراج من الله عاقبته الحسرة والندامة  
 فأهمل فكرتك وأعد نظرك واعلم أن الامر لله يعطيه من يشاء من عباده  
 وكذلك ما حصل منك من مبارزة الله بالمداوة وشد أزر أعدائه الكافرين  
 والاستعانة بهم على قتال المسلمين أما علمت قوله تعالى في محكم كتابه « يا أيها  
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم  
 منهم فانه منهم » وقال « لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموادة  
 وقد كفروا بما جاءكم » الآية الى غير ذلك من الآيات الناهية عن موالاة  
 الكافرين على ان ما أنتم عليه من تقص اليهود وعداوة الله المعبود والركون

الى المكر والحذية والحيل الضعيفة الشئمة لا يفتى عنكم من الله شيئاً ولا يدفع  
عنكم المقدور ولا بد بكون الله من وقوعكم في قبضتنا ولو صدتم السماء  
بسلم فاما مبشرون من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالنصر على من ينادينا  
ونملك جميع الارض ولا يترككم ما حصل لكم من الاستدراج ولا ما رأيتوه  
من استعدادكم والنصارى الذين معكم فان قدرة الله لا تقاوم وبطشه لا يصادم  
وكم أهلك الله من الائم قبلهم بمن هو أشد منهم قوة واكثرهما ولم ينن عنهم  
ما اعتمدوا عليه من دون الله شيئاً وحيث انك تدعى القتل وتزعم انك من  
أهله فاعبر بذلك واعلم علم اليقين انك ان أنبت الى الله وندمت على ما فرط  
منك وأيتنا ناديا نائباً فانك مؤمن ومعفو عنك في جميع ما مضى منك عفواً  
خالصاً لوجهه تعالى ومقبول عندنا غاية القبول ولا نقول لك الا بكافال يوسف  
عليه السلام لاختوته ولا تثريب عليكم اليوم يفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ،  
وان أحضرت معك بعضاً من عمد البلد كحمد عبد القادر ساتي المشهور  
بفقير تود ومحمد الملك حمد بارقو ومحمد بن الفقير محمد ابراهيم وصالح امام  
الجامع وسعيد أحمد فريح ومحمد الجليل ومحمد محمد كنيش فذلك أولي عندنا  
فاحضروهم فهم آمنون منا ومعفو عنهم في جميع ما جرى ومقبولون عندنا ولا  
خرج عليهم وان أيتهم بعد هذا الا الجحود والاعراض عن الابابة الى الله  
المعبود وسلوك سبيل الضلال اعتماداً على المكر والحيل واغتراراً بالحيل فاعلموا  
انكم لن تستطيعوا الخروج عن أسر القدرة الالهية ولا بد من وقوعكم في  
القبضة وتذوقوا السوء بما صدتم عن سبيل الله وذنبتكم عليكم فانا قد أنذرناكم  
ولا رشادكم دللناكم ومن أنذر فقد أعذر أسأل الله الذي يضل من يشاء ويهدي  
من يشاء أن يجعلكم من أهل الهداية الذين سبقت لهم العناية وأن يحل

هذا البيان منكم محل القبول انه اكرم مشول هذا والسلام سنة ١٣٠٢ ٧ رجب

### واقعة كورتي وقتل الشيخ الهدي

لما وصل الشريف محمود الى مسكر الهدي بلغ مصطفى ياور باشا انهما يتأهبان للجوم على الحدود فزحف عليهم في اربعمائة جندي بين نظاميين وباشبوزق وكان قائد الجنود النظاميين الضابط احمد افندي سليمان والجنود الباشبوزق تحت قيادة نوالدين بك وسليمان جبريل بك ولما اقترب من مسكر الشيخ الهدي اطلق الجنود الذيران فجاءهم الدراويش وهجموا على صفوف المسكر ببالة فريسة حتى اذا صاروا على مقربة منهم نحو مائة متر سقط من الدراويش ما تاقتيل وقتل الشيخ الهدي والشريف محمود والمغربي داعية طرابلس الغرب ونجا حسن خليفة داعية صعيد مصر وولي الدراويش منهزمين لايلون على شيء وتمزق شملهم كل ممزق وكانت عدة الدراويش نحو ستة آلاف مقاتل ولم يصب من الجنود غير ضابط من الباشبوزق أصابته رصاصة في صدره ثم عولج ولم يموت وكانت هذه الواقعة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠١ هجرية

### ذكر وصول ككتشنر باشا الى دنقلة

كانت الحكومة مرتابة في صدق بقاء مصطفى ياور باشا ومن معه من الحامية على الطاعة لان اخبار ممالأته التي تقدم لنا ايرادها كانت تصل اليها بصورة توجب الشك وقد روى لنا الضابط احمد افندي سليمان انه كان يقرأ وقتئذ في الجرائد الواردة عليه من مصر اخبار دخول مصطفى ياور باشا والحامية في طاعة المهدي وكان الضباط يحبون من الحكومة التي كان مصطفى

ياور باشا يشاورها في كل ما يديره من الخدمة والمالأة  
والقاهر ان ما كان يخبر به الحكومة مصطفى ياور باشا لم تكن تمتد  
صحته حتى ان الانكليز لما وصلت طليعة جيشهم الى حلغا انفسوا كتشتر  
باشا وكان وقتئذ ضابطاً في أركان حرب الجيش الانكليزي وكان متكرراً  
في ذي مغربي ومتعمداً بمهمة فوصل الى دنقلة والحامية زاحفة الى واقعة كوردق  
التي سبق لنا ذكرها ثم تأكد عنده بقاء الحامية على طاعة الحكومة وقدم  
نفسه للمدير فقول بما يليق به من الخفاوة والاكرام ثم بقى هناك متجولاً  
في أنحاء المديرية يرافقه وكيلها احمد جودت بك حتى وصلت الحملة الانكليزية  
التي زالت مخاوفها بعد ان أوقف كتشتر باشا الحكومة على الحقيقة التي كان  
فيها ملتبساً عليها

### وصول الحملة الانكليزية الى دنقلة

لانطيل على القاريء الكلام في سرد ما كان من أمر الحملة الانكليزية  
التي أرسلت بعد تردد واحجام كانا السبب الإكبر لفقدان قائدها حيث صارت  
هاته الحملة كأنها لم تكن وذلك لأنها لم يكن الباعث لارسالها الا انقاذ فردون  
باشا وقد علم القاريء انها لم توفق للقيام بهذا العمل  
وفي أواخر شهر صفر سنة ١٣٠٢ تكاملت الحملة الانكليزية في (كوردق)  
وتعين للورد ولسلي قائداً حاملاً وأخذت في الاهبة والاستعداد لمتابعة السير  
الى جهة الجنوب فقرر الرأي على انفاذ حملتين تسير اخدهما في طريق الصحراء الى  
التمشة في (عطبور جعدول) وتسير الثانية في طريق النيل قاصدة بربر

## حملة الجنرال ارل وقتله بواقعة كربكان

عين اللورد ولسلي الجنرال (ارل) قائداً لحملة النيل فصار من (كورتى) ومعه نحو ثلاثة آلاف جندي انكليزى ونحو خمسمائة زورق نقل الجنود المشاة أما الفرسان والطوبجية فانهم ساروا حيلال القوارب في الضفة الغربية وكان الطابور الاول المصري من حامية دنقلة يسير في الضفة الشرقية يقوده البكباشى احمد افندى سليمان الذي كان قبل قيام الحملة حائزاً لرتبة الصاغول اغاسى فرق الى رتبة بكباشى بناء على الشهادات الحسنة التي قدمها المدير الى اللورد ولسلي بخصوصه

واستمرت الحملة في سيرها ثمانية أيام وفر أهالي القرى الى الجهات الجنوبية وتركوا قراهم حتى بلغت جهة كربكان بالقرب من أبو حمد وهناك علمت أن نحو الالف مقاتل من الدراويش تحصنوا بجبل منيع ليقاوموا هاوروا في وجهها فانضمت القوة المصرية الى القوات الانكليزية في الضفة الغربية وهاجمت معقل الدراويش من الجهة الشمالية فاطلقوا النيران عليها ثم قسم الجنرال (ارل) القوة وترك قسماً منها يناوش العدو من جهة الشمال وهجم بالقسم الثانى على العدو من جهة الجنوب الغربي فاستولى على المعقل وقتل الدراويش عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم غير خمسة أشخاص أصيبوا بجروح بليغة وأصيب الجنرال (ارل) برصاصة قصت عليه وتولى قيادة الحملة بعده الجنرال (بركنبرى) ثم صدرت اليه الاوامر بالعودة الى دنقلة وذلك على اثر وصول الاخبار بسقوط الخرطوم وقتل الطيب الذكر غردون باشا وكان بازاء كربكان في الصحراء منهل اسمه (يرسانه) اجتمع فيه زهاء الفين من

الدرابوش اخذوا بشنود الزرة على موقع الحملة ليقطعوا عليها خط الرجوع  
فانتدب البتزل برنكنبرى البكباشى احمد افندى سايان والطاير الذى يقوده  
وأمره بالتربص خلف الحملة المطاردة أولئك فجرت بينه وبينهم عدة وقائع  
كان الفوز له عليهم فى جميعها وبقي معسكراً فى كربكان اسبوعين ثم قفل راجعاً  
الى دققة

هذا ما كان من أمر حملة النيل وسيأتى ذكر حملة الضحراء ووصولها  
الى الخرطوم بعد سقوطها بيومين

### واقعة ابو طليح

لما وصلت للمهدي أخبار وصول الجنود الانكليزية الى (كورتى) وأخبار  
تقدمهم الى الخرطوم عن طريق (عطمور جقدول) حيث ينتهى سيرهم  
الى شاطئ النهر فى جهة المئة التى كانت بواخر فردون باشا تنتظرهم فيها  
كتب المهدي الى محمد الحخير صاحب بربر يأمره بحشد الجيوش فى بربر  
لمقاومة حملة الجنرال (ارل) وانتدب موسى بن محمد حلو شقيق خليفة القاروق  
وأمره بآية الحضراء ومعه نحو ثلاثين ألف مقاتل من أولى القوة والبأس وهم  
من رجالة (دقيم وكثانة) الذين ذكرنا خبر مبايعتهم للمهدي يوم اجتاز النهر  
الابيض بعد واقعة (آبا) وشهدوا معه جميع وقائمه وحروبه وكان ذلك فى أوائل  
شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢

وتقدم المهدي لتشجيع الجيش وسار معه نحو خمسة عشر ميلاً ثم ودهم  
بعد ان بايعهم على ان لا يتركوا الانكليز يلبغون المئة وفيهم روق من الحياة  
ثم سار الجيش يقوده موسى الذى أطلق المنان لانصاره فهبوا جميع القرى

الواقعة بين المتنة وأم درمان واستباحوا النساء ومكثوا في الطريق نحو أسبوعين حتى بلغوا المتنة مع ان المسافة لا تتجاوز أربعة ايام مع السير البطيء وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ أنصر نصحي باشا وعساكره وهم في بواخرهم في المتنة جيوش الامير موسى زاحفة الي جهة (أبو طليح) وهي بئر في الصحراء تبعد عن المتنة بمسيرة ثلاث مراحل

هذا ما كان من أمر المهدي أما الحملة الانكليزية فلها سارت من (كورتى) في أوائل شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ وعدد جنودها نحو اربعين قائدا لها السر (هربرت استوارت) فوصلت الي أبو طليح في النصف الثاني من شهر ربيع الاول وتقدم نحوها الامير موسى بالثلاثين الف مقاتل الذين معه وانضم اليه بضعة آلاف من مقاتلة الجليلين فالتقى بالحملة في (أبو طليح) وهجم عليها كما تهجم الاسود على الثرائس ولم يكن الاكلح البصر حتى اختلط المسكران وصارت المحاربة بالسلاح الابيض وعندئذ قتل القائد السر Herbert استوارت وتولى القيادة بدله الجنرال (بول) فتسكن من التمهقر تاركا أحماله وأثقاله في ساحة المعركة فاشتغل الدراويش بالنهب والسلب مدة وجيزة تمكن القائد في خلالها من إعادة النظام بين جنوده الذين أظهروا من البسالة والتهبات ما حير العقول حيث كرتهم على الدراويش وأمرهم نيرانا حامية فسقط من الدراويش نحو ستة عشر الف قتيل وقتل الامير موسى ونحو عشرين قائدا من قواده الذين هم من اكبر قواد جيش المهدي واكثرهم تمسكا وتصدقا بدعوته وتمسك بقية الدراويش باذيال الفرار وهم مذعورون لا يصدقون بالنجاة وقد رأيت رجلا منهم في أم درمان أصيب بجحون عقب هذه الواقعة فقال لي ان الانكليز شياطين وليسوا آدميين لانهم بعد ان هزمونا في (أبو طليح) دخلوا

اجسامنا واحتلوا رأسي وأنا لا أدري كيف ادفنهم عن قسي . ووصلت أخبار  
هذه الهزيمة الى المهدي فكان من أمره ما تقدم لنا لمراده حيث حول على إسقاط  
الخرطوم الذي جرأه على الاقدام عليه صهر ابراهيم الصنjqق الذي ذكرنا نبأ  
فراوه وبعد انتصار الحملة أرسل القائد كتابا الى المتمة قال فيه ما يأتي

نحن أول فرقة من جيش جلالة الملكة جئنا لكبح جماح الاشقياء  
المتبردين وانقاذ مدينة الخرطوم فان أردتم الدخول تحت طاعتنا فليكم امان  
الله وامن جلالة ملكتنا وعليكم ان تقابلونا جنوب البلدة ناشري رايات  
الخضوع والتسليم واعلموا أنكم ان لم تفعلوا ذلك يحل بكم ما حل بالذين  
حاربناهم في أبو طليح وحينئذ يتجهون ثمار ما فرسته أيديكم والسلام

ولما وصل هذا الكتاب الى أهالي المتمة أدخلوا البلدة وعسكروا شمالها  
وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني وصلت الحملة الانكليزية الى المتمة  
وتحصن الدراويش في البلد فهاجمهم الانكليز بثبات غريب والحقت قنابلهم  
ومقدوفاتهم اضرارا كثيرة بمواقع الدراويش ومتارسهم

واجتمعت الحملة بالواخر التي كانت مرسلة من غردون للاستكشاف  
تحت قيادة محمد نصحي باشا وعسكرت الحملة في قرية ( القبة ) جنوب المتمة  
وتحصنت فيها :

وهنا نقول لو أبحرت الحملة منذ وصولها الى الخرطوم لما سقطت  
ولكنها بقيت في المتمة خمسة أيام

وفي يوم السبت سابع ربيع الثاني أبحر (المرشارلس ولسن) مدير غابرات  
الحملة لانكليزية على الباخرة (ردين) و(تلحوين) قاصدا الخرطوم وكان سفره قتيلا  
غروب الشمس وسير بواخره بطيئا جدا لانخفاض ماء النهر وامامه شلالات



وفي مساء يوم سقوط الخرطوم سمعوا الصياح على ضفتي النهر بسقوط  
المدينة وقتل الطيب الذكر فردون فلم يصدقوا ذلك حتى كان يوم الاربعاء ١١ ربيع  
الثاني و ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ وكنت اذ ذاك في سجن بيت المال فسمعت الحراس  
يقولون لبعضهم «شددوا الحفظ على الاسرى لان بواخر الانكيز ستصل الي  
الخرطوم اليوم» وركب المهدي وخلقواؤه ووقفوا في أم درمان والراس  
والمقذوفات تساقط على الباخرتين قبل ان يبلغا أم درمان بنحو عشرين ميلاً  
والراية الانكيزية تخفق فوقها حتى وصلنا الي ملتوي النهر وهما قاصدتان  
سراى فردون فاطلقت عليهم المدافع من طاية (القرن) التي لا تبعد عن السراى  
بأكثر من ميل وعندئذ أيقن السراى شالس ولسن بسقوط الخرطوم وقتل  
فردون فارتد راجعاً من حيث جاء ولما أبصر المهدي الباخرتين عائدتين نزل  
عن دابته الي الارض وخر ساجداً شكراً لله الذي أوقع الخرطوم في قبضته  
قبل ان يبلها الانكيز

وفي اليوم التالي اصطدمت الباخرة تلحوين بحجر في (شلال رحام)  
ففرقت وانتقل السراى شارلس وجنوده الي الباخرة الثانية التي غرقت أيضاً  
بعد يومين واضطروا لأن يتحصنوا في جزيرة (ولد الحيشي) حتى تدركهم  
النجدة من معسكر التمة وبعد يومين ادركتهم باخرة اغذتهم بعد ان أحاط  
العدو بهم وهاجمهم عدة مرات

ذكر تعيين عبد الرحمن النجوي لقتال الانكيز في التمة  
وفي يوم ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ شيع المهدي عبد الرحمن النجوي  
وأبا قرجة والحيش الذي كان معهم لقتال الانكيز في التمة وكتب منشورا

الى ضباط وعساكر الحملة الانكليزية يدعوم فيه الى الاسلام وهامي صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد  
فن المبد المفتر الى الله محمد المهدي بن حيد الله الى كافة ضباط وعساكر  
الانكليز خصوصا الاعيان والرؤس . أرشدكم الله الى اتباع سبيل النجاة قبل  
البوس . وجعلهم من اللاتئين بجنابه العزيز آمين . انكم اذا تدبرتم بقولكم  
وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته علمتم ان مخالفته شنيعة ولا  
ينبغي لكم الا امتثال امره واجتناب نهيه والهروب منه اليه وقد أظهرنا  
للدعاية الى حماء . والدخول في ساحة كرمه وعطاياه . فيها الى ذلك واغتسموا  
سماذتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا وأسلموا يؤتكم الله أجرهم مرتين  
ولا تعرضوا فتكونوا من النادمين كراشد ويوسف حسن الشلالى وعلاء  
الدين وهكسى وغردون لانا أنذرناهم مراراً . ودعوناهم فما زادهم ذلك الا  
فراراً . فذاقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى والسמיד  
من انعط بغيره . وهذا انذار لكم فاذا بانتمكم وأردتم الفوز العظيم . والنعيم  
الدائم المقيم . فلبوا اجابة دعوتنا الى الله وبادروا بالتوبة قبل تمذرها عليكم وقد  
توجهت اليكم جنود الله ولا طاقة لكم بمحاربتها ولكن من باب الشفقة  
عليكم أمرناهم ان لا يحاربوكم الا بعد وصول هذا لكم وتحقق الابهاء منكم  
عن الاجابة وأن لا يؤذوكم ولا يتعرضوا لكم في شيء من حقوقكم الخاصة  
اذا سلمتم ماعدا حق الميرى والاسلحة والجباخين فان سلمتم فعليكم أمان الله  
ورسوله وأمان المبد لله وتكونوا من ضمن أنصارنا وليس قصدنا استبعاد

أحد ولا ارادة جاء ولا ملك في الدنيا ولا رغبة لنا في حياتها ولا في لئلتها  
القائسة بل انما قصدنا الدلالة الى الله كما أمرنا الله ورسوله بذلك والا اذا  
خالقتم فلا تقبل منكم صرفا ولا عدلا وسترون ما يحل بكم واصفوا باذانكم  
الواعية لما أقول ان كان لكم حقول فان الله تعالى قد اظهرني رحمة لمن اطاعه بأباعي  
ونقمة على من عصاه بمخالفتي وأيدني منه بالنصر والظفر وأمدني بهم رسله  
وأنبأه بولائكته وأوليائه فلا يقدر على محاربي الثقلان ولو كان بعضهم لبعض  
ظهيراً ولو شئت لبعض الله سلاحكم بحيث ان أصحابي يقتلونكم ولا يقتلون ولكني  
اخترت بتوفيق الله تعالى الشهادة لهم في سبيل الله اقتداء برسول الله صلى الله  
عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فايكم والفرور فان جند الله غالب وفي  
هذا كفاية لاهل العناية والسلام ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٠٢

### ذكر عود الحملة الانكليزية الى دنقلة

بعد انقاذ السرايس ولسن من (ولد الحبشي) علمت الحملة ان جيشا  
كثيفا تحت قيادة عبد الرحمن النجومي قادم اليها كما انه يوجد جيش من  
الجمليين معسكر شمال التنة فنصبت أشباها من الحشب يخالها الرأي  
من البمد فرسانا وأوقدت مصابيح من البترول ثم ارتحلت الحملة أول الليل  
في ظلام حالك وجدت السير حتى بلغت منهل (أبو طليح) ولم يعلم أحد من  
الدراويش المسكرين حولها بمغادرتها (القبة) حيث كانوا يرون التماثيل  
فيظنونها الجنود واقفة في حصنها وفي الليل يبصرون المصابيح فوق الحصن  
وهم لا يشكون في شيء من أمر بقاء الحملة وظلوا على هذا الحال ثلاث  
ليال وهم يطلقون الرصاص على المقتل وفي صبيحة الليلة الثالثة انكروا

سكوت الحملة عن مجاورتهم فتقدم أحد الدراويش حتي صار علي مقربة من الحصن فرأى التماثيل والمصابيح موقدة ليل نهار وعلم أن ضوء النهار هو الذي كان يحجب نورها فرجع وأعلم الباقيين وأسرع مع ثلاثة آلاف راكب ليحلقوا الحملة في أبو طليح وكانت غادرتها منذ ليلتين وصارت علي مقربة من (كورتى) التي بها اللورد ولسلي فلم يمد في الامكان اللحاق بها

ووصل عبد الرحمن النجوى الثمة بعد ان غادرتها الحملة ببضعة أيام . وفي آخر شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠٢ وصلت الحملة الى (كورتى) وقدم السير شارلس ولسن تقريره عن سقوط الخرطوم ومقتل الجنرال غردون ولما وصلت أنباء مفادرة الانكيز للمتمعة للمهدى سر بها وكتب الى محمد الخير أمير بربر يأمره بجمع الجيوش والتقدم الى حدود دنقلة وفي شهر شبان سنة ١٣٠٢ أخلى الانكيز دنقلة وعقب ذلك دخلها محمد الخير واستولى على الاقليم كله وبلغت جيوشه جنوب حلقا ومن ثم صارت الاقاليم السودانية تحت سلطة المهدى وأخذ يخبر من حوله من الاتباع بأنه سينزحف على دنقلة بعد بضعة شهور ومنها الى القاهرة وبث رسولين يحملان كتابين أحدهما برسم المنفور له الخديو الاسبق والثاني برسم سكان مصر وهما صورة الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد الملتزم بالله محمد المهدي بن عبد الله الى خديو مصر لا يخفى على من نور الله بصيرته وشرح صدره ان الدين الذي يكون المتمسك به ناجيا عند الله هو دين الاسلام الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من

الملك العلام قال تعالى «ان الدين عند الله الاسلام» وقال تعالى «ومن يتبع غير  
 الاسلام ديناً فلن يقبل منه» وما سوي ذلك من الاديان فضلال يدعو الشيطان  
 اليه حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ومن منحه الله تعالى عقلاً يميز به بين  
 الحيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه الا فيا ينتج خلاصه عند الله يوم تول  
 الاقدام. ويشيب الطفل ويشد الزحام. والا كان أسوأ من البهائم حيث أضاع  
 حكمة تركيب العقل فيه ولا سبيل الى السلامة عند الله الا اتباع دينه. واحياه  
 سنة نبيه وأمينه. وامانة ما حدث من البدع والضلال. والانا به تعالى في  
 كل الاحوال. وقد تأكد ذلك في هذا الزمان. الذي عم الفساد فيه سائر البلدان  
 فان دسائس أهل الكفر التي ادخلوها على أهل الاسلام. وضلالاتهم التي  
 مكنوها من قلوب الانام. قد أفضت الى اندراس الدين وعطلت أحكام  
 الكتاب والسنة يتيقن. فصارت شعائر الاسلام غريبة بين الانام. وتراكت  
 الظلمات وانتشرت البدع وأبيحت محارم الاسلام. واشتد الكرب على أهل  
 الايمان. فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البني والعدوان. فعند  
 ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لبياده لا تقضم من ظلمة الكفر  
 الى نور الايمان. وأدلهم الي الله علي هدي منه وتبيان. وطوقني بالخلافة الكبرى  
 المهديّة. وخلع علي حلالها البهيمة. وبشرني سيد الوجود صلي الله عليه وسلم بالنصر  
 علي كل من يباديني ولو كان الثقلين وبأن من يقصصني بمداوة يخلّذه الله  
 في الدارين. وقدرني سيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب اعدائي  
 يسمى اممي أربعين ميلاً وأخبرني بأني أملك جميع الارض وبأن من شك في  
 مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمه للمسلمين وبأن الله قد أيدني  
 باللائكة الكرام والجن والاولياء احياء وأمواتا وهكذا من البشارات والمعجائب

التي يطول شرحها وكل ذلك بحضرة الملائكة المقربين والحلقاء الاربعية  
والخضر عليه السلام وما كنت أترقب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله اياه  
بل كنت أسأله أن يجعلني معينا لمن يقوم به فلما أراد الله ما كان. وحتم الامر  
عليّ من سيد الاكوان. قتت باعباء هذه الجمالة واعتصمت بالله وتوكلت عليه  
وأخبرت الحكمداية باني المهدي المنتظر وقد كان بها محمد رؤف وما تركت  
لاهلها في ايضاح هذا الامر شيئا وأنا في انتظار الاختبار. وتسليم الامر لله  
الواحد القهار. فما كان منهم الا أن ضربوا عما أخبرتهم به صفحا وطووا عن  
قبوله كشفا. وبادروني بالمحاربة من غير روية ولا ثبوت في هذا الامر الديني  
الذي جئتهم به من خير البرية فأيدني الله عليهم كما وعدني وهكذا صارت  
جيوشك تأتي نلة بعد نلة وأقدم لهم الانذارات ولم تنفعهم والله يؤيدني  
وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم الى أن قلت جيلتك وتلاشي أمرك  
فسلنت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاعداء الله الانكايذ وأحلت لهم  
دماءهم وأموالهم وأعراضهم فجاء الانكايذ بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم  
على غير الله فلما سول الشيطان لهم ادراك فردونهم بالخرطوم وأيسست من  
هداية أهله وعلمت أن تكرر الانذارات لا ينفعهم وحققت عليهم كلمة المذاب  
وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم « سؤالا عليهم أنذرتهم أم لم  
تنذرهم » الآية عجل الله بفتحهم واهلاك من فيه وأحرقت النار أجسامهم صيانا  
كالذين من قبلهم اظهار الحقيقة وتسجيلا للمقوبة وصدق عليهم قوله تعالى  
« حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية ثم أنذرت الانكايذ فلووا  
رؤسهم فوجت اليهم طائفة من الانصار فتذف الله في قلوبهم الرعب فولوا  
هاربين بعد ان أهلك منهم من أهلك وشقت شملهم وهذا كله ليس بخاف

عليك ولا زال حزب الله مقتنياً أثر باقهم وعن قريب يحل به من الدمار ما يكون عبرة لمن اعتبر. هذا وإن المؤمن المصدق بوعد الله لا يرى بلجيع ماني الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي ماله إلى الزوال وعظيم النكال. وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند الله من النوال في دار الكرامة والافضل. فإن الدنيا لو بقيت للاول لم تقتل للآخر. ومن هنا نعلم أن هذا الملك لم يصل اليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك وحيث كان الامر كذلك فلا ينبغي لك أن كنت ترجو من الله نعيم الأبد أن تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا بمخافيرها فصدق النظر واجمع عليك فكرك وتدرك نفسك واسمع فيما يخبرك عند ربك إذا تمثلت بين يديه وسألك عما جري منك وسلم الامر إليه وسلم وما كان يحسن منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستمين بهم على سفك دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألم تسمع قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم» الآية وقوله تعالى «لا تتخذوا ما يؤمنون بالله واليوم الآخر وادعوا من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق» الآية وقوله تعالى «يا أيها الذين لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء» الآية وما هذه الطاعة لأعداء الله والله تعالى يقول «يا أيها الذين آمنوا ان طيعوا فاعرفوا شأنهم الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله» إلى أن قال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا

تموتن الا وانتم مسلمون ، الآية فاذا كنت ممن ينظر بعينه بصيرته ولا يؤثر  
متاع الدنيا الحسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك وبادر الى النجاة والسلامة  
المعتبرة وهي سلامة الايمان ونزه نفسك عن ان تكون في اسر أعداء الله  
دائماً ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وافضل  
ما جرى منك بدموع الندم ولا تسكرت بهجاء الدنيا الثاني ولا يملكها الزائل  
فان لله دارا خيرا منها وقد أعدها لعباده التواضعين لجلاله قال تعالى « تلك  
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة  
للمتقين » الآية وإياك والركون الى أقوال علماء السوء الذين أسكرم حب  
الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهلكوك كما أهلكوا من  
قبلك في الحديث القدسي « لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك  
عن طريقي أولئك قطاع الطريق على عبادي » ولا تقتر بقوة حصن بدت  
وكثرة أسلحتك ووردك الظاهرية ومظاهرة أهل الكفر لك فانها لا تنفي  
عنك من الله شيئاً ولم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون للنيمة من هو  
أشد منك قوة وأكثر جما لما بنوا وعشوا في الارض مفسدين وليكن  
في علمك ان أمرنا هذا ديني مبني على هدى من الله ونور من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ومؤيد من عند الله بجنود ظاهرية وباطنية وما قصدنا  
فيه الا احياء الدين وازهار آثار الانبياء والمرسلين ولا نريد مع ذلك ملكا  
ولا جاهاً ولا مالا فان نور الله بصيرتك وغالبت النفس الامارة بالسوء  
وقبلت هدينا وأثبتت الي الله بنية خالصة فليك أمان الله ورسوله واماننا وما  
بيننا وبينك الا المحبة الخالصة لوجه الله تعالى ونكون نحن الجميع يداً واحدة على  
اقامة الدين وإخراج أعداء الله من بلاد المسلمين. وقطع دابرهم واستصلحهم



من عند آخرهم ان لم يفيوا الى الله ريسلوا وقد حررت اليك هذا الكتاب  
وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا على هدايتك فارجو الله ان يشرح  
صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين، وما انا قادم الى  
جنتك بجنود الله عن قريب ان شاء الله تعالى فان امر السودان قد انتهى  
فان باردتني بالتسليم لامر المهديّة. والانا به الى الله رب البرية. فقد حزت  
السعادة الابدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يحيب  
دعوتنا معك وان أبيت بعد هذا الا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد  
فاثما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت  
في بروج مشيدة وهذا انذار مني اليك وفيه الكفاية لمن أدركته النياية  
والسلام على من اتبع الهدى (الكتاب الثاني).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبمد  
فن العبد المتعصب بالله محمد المهدي بن عبد الله الي كابة سكان مصر حكاما  
وتجارا وعمدا وغيرهم وفقهم الله وهداهم. ولرشادهم ولاهم. أمين. أهدي لكم  
السلام وأعرفكم ان النجاة من عذاب الله اثمان تكون للمتمسك بدينه الذي جاءنا  
به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رأيت ما ناله من الاندراش الذي لا يخفى  
ولما ان أراد الله إحياءه واظهار شعأره انجز موعد نبيه محمد صلى الله عليه  
وسلم فظهرني بالخلافة المهديّة. وأمرني بدعاية الخلائق الى العمل بالسنة المرضية  
ومن عهد ظهوري بهذا المظهر الديني مازالت دولة الترك تميش جيوشها  
وترسل رجالها لمحاربتني من غير استناد الى دليل شرعي. ولا حكم شرعي. بل رغبة  
في ملك الدنيا القاني الذي مآله الحسرة والندامة. وجلب عذاب الله يوم القيامة

وما زال الله يؤيدني وينصرني عليهم نصرا من عنده لا يحولي وقوتي وقد أهلك  
الله جميع عساكرهم الذين بالسودان علي يدي وأحرقهم بالنار عيانا شاهدهم  
جميع من رآهم حين قتلهم الله بسيفي وما ذلك الا اظهار لكفرهم وتعجيل  
لمقوبتهم ولا شك ان جميع ذلك قد بلغكم وتواتر اليكم من الواردين. وما  
زلم عن الحق معرضين. وعلى حب حطام الدنيا الحسيس عاكفين. مع علمكم  
بان الله قد ذم هذه الدنيا في جميع كتبه السماوية ولا سيما القرآن فقد أكثر  
من ذمها فيه ويكفي من ذلك قوله تعالى «اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة  
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كشل غيث أعجب الكفار نباته  
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة  
من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الفسور» وقوله تعالى «وما هذه الحياة  
الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة هي الحيوان» ولنظم شأن الآخرة عنده  
أعدها لبيادة المؤمنين وجعل لهم فيها من النعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
ولا خطر علي قلب بشر وأكرمهم فيها بالنظر الى وجهه الكريم ودعاهم اليها  
بقوله تعالى «وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض  
أعدت للمتقين» الآية وحيث فهتم خسة هذه الدار القانية وعظم تلك الدار  
الباقية فيلزمكم الاعراض عن هذا القاني الحسيس. والمسارة الى حوزنيم الابد  
النفيس. ولا يخفى عليكم ما حصل منكم من التفريط في جنب الله وترصص الدوائر  
بجذب الله بالكون الى محبة نصرة أعداء الله ومع ذلك فقد ساءحناكم في جميع  
ما جري منكم ان بادرتهم الى اجابة دعوتنا والانتظام في سلك اصحابنا أول وصول  
كتابنا هذا اليكم ولا نقول لكم الا كما قال يوسف عليه السلام لاختوته  
«لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» وليكن في علمكم

ان أمر الدودان قد انتهى ونعمن قادمون على جهنكم بحزب الله قريبا ان  
 شاء الله وما كاتبكم بهذا الكتاب الا شفقة عليكم وخوفا من أن يحل بكم  
 من العذاب ما حل باخوانكم الذين خالفوا أمرنا وغرتهم الاماني واعتدوا  
 على قوتهم الظاهرية التي أنسهم قدرة الله على كل شيء فان شرح الله صدوركم  
 وتلقبتم أمرنا هذا بالقبول فأنشروا بخير الدارين وعليكم أمان الله ورسوله  
 وأماننا في أنفسكم وأموالكم وأعراضكم أنتم وجميع من يحجب دعوتنا منكم  
 وان ضربتم عن مقالنا هذا صفحا فاعلموا ان الله تعالى قادر قاهر لا يميزه شيء  
 في الارض ولا في السماء وقد وعدني بالنصر وأيدني بآلائه وجنده وأوليائه  
 واخبرني بملكى جميع الارض وبانه لا يثبت لقتالي انس ولا جن ولا بدذان  
 الله من وقوعكم في قبضتنا ولو اتخذتم نفقا في الارض أو سلما في السماء  
 وستعلمون غدا من الكذاب فياعباد الله ارفقوا بأنفسكم وأصلحوا عاقبة  
 أمركم ودعوا هذا الاعراض والتلاهي بشهوات الدنيا المنغصة بالملل والاسراض  
 وتشوقوا للقاء الله فان الدار آخرة والحياة آخرة وهذه الدار قد ولت مدبرة  
 فاتخذوها معبرة وبحكم وبحكم ان لم تداركوا نفوسكم وتنشلوها من هذا  
 الوحل اللغضي بكم الى الدطل وإياكم ان تفتروا بقوة حصن بلدكم فان الله  
 أقدر من كل قادر وكم أهلك قبلكم من أهل الحصون المنيعة من هو أشد  
 منكم قوة واكثر جمعا فاعتبروا بهم وبما فسله الله بهم لما بنوا وعشوا في  
 الارض مفسدين فآله الله عباد الله هلموا الى النجاح والفلاح قبل قص  
 الجناح وهذا ما حبرته اليكم وأنذرتكم به ولاداعي الي التطويل فان الهداية  
 من الله الجليل أسأل الله أن يلمكم رشادكم ويأخذ بنواصيكم الى طريق  
 سدادكم هذا والسلام

## ذكر فداء القسوس والمسيحيين

لما سقطت الخرطوم أسك اللورد ولسلي محمد. عبد القادر وحاج شرفي محمد نور وشريف ساتي على وعبد القادر عبد الكريم ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شرفي بن القاضي محمود وكلهم من أقارب المهدي وأنسابه وزجهم في السجن وهدم بالقتل ان لم يكتبوا الى قريبهم المهدي يسألونه فداء بما عنده من الاسرى المسيحيين صموما والقسوس خصوصاً فكتبوا كتاباً الى المهدي قالوا فيه انهم مهدون بالقتل لان يتداركهم بالفداء بما عنده من القسوس والمسيحيين مراعاة لحق القرابة فاجابهم بكتاب قال فيه ان المسيحيين الذين لديه قد اعتنقوا الاسلام ديناً وتشرعوا بصحبته والانتماء اليه حتي انهم صاروا أقرب اليه منهم كما ان الذين أسكهم اللورد ولسلي تجمعهم وياها جامعة الكفر ثم غتم الكتاب بتوله لذوي قرابته لابد من وقوعكم في قبضتنا انتم واللورد ولسلي وتذوقون السوء بما صدتم عن سبيل الله وفي الكتاب تعنيف شديد لهم على جرائمهم بمخاطبته بمثل هذا الطلب ولما وصل كتابه الى اللورد ولسلي أطلقهم من السجن واغدى لهم العطاء وأعادهم الى وطنهم

هذا ولما علمت وأنا بأم درمان بأمر هذا الفداء تذكرت ما قاله لي الأسوف عليه فردون باشا حيث قال لي انك لا تجد من يسمى في خلاصك من الاسر وقد ساء وقع هذه الحادثة في نفسي ونفوس سائر الاسرى المعبرين الذين علموا ان حكومتهم لا تسعى في خلاصهم من الاسر الا اذا كانوا مسيحيين ولكن خفف عني بعض ما أجده سمي السر غرانفيل باشا

سردار الجيش المصري في فكاكي من الاسر . على انني شكرته وان لم يقرن  
سميه بالنجاح ويد الله كل شيء

### ذكر توجيه الجيش لمحاربة سنار

ذكرنا ما كان من بداية الثورة المهدوية حوالي سنار وما كان من اعتمادها  
على يد عبد القادر حلمي باشا

ولما سقطت الخرطوم في قبضة المهدي وجه ابن عمه محمد عبد الكريم  
في نحو عشرين الف مقاتل لتضييق الحصار على سنار فوصل اليها في أواخر  
شهر رجب وأحاط بها احاطة السوار بالمصم وسنعود الى ذكر تلك الحوادث  
حيث كان سقوط سنار بعد وفاة المهدي بثلاثة شهور

ولما ذهب المهدي لوداع الجيش خطب خطبة قال فيها ما يأتي  
يا أنصارى الصادقين سيروا على بركة الله لقتال كفار سنار واعلموا ان  
الله معكم عليهم وسينصركم نصراً عزيزاً لانكم حزب الله وأوليائه . وهم  
حزب الشيطان وحزب الله أقوى من حزب الشيطان وقد بشرني النبي  
صلي الله عليه وسلم بفتح سنار قريباً وانه بعد انقضاء شهر رمضان نقدم  
الى دنقلة ومنها الى مصر وفي العام الآتي نكون قد تجاوزنا مصر حيث نكون  
على أبواب الحرمين الشريفين

### ذكر انتداب الشيخ الحسين زهراء الى كسلا

انتدب للمهدي الشيخ الحسين زهراء ومعه ابراهيم عالم الخلاوي ومحمد  
هزة البربري الى كسلا الاول والثاني بصفة نايبين عنه ليعقد مع مدير كسلا

شرط المصالح والثاني بركة أمين لبت المال

فدأروا قاصدين كسلا وما كادوا يلبثونها حتى فاجأهم نبي المهدي  
الذي بث في الحامية روح الثبات وأخذت تماطل في وضع شروط التسليم ريثما  
يصلها الرأس ألولا الجبشي الذي طاهد الحكومة الحديوية على انقاذ حامية  
كسلا وكان من أمره ما نأني عليه ضمن حوادث تلك المدينة حتى سقوطها  
الذي حصل بعد وفاة المهدي



ذكر وفود عوض الكريم ابي سن زعيم الشكرية على المهدي  
ذكرنا ما كان من أمر عوض الكريم ابي سن زعيم قبيلة الشكرية  
وامتناعه من الدخول في دعوة المهدي واعتصامه بقيبلته في صحراء (بره)  
بين النيل الازرق ونهر (اتبره)

ولما سقطت الخرطوم انفذ المهدي جيشا يبلغ ستة عشر ألف مقاتل الى  
قرية (رغاة) ليزحف منها الى صحراء (بره) حيث يلتقي بموض الكريم ابي  
سن الذي فر من وجه الجيش وغادر محلة قاصداً أم درمان ولدي وصوله  
اليها علم ان المهدي موجود بالخرطوم فاجتاز النهر واستجار بمحمد صالح ساتي  
على عم والد المهدي ووضع على رأسه تراباً في رقبة جيزيراً من الحديد علامة  
على انه نائب نادم على ما فرط منه وقدم نفسه للمهدي في سلامك الحكمدارية  
فذهب محمد صالح ساتي على الى المهدي وقال له انني اجرت عوض الكريم  
والتمس منك ان تصنع عن زلته وتمسك عن عقابه وكان عبدالله التنايشي  
حاضراً فامتنع لونه وهم بالقيام من مجلس المهدي ليأمر بضرب عنق الرجل  
قبل ان يفوه المهدي بكلمة الغفوة فامسك بملايسه محمد صالح ساتي على

وقال له كما أنني أطلب له العفو من المهدي فأنني أطلبه منك أيضاً لأنك خليفة  
الصدق وأمير جيش المهدي المشار اليه في الحضرة النبوية فبسم التعاشي  
بسبب هذا المدح وقال له ان عفوي لا يكون الا تبعا لعفو المهدي فاجابه المهدي  
بأنني عفوت عنه وأمر بادخاله ونفض التراب عن رأسه وإطلاقه من الجنزير  
ثم بايحه البيعة المألومة والتي عليه التعاشي بتقديم اثخاها أن لا يفارق معسكر  
المهدي حتي المات وسنعود الى ذكر ما حاق به بعد موت المهدي حيث  
قتله التعاشي صبراً وأفى قبيلته كلها وصادر جميع أموالها والدوام لله

### ذكر تعيين حسين باشا خليفة

داعية من قبل المهدي في قبيلة العبابدة

تقدم لنا ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر وكيف كان سقوط المديرية  
على يده. ونقول الآن ان حسين باشا المذكور غادر بربر على اثر سقوطها ولحق  
بالمهدي في كردفان فلقاه بالاكرام وعامله معاملة صديق لامةالة أسير حتي  
سقطت الخرطوم. وكان من يومئذ يتودد لعبد الله التعاشي ويظهر له  
الاخلاص ويعرض عليه قدرته على القيام بدعوة المهدي بين قبيلة العبابدة التي  
تسكن حوالى اسوان

وفي شعبان سنة ١٣٠٧ كتب له كتاباً بالامارة على قبيلة العبابدة فصار  
من أم درمان في منتصف شعبان حتى اذا صار على مقربة من « ابو حمد »  
وصل اليه كتاب من عبد الله التعاشي يدعو الى العودة الى ام درمان  
فلم ان سبب ذلك وفاة المهدي فتابع سيره حيث لم يكن يشه وبين الخروج  
من منطقة نفوذ المهدي في يوم وليلة حتى بلغ الحدود المصرية آتياً وسلم للحكومة

أو امر المهدي التضمنة تمينه أميراً على قبيلة العباددة  
ولما وصل حسين باشا خليفة الى مصر صممت الوزارة على معاقبته فوجد  
بين أعضاء الوزارة من دافع عنه وأقنع زملاءه بوجوب ترك معاقبته حيث  
انه جاء طائفاً مختاراً ثم كان من أمره ما نحن في غنى عن ايراده

### ذكر ضرر بخانة نقود المهدي

ذكرنا المقادير العظيمة التي غنمها المهدي من الحرطوم من الذهب والفضة  
وفي أواخر شهر جمادى الاولى جمع أمين بيت المال الصباغ وأمرهم أن  
يضرّبوا نقوداً من الذهب على شكل الجنيه المصرى مكتوباً على صفحة منها  
(ضرب في مصر) وعلى الصفحة الثانية الطغراء العثمانية كما هو شأن الجنيه  
المصرى وزنة هذا الجنيه نحو ثلاثة دراهم من الذهب السناري الذي لا يشوبه  
أقل زغل وقيمته مثل قيمة الجنيه المصرى أى مائة قرش وأن يضرّبوا رايالاً من  
الفضة زنته ثمانية دراهم منقوشاً على وجهه (ضرب في الهجرة) وعلى الوجه الثانى  
طغراء نقش فيها « بامر المهدي » وقيمة هذا الريال عشرون قرشاً مصرياً  
وبعد وفاة المهدي جمع التبايشي هذه السكوكات وأبدلها بالريال الذي  
سماه « مقبول » وسيأتى ذكر ذلك في مكانه

### ذكر ختان أولاد المهدي

كثيراً ما كان ياتنا ونحن محصورون في الحرطوم ان المهدي مصمم على ختان  
أولاده في جزيرة (آبا) التي جاءته مرتبة المهديّة فيها وكثيراً ما نقل لنا الجواسيس  
انه كان يقول لا تباعه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بختان أولاده في



تلك الجزيرة وقد ردد غردون صدى تلك الاشاعات في جريدته التي كان يكتبها يومياً زمن الحصار

وفي ذات يوم قال لي ما معناه داني أرجو ان تحقق هذه الاشاعة حيث يكون من وراء تحقيقها ما يخفف عنا ويلتصق شدة الحصار ويظهر ان المهدي لقرط دهانه كان يمد لنفسه اعذاراً للتمهق الى الوداء اذا اضطر له يوماً فكان يذيع بين الناس انه مأمور بختان أولاده في جزيرة (آبا) لكي اذا اقتربت الحملة الانكليزية من الخرطوم دون ان يظهر بها تمهق راجعاً وأظهر للملا أن هذا التمهق لختان أولاده لالجن أو عدم قدرة على الوقوف في وجه الحملة الانكليزية ولكن قدرته ظفر بالخرطوم وأمن شر الحملة الانكليزية فاقام معالم الافراح لختان انجالة في أم درمان وذبحت نحو مائة بدنة من الابل ونحو مائتي رأس من البقر والغنم وذلك غير ما قدمه الامراء من الهدايا والمطاعم . وبالجملة انه اظهر في ذلك الاحتفال أبهة الملك والتي بالرغم من تظاهره بالتباعد عن تلك الاحتفالات وكان يزعم ان أمين بيت المال هو الذي قام بها من عنده دون ان يكون المهدي عالماً بشيء منها

وكان أمين بيت المال يذيع ان المهدي كان لا يتناول شيئاً من خمس الثنائيم الذي يخفسه بل كان بفوض له اتفاقه في سبيل البر والاحسان وانه انفق منه نفقات الاحتفال بختان أولاد المهدي الذي تم في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٠٢

ذكر تعيين محمدان ابي عنجة على جبال كردفان

محمدان أبو عنجة قائد الجهادية وأصله مولى من موالى التعايشة وكان

منتظما في سلك عساكر الباشبوزق في دارفور بوظيفة (بولكباشي) أي قائد خمسة وعشرين جنديا

ولما لحق المهدي بجبال (قدير) كان أبو عنجة جايئا للحكومة في احمدى جنات دارفور فاغتال مبلغا من الضريبة وفر بها الى المهدي وهناك اجتمع مع عبد الله التمايشي وصار من حزه فجعله قائدا على (الجهادية) وصار من اكبر انصار عبد الله التمايشي وسيأتي انه فتح (قندر) من مدائن الاحباش الشيرة وعلى كل حال فان أبا عنجة ذو طباع شريفة وخلال حميدة ميمون الطالع ذودها يعرف به كيف يتمكن من امتلاك قلوب الرجال بالاحسان واللين ومن ألطف ما سمعته من قصة ان المهدي أهدي أبا عنجة امرأة حسناء كان أبوها صنيقا فاستاء أهلها وقالوا اذا وطئت بنتنا بملك اليمين أفلا تكون تحت حر بدل أبي عنجة العبد فنقل اليه الخبر ومع انه كان قادرا على التنكيل به لم يفعله بل استدعى أم زوجته وأعطاهما ألف ريال وجواري وملابس وهكذا فعل ببقية اصهاره ثم دس من يتل أخبارهم له ففيل لام زوجته ان صهره عبد فقالت انه والله فوق الاحرار وقيل لصهره مثل ذلك فقال «انما أصل التقى ما قد حصل» والخلاصة انه أرضاهم بالاحسان والحر كما لا يخفى اسير الاحسان

وقد أوردنا هذه البارة للدلالة على دهاء أبي عنجة وان النجاح الذي صادفه في جميع أحواله لم يكن غير نتيجة أعماله من أمثال هاته النادرة وفي شعبان سنة ١٣٠٢ هـ أدى التمايشي للمهدي رغبته في انفاذ حمدان أبي عنجة الى جبال (النوبة) حوالي كردفان للغزو وجلب الارقاء والماشية فوافقه المهدي على رغبته وسافر حمدان أبو عنجة في خمسة عشر ألف مقاتل

جلهم مسلحون بالبنادق وأعطاه مدفعاً جبلياً وذخيرة  
وما كاد أبو عجة يسير من أم درمان عشر مراحل حتي بلغه نفي المهدي  
فكتب يستشير التعايشي في متابعة السير أو الرجوع فأشار عليه بالمضي لوجهته  
فتابع سيره وغزا الجبال وغنم شيئاً كثيراً من الماشية والنفوس وكان يرسل  
للتعايشي خمسها ولاخيه يعقوب بعضاً منها حتي كان من أمره مع محمد خالد  
زقل ما سنعود الي ذكره فيما يأتي

### ذكر مرض المهدي ووفاته

في ليلة الاربعاء لاربع ليال خلون من شهر رمضان عام ١٣٠٢ هجرية  
أصيب المهدي بأعراض حمية وفي مساء التدافع خبر مرضه بين الناس فلم يكثر ثوا  
به لانهم واثقون بما كان يمدهم به من أن اللنية لا تدركه قبل أن يفتح مصر  
والشام والكوفة والحجاز

وفي يوم الخميس الخامس من شهر رمضان اشتدت به أعراض الحمي  
نجى اليه باطباء مصريين فقررروا ان الحمي من التيفوس وان حالته خطيرة  
ووصفوا له العلاج ولما خرجوا من بين يديه زادوني بمنزلي وأخبروني بأنه  
لا يرجي له شفاء

وفي صبيحة يوم الجمعة أمر الخليفة عبد الله التعايشي أن يخلقه في صلاة  
الجمعة خلافا لمادته فانه كان لا يستخلف في الصلاة غير الخليفة علي حاد وكثيراً  
ما كان يستخلف رجلا من أهالي بربر اسمه احمد الجعلي فقبيل له ان الخليفة  
عبد الله أمي لا يدري الكتابة والقراءة فكيف يخطب بالناس فقال لهم ادفنوا  
له ورقة الخطبة ومرروه فليقرأ منها كلمتين أو كلمة فدعوا له الورقة وخطب

بالناس وصلى بهم وهم في غاية الاستغراب من جملته بالقراءة وتحريمه ألقاها القرآن  
وفي يوم الأحد ثامن رمضان اشتدت وطأة المرض على المهدي فكان  
ينظر الى من حوله من النساء نظرا يدل على الحسرة على فراقهن وكأنه  
يخاطبهن بقوله «ما كنت أحسب ان هادم اللذات يزورني قبل ان اتمتع بثمار  
فترحاتي وانلذذ بالامر والهي في المملكة الواسعة التي شيدت بناءها  
بعد مائة احوال تشيب الطفل الرضيع» وكان يرفع صوته مستبشرا قائلا  
«لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» وكان يتجرد من ملابسه  
وياسر بالماء البارد فيصب على بدنه وبات ليلة الاثنين وحائه تنقل من سبي  
الي أسوأ لا علم لاحد من الناس باشداد وطأة المرض عليه غير الخلفاء وأمين  
بيت المال وبعض ذوي قرابته

وفي يوم الاثنين تاسع رمضان سنة ١٣٠٢ عند آخر الساعة الرابعة  
على الحساب العربي فاضت روحه وهو ملقى على الارض محاط بمخلفائه  
ونسائه وبعض ذوي قرابته فصاحت بنته زينب امرأة الخليفة شريف وهي  
أكبر بناته فوثب عليها زوجها ولطمها فسكتت وصاح احمد سليمان امين بيت  
المال وخر مشيا عليه حتي ظنوه قد فارق الحياة . أما الخلفاء فلهم اجتمعوا حوله  
وتشاوروا فيما يكون من امرهم فظهر كل منهم تخوفه من اقتضاح امرهم وان  
موت المهدي لابد ان يكون ذامنة سيئة إذ به يظهر للملاك كذبه فيما كان يعدم  
به من فتح البلاد وامتلاك الارض كلها مما هو واضح علي صفحات منشوراته  
التي تقدم لنا ايراد كثير منها

وكان عبد الله التمايشي مندهشا بما مل الترح من جهة لان المهدي  
أوصى له بالخلافة وهو في الرق الاخير من حياته ومن جهة أخرى كان

لا يؤمل من الناس الاتقياء له لان موت صاحبه جاء مكذبا لكل الدعاوي التي كان يتعلها لنفسه ويمد الناس بها ولذلك كان التماشي مع الخلفاء في الشوري كستطلع لأفكارهم ومراقب لما يبدو منهم من الملع وعدم الثبات فأشار واحد منهم بوجود اخفاء موت صاحبهم واصدار منشور باسمه يقول فيه انه أمر من النبي صلى الله عليه وسلم بملزمة الاعتكاف على العبادة الى أجل غير معلوم وذلك اعتمادا على منشور صغير اصدره قبل مرضه بثلاثة أيام قال فيه « اني نصبت لكم الخلفاء ووليت عليكم التواب والامناء وجملت الاسراء تابعين للخلفاء فلا تقصدوني لقضاء شيء من مآرب الدنيا بل اتركوني للاشتغال بامور العبادة والانابة الى الله وكونوا على علم بان ماتسدر قضاؤه على الاسراء والتواب والامناء والخلفاء فان قضاءه متمدر على أيضا »

هذه خلاصة ذلك المنشور وقد نقل اليّ ثقة ان عبد الله التماشي بعد ان سمع ما اشار به زملاؤه الخلفاء انصرف من مجلسهم وهو مضطرب كريمة في مهب ريح واجتمع بأناس من خواصه وقص عليهم أمر وفاة المهدي وما اشار به الخلفاء فاطهروا له سوء منبهة هذا الاخفاء بعد ان يقف الناس عليه لانه مامن خفي الأسيعلن وان الاقرب الى السلامة أن يعلن امام الناس وفاة المهدي والبيعة لنفسه فلقنه الشيخ المكي ابن اسماعيل الولي من مشايخ الابيض الجلة التي قالها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي « من كان يمسد الله فان الله حي لا يموت ومن كان يمسد محمداً فان محمداً قد مات » ولكنه أبدل محمداً بالمهدي في القائل فخرج على الناس بباب المهدي وقال لهم هذه العبارة فتقدم الشيخ المكي وبأبيه وبأبيه الحاضرون وهم يبلغون عشرة أشخاص ثم احتضروا قبراً في نفس الغرفة التي

مات فيها وقالوا انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن حيث قبض كما  
دفن صلى الله عليه وسلم حيث قبض

ومن جمالهم انهم لم ينزعوا رقبته عنه بل غسلوه من فوقها بما غسل صلى  
الله عليه وسلم وكفن في ثوب واحد من خرقه (الدمور)

وفي منتصف الساعة الماثرة صلى التماشي بالناس صلاة الظهر ثم  
استدعى نحو عشرين رجلا من أقارب المهدي ودخل بهم الى الترفة  
واصطف الناس خارج الترفة وبينهم وبين المسجد جدران فكانوا يسمعون  
التكبير متقطعا من الترفة فيكبرون وهكذا ظل الناس يكبرون على تكبير  
من في الترفة من الساعة الماثرة الى منتصف الساعة الثانية عشرة حتى تجاوز  
عدد التكبيرات الثلاثمائة ثم انقطع التكبير حيث دفن الميت  
وبلغني ان الخليفة على حلق قال ان هذه التكبيرات قليلة بالنسبة لما هو  
واجب لمقام المهدي

وبعد ان ووري بالتراب خرج التماشي الى الناس ورقى المنبر وتلا  
الآية «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الخ» الآية ثم بايحه الناس وليس  
فيهم من يحسر على القول بان المهدي مات كأنهم يجالونه عن هذا الامر وكثير  
من الدراويش هموا بقتل من قام بهذا الخبر امامهم



هذا وقد ذكرت ان الاطباء الذين باسروا علاجه اخبروني باستحالة شفائه  
وكنت اتوقع حصول فشل كبير وخلف عظيم بين اتباعه حتى انني لثمت  
كوفي في يوم وفاته وأنا مترقب من وقت الى آخر ان يبلغني شيء بأسره به وكان  
لي خصى أخذ مني وصار من خصيان دار المهدي وكان بعد خروجه من يدي  
يحترقني ويهينني ولا يخاطبني بشيء (يا ابراهيم فوزي) ولذلك كنت اكره لقاءه

فدخل على في وقت العصر وقال لي يا ابراهيم فرزى قلت نعم فقال ان المهدي قد مات فكذبت أطير فرحا لكنتي أخفيت ذلك وابتدر الى ذهني ان ذلك الحصى ربما كان مدسوساً على الوقوف على مبلغ شماتي بموت المهدي فأجبت على الفور بأن قلت له كذبت أيها العبد لان المهدي لا يموت قبل ان يفتح الدنيا كلها ولا يموت في غير المدينة المنورة

وقد كتب التمايشي والخلفاء وأقارب المهدي منشوراً بنعيه الى جميع الجهات ملأوه بخرافات يضيق المقام من سردها منها أنهم قالوا انه اختار الرفيق الاعلى ومنعوا من القول بأنه مات انما يقال انتقل من دار الدنيا الى نعيم الآخرة وأنه استخلف التمايشي وأوصي بطاعته وفي المنشور تفسير لما وعد به المهدي من ملك الدنيا كلها حيث قالوا ان ذلك سيتم لاصحابه وعلموا ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد بصيرورة ملك كبرى وقبصر له ولم يحصل ذلك بالفعل الا في ايام خلقائه رضوان الله عليهم أجمعين

وقد اضطربت الروايات في مرض المهدي وموته فقال البعض انه مات مسموماً من احدى النساء اللواتي أخذهن سبياً من الحرطوم ولكن الحقيقة هي التي أوردناها اذ لم يتناول المهدي سما ولا غيره بل مات بالحمى التيفوسية كما تقدم

### ذكر طرف من سيرة المهدي

كان المهدي صاحب دهاء وحيل ولكن التأمل اللبيب يجد في اخلاقه شيئاً من البله مع طموح للمعالي وقد أوردنا في ترجمته انه كان مريداً عند الاستاذ الشيخ محمد شريف بن الاستاذ الشيخ نور الدائم بن الاستاذ قطب

الطريقة السامية في الاقطار السودانية الشيخ أحمد الطيب  
وصار من أمره مع استاذة ما أوردنا طرفاً منه آنفاً وفي ابان دعوته  
سراً أبلغ الاستاذ الشيخ محمد شريف الحكمدارية كل ما دبره فلم يلتفت  
الحكمدار محمد رؤف باشا الى بلاغه مع انه أطلعه على كل مخبائه وما عقده  
مع الرؤساء في جهات النيل الابيض وكردفان من اليهود وما أخذهم  
من الموائيق

ولما ظهر بدعونه في جزيرة (آبا) أرسل بلاغا الى الحكمدارية ثم تلتها  
واقعة (آبا) فأنبرى لتكذيبه عدد ليس بقليل من العلماء فالفوا الرسائل مشحونة  
بالادلة الشرعية على بطلان تلك الدعوى وكذب مدعيها

ولما كانت تلك الرسائل مما يتمرد علينا لم يراد بمضها هنا اكتفينا بالاشارة  
اليها فراراً من التطويل الذي يمله القراء

ومن هاته النصائح قصيدة ألهاها استاذة الشيخ محمد شريف أبان فيها  
أحواله في بداية أمره حيث قال انه كان صواماً قواماً لا يتام الليل منذ  
دخل في سلك الطريقة . وكان نهياً يأكل كثيراً ولكنه منذ بداية أمره كان  
يخفي شرهه ليظهر امام الناس بالقناعة والزهد

وكان يلبس المرقعة مثل سائر دراويشه . أما اوصافه فانه كان طويلاً القامة  
أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مقتول الساعدين ضخمة الجثة عظيم  
المامة واسع الجبهة ألقى الانف واسع الفم والعينين مستدير اللحية خفيف  
العارضين أسنانه كأنها ثلثون وفي الفمك الاعلى فليجة بين الاسنان حتى كنى  
بأبي فلج

وبالجملة فانه كان ذا صورة جميلة جداً بين السود أمثاله وكان يتمم على



قلنسوة من نوع مايتعم عليه أهل مكة وعمامته كبيرة منفرجة من الامام  
يرسل عذبة منها على منكبه الايسر حتى يتجاوز سرته ويضع على منكبيه رداء  
من (الدمور) ويتمنطق بمنطقة من الخوص أو مخرقعة من الدمور ويلبس لعلاب  
تشبه نعال أهل مكة مصنوعة في السودان وكان لبسها مخصراً بالاحراب  
والضعفاء ويطلق عليها اسم (الشقيانة) أي نعل الشقاء فأبدل هذا الاسم باسم  
(السيدانة) أي نعل السعداء ويحمل على الدوام في يده اليسرى أو على منكبه  
الايسر سيقاً زعم أنه سيف النصر الذي أهده له النبي صلى الله عليه وسلم  
ويتوكل على هراوة طويلة مصنوعة من النحاس مكسوة بجلد أو هراوة من  
النوع المعروف باسم (خيزران)

هذه أوصاف المهدي أوردناها هنا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال أنها  
صورته ولكنها كلها صور خيالية تبعد عن الحقيقة بمسد السماء من الارض  
ولذلك لم نأت بصورة منها في هذا الكتاب لعلنا بئدمن انطباق واحدة منها على  
شيء من صفات المهدي وكذلك كل صور التعايشي خيالية أيضاً لا تقرب من  
الحقيقة مطلقاً

وتوفي المهدي وعنده مائة امرأة وعشر منهن أربع أطلق عليهن اسم  
أمهات المؤمنين . احدها بنت ادريس وأصلها من بلاد دكرور في  
السودان العربي تزوج بها في جبال (قدير) علي أرموت زوجها فتيلاني واقعة  
يوسف باشا الشلالي وابسه آدم الاعيسر وكان متزوجاً أيضاً بزینب بنت المهدي  
وبعد قتله تزوج بها الخليفة شريف

وكان المهدي يقول ان عائشة بنت ادريس بمنزلة عائشة بنت أبي بكر  
رضي الله الله عنهما وولدت له اثني اسمها زهراء تزوج بها يعقوب شقيب

التماشي بعد وفاة المهدي

والثانية فاطمة بنت أحمد شرفي الدتقلاوي كانت زوجة أخيه  
مجد الذي قتل في واقعة الأبيض وكان المهدي متزوجا بأخها وله منها  
عدة أولاد فأتت أخها وقتل زوجها فتزوج بها المهدي وجعلها من أمهات  
المؤمنين ولم ترزق منه غير ولد اسمه الكامل مات رضيعا ولها أم اسمها  
حليمة كانت تنزي بزي الرجال وتنقل السلاح وتركب الخيل وكانت  
تصعد للوعظ في مجالس الرجال وتقول لهم تمسكوا بالله ورسوله ومهديه  
وابن مهديه الكامل وأم المؤمنين والدة جده الكامل فإنه لأنجاة  
للإنسان في الآخرة الأبهؤلاء فأحضرها التماشي وزجرها ومنعها من  
مخالطة الرجال وتوعدا أن عادت إلى مقاتلاتها فصدت بالأمر أمامه  
ولكنها لما خرجت إلى الناس قالت لهم إن التماشي يحسدني كما حسدت  
قريش النبي صلى الله عليه وسلم

والثالثة فاطمة بنت حاج وهي بنت عمه التي تقدم لنا ذكر زواجه بها في  
الخرطوم وأنه طلقها لما ألت عليه بوجوب السعي للارتزاق من صناعة  
المراكب ثم راجعها بعد خاقه بجزيرة (آبا) وبعد زواجه بنت أحمد شرفي. وله  
منها ثلاث بنات تزوج عبد الله التماشي بأحدهن بعد وفاة أبيها وتزوج  
الثانية الخليفة على حلو

والرابعة فاطمة بنت حسين الحجازي وهي مصرية من أهالي مديرية  
الحدود استوطن أبوها في جهة تقرب من جزيرة (آبا) وكانت متزوجة  
بأبن عمها صالح الحجازي وكان المهدي قبل دعواه يختلئ إلى بيت زوجها  
الذي كان مربدا له وكان لا يحبها عنه لقرط اعتقاده في صلاحه فأظهرت

لزوجها رغبته في أخذ أورد الطريقة عن المهدي فأذن لها ولتها المهدي أورد  
 الطريقة فظهرت بظهر الزهد والعبادة وفرت من بيت زوجها ولحقت بالمهدي  
 في جزيرة (آبا) فادركها زوجها وسألها عن سبب خروجها من بيتها فقالت  
 اني لأقوى على التقيد بقرود الزواج لاني أصبحت لأميل لتغير العبادة  
 والانتطاع للصوم وقيام الليل فلم يشك زوجها في أنها كذلك فسألها بقاءها  
 على ذمته بنيران أن يطلقها على شرط أن تذهب الى حيث شاءت فبكت وقالت  
 انني أخشى أن ياقبني الله على عدم رعايتي حقوق الزواج ولذلك أتوسل  
 اليك بجمرة شيخى وشيخك هذا وأشارت الى المهدي أن تطلقني فطلقها  
 ورجع الى منزله وكان هذا كله مدبراً بينها وبين المهدي وقبل أن تنتهي العدة  
 الشرعية سمع صالح الحجازي ان مطلقة زوجته بشيخه وشيخها فاحتدم غيظاً  
 وحمل السلاح وهجم على المهدي وأطلق عليه الرصاص فأخطأه وكانت فاطمة  
 بنت حسين هذه في منتهى الجمال بيضاء اللون

وكان صالح الحجازي المذكور قد حضر معنا حصار الخرطوم وقص علينا  
 هذه القصة بنير زيادة ولا نقصان

ورزقت فاطمة المذكورة من المهدي بنتاً اسمها مريم وهي التي تزوجها  
 التماسي بعد فراق اختها كلثوم

ولما سقطت الخرطوم اكرم المهدي صالحاً الحجازي ولم يعاقبه بشيء  
 وأصدر أمراً بعدم مصادرة شيء من أسلاكه وبعدم نهب أهواله وكذلك  
 بنت عمه اكرمه وأهدت اليه هدايا كثيرة من الاموال والجواري والخيول  
 وسوى هاته الاربع نسوة نحو ثلاثين من بنات اعيان السودان اهداهن  
 له آباؤهن مثل بنت محمد احمد برير التي تقدم لنا ذكرها ونحو ثلاثين امرأة

من بنات اعيان المصريين في الخرطوم والبيعة من الجوارى اللواتي كن مومسات  
فانه كان ذاولع شديد بهن حتى انه كان كلما فزع بلدا ضم الي محظياته لمشهورات  
من مومساتها . وكان كثير الشبق شديد الولع بالنساء وطريقة اجتماعه بهن  
انه يسكن غرفة منفردة فيها ونساؤه الاربع تولين نطيب بقية النساء وتقديمن  
له في غرفته فيختار منهن من يشاء

وعلى ذكر نساء المهدي وما استرسل فيه من قضاء الشهوات البهيمية  
وكيف انتهك الحرمات في سبيل قضاء الاوطار نذكر هنا انه كان لا يضع يده  
في يد امرأة ليست من نسائه ولا من محارمه وكتب منشورا قال فيه . من  
صافح امرأة ليست من محارمه فانه يجذب ثنتين جلدة السوط ويؤمر بصيام  
شهرين متتابعين . فليتأمل القارئ كيف ساغ له التمتع بالحرارة كموطآت  
بملك اليمن وكيف تقالي في عقوبة من صافح امرأة ليست من محارمه وقد زاد في  
منشوره ( ولو كانت المرأة طاعة في السن أو صغيرة غير مشتهة ) أفلا يضح  
بمد هذا انطباق المثل المشهور عليه ( يستغنى في الابرة ويبلغ المدرة )

وأما أولاده الذكور فيلنون العشرة وكان عمر اكبرهم لما توفي هو حوالي  
المشروعات والبقية اطفال ليس لهم أهمية تستدعي ذكرهم ولكننا نذكر ثلاثة  
منهم وم الفاضل ومحمد والبشري وأمه فاطمة بنت أحمد شرفي التي توفيت  
في جبال (قدير) ويكنى المهدي بأولاده الثلاثة المذكورين وتكنيته باسم الثالث  
أكثر شيوعا مع انه أصغر الثلاثة وذلك لانه ولد في جزيرة (آب) في مبدأ  
دعوى المهدي و زعم المهدي انه بشر بالمهدوية لئلا ولادته ولذلك سمي البشري  
وأما أطمعة المهدي فان الكلام عليها غريب في بابها فقد كان يظهر  
الزهد وعدم الميل الى الاطمعة ويكثر التثديد بالدين يأكلون غير ما خشن من

الطعام وكثيرا ما كان يربط على بطنه حجرا حتى ذاع بين الناس ان الذين يأكلون  
الاطعمة الفاخرة كفار لا نصيب لهم من الاسلام ولذلك صار كل أحد يجتهد  
في اخفاء ما عنده من الاضمة الدسمة ولا يخرج امام الناس الا خبز القرة  
بادام الماء والملح أو (البيلة) وهي من حبوب القرة تصلق بالماء وكان المهدي  
لا يخرج امام الناس من طعامه غير هذين الطعامين

وقد تنالي المهدي في إظهار الزهد في الاطعمة حتى انه منع إرشاد نار  
في بيته لطبخ أو خبز مدعيا ان ذلك ينافي التوكل على الله وكان الناس يقدمون  
له الاطعمة هدية فكنت ترى القصع محمولة الى منزله كل يوم تعد بالآلات  
فيتناول النساء منها حاجتهن بغير ان يشتغلن بطبخ أو خبز

وأما الطعام الذي يتقذى به المهدي فانه يصنع كل يوم في منزل أمين بيت المال  
فكان يذبح الحرفان الحولية ويصنع ما يتبعها من الحلوي والقطاير وسائر الاطعمة  
الفاخرة ويرسلها الى منزل عائشة بنت ادريس وهي تقدمها الى المهدي وقت  
انفراده في غرفته فكان لا يترك من الحلوى غير عظامه عما يتناوله  
من الاطعمة اللذيذة وقتي الفداء والعشاء أما الفطور فانه كان يتناول فيه  
ألوانا كثيرة كلها من الحلوي فيها انهم يمزجون رطلا من السمن بمشله من  
السل ويضعونه على اللبن ويطبخونه مع دقيق الحلبة وتارة مع دقيق  
الدخن وأخرى مع دقيق البر ولا يكاد يشرب ماء الا ممزوجا بحامض  
لبن الابل مع السكر ومع هذا الانفاس في الملاذ كان يظهر أمام الناس بمظهر  
الفتاة والزهد والتشف كانه لا يملك من نعيم الدنيا غير مرصته التي هي واحدة  
وكان يكثر من التطيب بالروائح الحارة مثل عطر الصندل والخلب فكانت رائحته  
تشم من البعد والبسطاء يستندون انها رائحة الجنة تنضوع من عرفة

وقد خرج من الدنيا ولم يدخر لاولاده شيئاً من المال كما انه لم يترك  
عند ذاته حلياً ولا شيئاً من ضروريات الحياة لانه قد كان حرم على النساء التحلي  
بجلى الذهب والفضة وغاية ما يتحلين به خرز من الزجاج والمرجان  
هذا وقد ذكرنا انه أبطل تقليد المذاهب الاربعة وأصدر للناس  
منشورات ضمنها كثيراً من العبادات والمعاملات

ومن غرائب مذهبه انه تعمد الاجحاف بمحقوق النساء في كل ما لهن  
وما عليهن فقال لا يلزم الرجل بشقة امرأته مادام من المجاهدين في سبيل  
الله وقال ان مهر المذرا لا يزيد على عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة ريالات  
ومن زاد على ذلك صودرت أمواله. وكان يجبر أولياء المرأة على تزويجها بأى شخص  
كان من غير نظر الى كفاءة أو تعادل بين الزوجين مادام الزوج من المجاهدين  
في سبيل الله. وبالجمله فان النساء في مذهبه ك مخلوق ليس من نوع الانسان  
وقد سار اتباعه على سيره فكنت ترى عشرات النساء اللواتي أخذهن الامراء  
سيكاً من الخرطوم وغيره من المدن يتضورن جوعاً داخل البيوت ولا يقدم  
لهن أولئك الامراء غير قليل من طعام الذرة فاذا ضعفت احداهن وشوه  
الجوع محاسنها أعطاهن مولاهن اذن بالذهاب الى منزل أهلها ان كان لها أهل  
فيطمونها حتى تستعيد نصارتها فتعود الى منزلها

ولقب المهدي عبداً من عبيده بلقب ( خليفة زيد بن حارثة ) رضي الله  
عنه ولقب آخر كان يؤذن له ( بخليفة بلال المؤذن ) ولقب كثيراً من أصحابه  
بالنقاب خلفاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وكتب منشورا في كردفان  
أمر فيه الناس أن لا يذكروا اسمه الا مقرونا بالسلام كالانبياء عليهم السلام  
وكانوا قبل ذلك يذكرونه مقرونا بالرضوان ثم كتب منشورا آخر قال فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وقال له عليك السلام يا مهدي الان  
انك لجدير بهذا المقام وانك افضل من بعض الانبياء صلوات الله وسلامه  
عليهم اجمعين وكان كثير من الجهلاء يتنادونه بالنبوة والرسالة فلا ينههم وربما  
تبسم علامة على الاستحسان

ولكن وجملة القول ان المهدي على ما كان فيه من الزيف والاحاد والزندقة  
وقدمان الذمة فانه كان احسن سلوكا من عبد الله التعايشي وقد احسن الاستاذ  
الشيخ محمد شريف حيث قال مها يكن المهدي ضالا مضلا فانه خير من  
عبد الله التعايشي وان قال غيره ( ان عبد الله التعايشي سيئة من سيئات المهدي )

### ترجمة عبد الله التعايشي

نورد هنا ترجمة عبد الله التعايشي الذي افضت اليه خلافة المهديوة  
وبعونه انقضت دولتها وركدت ريعها

ولد عبد الله التعايشي بجمعة ( السكلكة ) جنوب دارفور وبالقرب من  
(شكا) من قبيلة بدوية اسمها (التعايشة) تسكن هذه الجهة وتميش بالبان ماشيتها  
التي جلبها من البقر ولذا يطلق عليها اسم ( بقارة ) كما تميش من لحوم صيد  
ضواوي الحيوان كالقيل وغيره

على أنه لم تكن قرابته لهذه القبيلة الا من جهة الارحام فقط  
لان جده المدعو بعلّي كان دكروريا استوطن بلاد التعايشة وتزوج  
امراة منهم فولدت له محمدا المشهور بلقب ( ثور شين ) والد عبد الله  
التعايشي واخوة اقدم احمد المشهور بلقب (دي) وهو والد الامير محمود اسير  
واقمة ( اتره )

وكان جده يحفظ القرآن وكذلك والده ولددة من يحفظ القرآن في  
 قبيلة التمايشة حاز أبوه شهرة كبيرة لكنه كان فقيراً لا يملك شيئاً من المال  
 بل كان قوام معيشته من صدقات أولى البر والاحسان  
 وأما لقب (تورشين) فعناه الثور القبيح الخلقة وهذا اللقب من ألقاب  
 للفروسية بينهم وكلمة الثور منتهى المدح على الشجاعة عندهم أيضاً  
 ومن عوائد التمايشة في صيد الأفيال أن من اصطاد منهم فيلاً تقوم  
 أسرته وسط الحي وتصرخ بسكانه وتقول أن زوجي الثور ابن الثور اصطاد  
 فيلاً فلهوا إلى أخذ نصيبكم من لحمه فينسلون إلى القلعة وهم يترغون بالاناشيد  
 في مدح ذلك الثور الذي قتل لهم الفيل ومن مزروعتهم الدخن والفاصولية  
 وعندهم نبات يشبه الارز ينبت في القلعة دون أن يزرعه أحد  
 وبجوار قبيلة التمايشة قبيلة من البيد يطلق عليها اسم (بنضله) بينهم  
 وبين التمايشة صلة المصاهرة والقرابة وبجوار (الكسكة) بحيرة يصطادون  
 منها السمك فيتركونه حتى يتفنن وتكثر ديدانه ثم يدقونه في الإهوان  
 ويصنمونه أقعاً كأقاع السكر الأحمر ثم يطبخونه مع البامية الناشفة (الويكة)  
 وهذا النوع يسمى (مندجي) وكان التمايشي يحب هذا الطعام كسائر  
 قومه وقد سمعته مرة يظن أقاربه التمايشة قائلين لهم « أن القصعة في الجنة  
 يبلغ عرضها ما بين أم درمان وجبال قديروهي مملوءة بطبخ المندجي أو المصيدة »  
 وأم التمايشي اسمها أم نعيم وكانت ذات شهرة بين التمايشة لأنهم  
 يعتمدون فيها اتقان الشوذة فكان الناس يتعبدونها للرقية وأخذ العروق التي  
 يعتقد أهل السودان أن لها خواص للمحبة وقضاء الحوائج وإلجام أفواه  
 الحيات والهوام السامة



وقد تزوجت بنحو عشرين رجلا والد عبد الله التمايشي أحدكم  
وفي سنة ١٢٩٤ غادر التمايشي بلاده مع والده ممتطين عجلا من البقر  
تد ذللاء بخظام على ألوف عادة البقارة الذين يذللون الثيران والبقر ويحملون  
عليها أقالهم من بلد إلى أخرى وكانا يقصدان الحج

ولما وصلا إلى بلاد الجمع في الجنوب الشرقي من كردغان توفي والده  
بالجدري ثم مات المجل ولقي التمايشي بلا دابة فاعطاه أحد المشايخ حمارا  
سار عليه حتى لحق بالاستاذ الشيخ محمد شريف ومكث عنده حتى كان  
من أمره معه ما ذكرناه عند الكلام على اجتماعه بالمهدي

وكان التمايشي ذا دهاء وحيل فكان لا يجلس امام المهدي الا جالسا  
ركبته منكس رأسه إلى الأرض حتى انه كان يزعم انه لم يقع بصره أبداً على  
وجه المهدي وكثير من البسطاء ينتقدون صدقه

وكان يشجع المهدي على دعواه ويعف له قبائل دارفور وما عندهم من  
العدد والسدد ومأم عليه من الجمالة وما يمكن ان يصادفه من نجاح  
دعوته بين ظهائرهم فسر به المهدي وأمره بالعودة إلى بلاده كي يحضر  
أمراته التي كان تركها في بلاده فذهب وعاد بها ومكث عند المهدي حتى صارت  
واقعة (آبا) ويقول البعض ان المهدي أصيب برصاصة في فؤاده فاشار عليه  
التمايشي باخفاء جراحه لئلا يستقد فيه من حوله انه ليس فاخصية تميزه عنهم  
فصدع بمشورته

وعندي ان هذا القول ماز عن الصحة لانه لو أصيب المهدي في تلك  
الواقعة لما اطلع عليه التمايشي وحده حتى يلقنه هذه الشموذة والحقيقة التي سمعها  
ان المهدي اراد ان يركب فرسا في تلك الواقعة فقل له التمايشي

إذا لا يكون في مقاتلتك فارس غيرك ولا يشك العدو في أنك المهدي  
فيصوب مقذوفاته عليك وترك ركوبها وركبها أحد اتباعه فانهال عليه رصاص  
الجنود كالطر نحر صريحا يتخبط في دمه

ولما سار المهدي الى جبال (قدير) وكان التماشي يقاريا مثل الاعراب الذين  
التفوا حول المهدي في هاتيك الجبال صار يستعين به على تهذيب اخلاقهم  
وطباعهم واستمالتهم بالطرق التي تجذبهم اليه ومن ثم صار مشيرا للمهدي  
ووزيرا مفوضا اليه كثير من الامور وكان اقارب المهدي ينفذونه ويحتمرونه  
حتى أصدر المهدي المنشور الذي تقدم لنا بإرادته بالثناء عليه فكفوا عن أذيته  
وأسروا عداوته

وكان التماشي يمالئ المهدي ويرضي بالقليل من العيش فكان لا يتطلب  
من بيت المال الا ما يسمح له به أميته (أحمد سليمان) الذي كان يبفضه ولا يعطيه في  
الشهر أكثر من مائة ريال ويخص الخليفة شريفًا وأقارب المهدي بالنصيب الا وفر  
من بيت المال وقد رأيت أحمد (دي) عم التماشي ووالد الأمير محمود يتسول على  
منازل الناس وكذلك بقية أقاربه التماشي الذين كانوا وقتئذ زهاء ثلاثين رجلا ولكن  
ذلك كان قبل ان تفضى خلافة المهدوية الى قريتهم

### خلافة التماشي

لما توفي المهدي وبويع عبد الله التماشي ظهرت على الناس الكتابة سيما  
أقارب المهدي وأحمد سليمان بيت المال فاتهم كانوا في وجل شديد من مغبة  
انتقامه منهم أما هو فكما قدما كان أكثر منهم دهشة وأشد هم خوفا من موت  
المهدي وما يخيم عنه من سوء المراقبة وقد أسر الى ذوى قرابته أنه يخشى تقدم

جنود الحكومة الى أم درمان لا عادة سلطتها على تلك الانحاء ولذلك عول  
على الاتفاق مع الخليفين على بن حلو ومحمد شريف على ان يقتسموا البلاد  
فيما بينهم فيكون قسم التمايشي اقليبي كردفان وفارفور ويكون للخليفة على بن حلو  
البلاد التي على ضفة النيل الابيض وسائر ما يتبها ويبتدى ذلك من أم درمان الى  
الجنوب ويكون للخليفة محمد شريف شمال أم درمان والبلاد التي على النيل  
الازرق حتى دنقلا والسودان الشرقي برمته

وقد فاض التمايشي ذينك الخليفين في أمر هذه القسمة فأظهر  
الخليفة على بن حلو استيائه منها وقال ان بلاد النيل الابيض لا تكن له ولا بد من  
اضافة بلاد النيل الازرق عليها فأبى الخليفة شريف وقال ان الاراضي التي في  
قسمه هي الحد المقاصل بين مصر والسودان ولا ريب انه سيقوم بالدفاع  
عنها ولذلك يجب ان تضاف كردفان الى نصيبه فلم يرض التمايشي بهذه القسمة  
فاندفعوا وفي نفس كل واحد من الحقة على الآخر ما لا يوصف

أما التمايشي فكان يمرض ما يدور بينه وبين الحقاء على الحاج الزبير  
رئيس حراسه وقتئذ وكان من أهالي مديرية بربر فاخذ يثبط عزيمته من  
اتمام هذه القسمة ويمسده بان البلاد كلها ستخضع له وانه يقدر على جعل  
الملك ورايآ في آل بيته وان الخليفين على حلو ومحمد شريف لا تخشى مغيبتهما  
فان يخذلان بمثل اكاذيب المهدي وما ينتحله من الحرافات ويقول له ليس  
عليك من حرج ان اتيتهما من هذا السبيل فأتتهما ان اذعنالك حفظا كرامة  
المهدي الذي فتح هذا السبيل وان كذباك فان العامة تصدقك كما كانت  
تصدق المهدي ويمكنك ان تزرع بهذا التكذيب الى اسقاط منزلتيهما  
والايقاع بهما

وعلى اثر ذلك اذن عبد الله التماشي لشدة الحاجة لزيير وعمل على طلب الهجرة الى كردفان للاعتقال بالبر لا كما يتاوه من ذلك الحين طرح مرقسه الزنة البالية التي كان يلبسها قبل وفاة المهدي إظهاراً لازمته ولبس مرقمة من نوع ما كان يلبسه المهدي واسم على قلنسوة مكينة كالتي كان يلبسها المهدي عليها وصنع له كوخاً من البوص في الميعة على هيئة مقصورة وأمر الناس ان يحذوا حذوه فصنع كل واحد منهم كوخاً في مسجد حتى اتمت الاكوخ بعضها وأمر الناس بترك صلاة الجماعة في أى مكان كان وان لا يصلى أحد في أم درمان بجماعة غيره وشدد عليهم في ملازمة قراءة (راتب المهدي) في الصباح والمساء

وراتب المهدي هو أوراد وأدعية بعضها من المسببات التي تنسب لمولانا الامام الدردير ومنها ما هو من الادعية والتوسلات التي تنسب الى حجة الاسلام التزالي ومع شهرة مصدر هذا الورد التي لا تخفى على غير الانبياء ادعى المهدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لقنه هذا الورد كلمة بكلمة وحكى من فضائله وثواب من واظب على فرائضه وخرافات واكاذيب يقصر القلم عن التعبير عن بعضها منها ان من قرأ هذا الورد نزل خمسمائة الف من الملائكة كالذين نزلوا يوم بدر ليحفظوه وينصروه وان تلاوته مرة واحدة تعادل تلاوة القرآن الف مرة ومثل ذلك حتى قال المهدي ان المواظبين على قراءته ينالون مقامات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وكان المهدي شدد في النهي عن قراءة الصلوات النبوية المعروفة باسم دلائل الخيرات مدعياً ان ثوابها نسخ براتبه وسيأتي في غير هذا المكان مصادرة أموال من تبهم بقراءتها والحكم بكفره وأظهر التماشي للناس تواضعاً

ولينا وخفض كثيراً من حدته التي كانت معلومة عند العموم حتى ذاع بين  
الأمم أن السكنينة نزلت عليه وقال هو أن روح المهدي حلت فيه وإن أخلاقه  
لا بد أن تتبع الروح إنما حلت  
هذا ولم يكن القول بالتناسخ مذهب عبد الله التمايشي فقط بل هو  
مذهب سلفه المهدي الذي كان يزعم أن روح النبي صلى الله عليه وسلم  
حلت فيه

وجلة القول أن عبد الله التمايشي قبض على زمام البيعة وهو مضطرب  
وكان لا يدري كيف يدير دفتها كما كان شديد الخشية من انتقاض الحليفة شريف  
وأقارب المهدي عليه أذى أشد قوة منه وأكثر عدداً من رجاله ولذا لبث  
كأنه واحد من الخلفاء لا يقطع أسراً بغير مشورتهم ولا يعمل بغير إرادتهم  
منتظراً ما يكون من أمر مدينتي سنار وكسلا اللتين كانتا على وشك السقوط

### أول أكاذيب التمايشي

ذكرنا أن الحاج الزبير أشار على عبد الله التمايشي بولوج باب أكاذيب  
المهدي فكان أول الكذوبة وضعها بعد مهلك المهدي بشهرين أن أصدر  
مشوراً قال فيه ما يأتي

بعد أن أدت صلاة العشاء بالمسجد دخلت إلى منزلي وبينما أنا جالس  
في مصلاي إذ دخل عليّ شخص طارقي من رؤيته لأنه لم يكن من نوع  
الإنسان لأن رأسه كانت تناطح السحاب وخصيته جبالين عظيمين فلم أتمالك  
نفس من الخوف فصحت مستغيثاً بالمهدي فأخذ ذلك الشيخ يتقاصر ثم

جلس امامي وقال لي السلام عليك يا خليفة المهدي بل أنت المهدي فقلت  
وعليك السلام من أنت قال أنا ملك من ملوك الجن كنت ساكنا وراء  
جبل (قاف) الذي يبعد عن هذا المكان مسيرة خمسمائة عام وقد مضى على  
خمس سنوات وأنا سائر بقوي من ذلك المكان لادرك المهدي فكان من  
أمرنا ان الحضر عليه السلام قابلنا وهو يبكي ويصرخ قبل أن يبلغ العمران  
البشري وأخبرنا بموت المهدي وخلافته فلما وصلنا العمران البشري وجدنا  
جماهير الاولياء ومجامع الملائكة في المساجد الكبرى يقيمون ماتم المهدي فاشتغلنا  
مهمهم في إقامة شعائر المائت ثم غادرنا المسجد الحرام بعد عصر اليوم وعسكرنا  
في البقعة التي تلي محل (العرضة) استعراض الجنود ومضى ستون ألف فارس  
من الجن غير اثناء قال التمايشي فقلت ومن أعليك بظهور المهدي  
قال أعلنا الحضر عليه السلام منذ ظهوره في جزيرة (آبا) فغادرنا جبل (قاف)  
منذ ذلك وكنا نسير في السنة مسيرة مائة سنة فقلت ما تقصدون قال نقصد بيعة  
المهدي وادراك فضل صحبه والجهاد معه فقلت وفي أي المساجد أقيم مأتم  
المهدي فقال في المسجد الأقصى وفي المسجد الحرام وفي المسجد النبوي ثم  
دنا مني وطلب مني أن أبايحه فبايسته بيعة المهدي وأمرته بالبقاء في المكان الذي  
يلي محل الاستعراض

ثم سأله التمايشي عن عمره فقال انه ولد في زمن ابراهيم الخليل صلى  
الله عليه وسلم وانه صار ملكا على قومه في زمن موسى الكليم صلوات  
الله وسلامه عليه

ولما نشر التمايشي المنشور المتضمن هذه الاكذوبة سر الناس  
بامر الجن الذين جاؤا لمساعدتهم وفي انفسهم ركب التمايشي بخيله ورجله

وتوجّه للمحل الذي نزل فيه أولئك الشياطين ولما دنا منه أوقف الناس ثم تقدم هو بفروسه واطال الوقوف والناس ينظرون اليه والى ما يأتى من الحركات كأنه واقف يعظ أو يبالغ وبعد بضعة ساعات عاد فأخبر الناس بأنهم يابغونه وأنه كان مشغولاً بترتيب فرقهم وتولية القواد عليهم مثل ترتيب جيش المهدي ثم قال أنهم رغبوا إلى أن أشيد داراً لي بجوارهم كي أردد عليها وتكون موعداً بيني وبينهم كلما دعت الحال للمقابلة

ومن المضحكات أن رجلاً ذكرورياً كان له كوخ بالقرب من ذلك المسكن فاحتل متاعه في ذات يوم ومعه امرأته وبنته وجاؤا إلى التمايش في المسجد فسألهم عن حالهم فقالوا انت لنا كوخاً بالقرب من محل العرصة وقد هجرناه لكثرة ما فيه من الضوضاء واليران وصهيل خيول الجن وسائر حركاتهم التي أفقدتنا النوم واطارت قلوبنا خوفاً وفزعاً فضحك التمايش وقال لهم ما الذي أطار نومكم وأفزعكم ألم تعلموا أن هؤلاء الجن صاروا من أتباع المهدي وأنهم خاضعون لحكمي ولا يجسرون على أذى أحد من أنصار المهدي وأن أحكام المهدي تجري عليهم كما تجري عليكم فقالوا ياسيدنا الخليفة إن خلقهم غريبة غيفة فهم رؤس بلا جثث ومنهم جثث بلا رؤس ومنهم الطيارون ومنهم منهم فقال عودوا إلى مكانكم ولا تخافوا فرفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا نحن قراء لا نملك غير هذا الكوخ وقد تركناه لهم فاسترسل التمايش في الضحك الذي يشف عن السرور وأمر باعطاء الرجل خمسمائة ريال بدل كوخه وإن يعطى من بيت المال ما يتفق عليه بحاجة عائلته

وسمعت التمايش يوم ذهب لمباينة الجن على زعمه يسأل الذين أدوا صلاة المغرب خلقه قائلاً لهم هل رأيتم شيئاً أو أحسستم بشيء فسكت أكثرهم

وقال البعض قد أحسننا برهبة ونحن في الصلاة فقال لهم ان عيسى عليه السلام صلى معكم مأموماً بي وأشار الى المكان الذي صلى فيه فهرع الناس اليه يتبركون به وأحيط ذلك المكان بزريبة من الشوك ليقي معروفاً عند كل من يقصده من الزارين

## ذكر دعوة التعاشي اهل السودان

لاداء فريضة الحج بام درمان

كان المهدي قد نهى الناس عن السعي لاداء فريضة الحج مدعياً ان البيت الحرام في ايدي الكفار ونشر مجلة منشورات بهذا المعنى وكان يزعم أن مراقبته للجهاد خير من السعي لاداء الحج وزعم ان الهجرة معه كالهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهي أفضل من الحج وتغالي حتي قال ان رؤيته تعدل ثواب سبعين حجة

ولما هلك المهدي اجتمع التعاشي والخليفتان علي حلو ومحمد شريف وقرروا فيما بينهم وضع الكذوبة ماسمع في الاسلام بمثلها لا ماسمع من أمر علي بن مهدي صاحب اليمن في القرن السادس من الهجرة وهي ان يصعدوا منشوراً يقولون فيه ان الحج الى البيت الحرام قد أبطل وعزموا علي تشييد كعبة في أم درمان وجعل جبل (كررى) بدل جبل عرفات لتقام بهما شائر الحج ويوزر الناس قبر المهدي بدل زيارتهم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفلا شرعوا في اعداد ما يلزم لابرار هذه الضلالة حتى قالوا ان حفر بئر زمزم يكون بعد الوقوف بجبل عرفات واداء صلاة العيد بنى ثم يرحلون الى البيت الحرام فيحفرون بئر زمزم ويسودون لقضاء أيام التشريق بنى



ولما اذاع الخلفاء هذا الخبر دخل رجال من أهل العلم بعضهم من ذوي قرابة المهدي على أولئك الخلفاء، واخبروهم ان هذا الامر لو تم كان ذليلاً قاطعاً على كذب دعوي المهدي وخروجهم جميعاً من الاسلام كما تخرج الشجرة من المجين فالصاع أولئك الجلاء وجمعوا الاوراق التي وصلت ايدي الناس واتلقوها ومنعوا الناس من الكلام في هذه المسألة ومن تكلم جلدوه ثمانين جلدة اه

### ذكر مسألة الشعرة من بحية المهدي

ذكرنا ما كان لاحمد سليمان أمين بيت المال من المنزلة السامية عند المهدي وانه كان واقفا على اسراره وكنه أعماله وكان أحمد المذكور ذا دهاء يظهر امام الناس بالزهد والورع ويروي للناس انه رأي من كرامات المهدي ما هو كيت وكيت ويخترق من الاكاذيب ما يحيله العقل . ومن اكاذيبه انه جاء الى التمايشي وكان جالسا مع الخلفاء وأخرج من جيبه حقاً من الحشب وقطعه واخرج منه شعرة وقال يا خلفاء المهدي ان المهدي قبل مرضه بنحو أسبوعين أخبرني بأنه راحل من هذه الدنيا ونزع من لحية الكريمة شعرة ثم قال لي يا حيي أحمد خذ هذه الشعرة وابتلعها بعد وفاتي فان فيها سرّاً من أسرار المهدي وبعد ان تموت وتلحق بي أخبرك بهذا السر فوثب عليه الخليفة عبد الله التمايشي وأمسك بيده وقال له ان هذه الشعرة كانت امانة عندك وقد أسرني المهدي باستلامها منك وكان الحضر عليه السلام حاضراً فسلمها أحمد سليمان له فابتلعها وأصدر منشوراً قال فيه ان في هذه الشعر سر المهدي وقوة خلافتها

## ذكر وقائع سنار وسقوطها

تقدم لنا ذكر وقائع سنار التي حصلت قبل مهلك حملة هيكس ولما ذبحت هذه الحملة قويت عزائم الدراويش وأحاطوا بها وضيقوا عليها وبعد سقوط الخرطوم وثب النور بك محمد قومندان الجنود النظاميين ومعه عثمان بك الدالي الصنجق وقبضا على المدير حسن صادق بك وسجنناه في داره لاسباب لا نعلم كنهها والظاهر ان لاسبب لها الا سوء الظن بذلك المدير الذي لا يشك أحدني براءته من وصمة مانسب له

وبعد ان مكث المدير أشهراً في السجن اجتمع القواد ودخلوا منزله وأطلقوه من عقاله واعتدروا له وكان العدو محاصراً للمدينة ففرج عليه المدير في قوة كبيرة وهجم على موقعه ومزق شمله كل ممزق وعاد الى المدينة ظافراً منصوراً حتى اذا اقترب منها الى عصا سيره للراحة من وعناء السفر وتناول الطعام عند مكان اسمه (الجيزات)

وبينما كانت الجنود وقوادهم مشتغلين بتناول الطعام اذ هجم عليهم العدو على غرة من جهتي النهر والغلاة واعمالوا السيف في رقابهم فتمكن كل من النور بك محمد وعثمان بك الدالي من جمع شمل بعض الجنود حيث قاتلوا متهمةرين حتى بلغوا مقتل المدينة

أما المدير حسن صادق بك فقد تمكن العدو من الفتك به حيث فاجأه وهو يريد ركوب فرسه بضربة كانت القاضية

ثم ان القائمات حسن عثمان بك كر على الدراويش بقوة أزمهم الفرار من وجهه وتمكن من حمل جثة المدير الى المدينة حيث دفنت هناك بالاكرام

اللائق وكانت هذه الواقعة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠٢  
وفي شهر جمادى الآخرة وصل محمد عبد الكريم بمقاتلته لحصار مدينة  
سنار وقد ذكرنا ان المهدي بثه بنحو عشرين الف مقاتل  
وفي أواخر شهر شعبان وصلت الى المهدي أخبار بان حامية سنار  
خرجت على معسكر محمد عبد الكريم وانتصرت عليه فأرسل الى التهمة يستدعي  
عبد الرحمن النجوي بمقاتلته فوصل الى أم درمان بعد وفاة المهدي بأسبوع  
وفي أوائل شوال سنة ١٣٠٢ وصل الى حامية سنار نبأ وفاة المهدي  
فقويت هزيمتها وخرجت على معسكر محمد عبد الكريم مهاجمة فاصيب محمد  
عبد الكريم برصاصة في فخذه ثم انهزمت مقاتلته شر هزيمة وضمت  
الحامية لمسكرهم

ولما اتصل بالتماشي خبر هزيمة محمد عبد الكريم انضد عبد الرحمن  
النجوي الى سنار كما كان المهدي يريد انفاذه اليها حين استدعاه من التهمة  
وفي أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٢ وصلت درجة المجاعة في سنار  
الى فقدان القوة بالكلية فتمرد الجنود على قوادهم وشقوا عصا الطاعة وخرج  
كثير منهم واسلموا نفوسهم الى العدو الذي تشددت عزيمته وعاد الى موقفه  
الاول من الاحاطة بمقتل المدينة وتشديد الحصار عليها

ووصلت الى المدينة أخبار زحف عبد الرحمن النجوي عليها فاسرعت  
بطلب التسليم مع وفد ارسلته الى محمد احمد شيخ إدريس من أقارب المهدي  
ونائب محمد عبد الكريم الذي كان وقتئذ طريح الفراش من الالام بالاصابع  
في الواقعة الاخيرة

وعند وصولها عقدت شروط الصلح بين الحامية والدرويش على ان لا يأخذ

الدرأويش غـ مال الحكوة تـ وان لا يتندرا على احد من الالهين في ماله وعرضه  
وعلى هذا الشرط اسامت الحامية نفسها فنكس، الدراويش، العهد على مألوف  
عائتم، ومدوا ايدهم الى الاعراض وعذبوا سكان المدينة الذين جاهدتم  
من المصريين عذاباً اليماً وغنموا منهم شيئاً بعد بضرات القناطير من الذهب  
الذي يوجد بكثرة في مدينة سنار حيث ان منافع النيل الازرق التي يوجد بها  
هذا الثبر داخله في دائرة مديرية سنار واهل سنار مشهورون بادخار الذهب  
بكثرة وقد عذبهم الدراويش عذاباً يفوق الذي وصفناه في عذاب أهل  
الخرطوم وهتكوا اعراضهم كما هتكوا اعراض اهل الخرطوم

وبعد مضي شهر على هذا التمديب هدموا المدينة كامها وزحفوا بالاسرى  
الى أم درمان فوصلوها في أوائل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٣٠٢  
هذا وقد وصل عيد الرحمن النجمي سنار بعد سقوطها بضعة ايام  
ولم يزل من الغنمة شيئاً

على ان حامية سنار كانت تستطيع النجاة لو قصدت حدود الحبشة قبل ان  
يصل اليها محمد عبد الكريم. وقد بلغني ان المدير كان ينوى سحب الحامية الى  
جهة حدود الحبشة بعد ان علم بسقوط الخرطوم لقمه ان الانكايلا يتقدمون  
لاقتاذ سنار بعد سقوط الخرطوم فخالفه اللذان سجناه معتقدين خلاف ذلك  
والخلاصه ان نجاة حامية سنار كانت ميسورة لو لم يسجن المدير  
حسن صادق بك

هذا وقد أصدر التمايشى أمراً باعتبار مدينة سنار كمدينة ثمود محرم  
سكنها والاستقاء بمياها

وقد اغتال الامراء الاموال ولم يقدموا لبيت المال عشر الثنائم فتنيط

عبد الله التماشي واصر على الانتقام منهم وسمنود الى ذكر هذا الانتقام في محله

وأخذ التماشي نحو عشرين امرأة من نساء المصريين كانوا في تلك المدينة مسبيات وادخلهن منزله. والخلاصة ان سكان سنار جلعهم مصريون مثل سكان الخرطوم وقد نالوا نصيبا من التعذيب والنهب وهتك الاعراض كالذي ناله اخواتهم في الخرطوم أو أشد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون

### حوادث كسله وسقوطها

كسله اسم مدينة هي عاصمة اقليم (التاكا) الذي بين محافظتي مصوع وسواكن وحدود الحبشة وأغلب سكانها مصريون مثل سائر مدن السودان وكانت حصنة بسور منبع من الحجارة وفيه أبراج ومعدات الدفاع متوفرة فيها منذ دخلت في املاك الحديوية المصرية على عهد ساكن الجنان محمد علي باشا عزيز الديار المصرية

وكان السيد محمد عثمان الميرغني نازلا في قرية (الختمية) بجوار كسله وهي قرية أسسها جده السيد محمد عثمان الميرغني وقد تقدم لنا ان المهدي كان يدعو السيد محمد عثمان الميرغني الى الدخول في دعوته وكان يوالي ارسال الانذارات له تارة بالوعد وأخرى بالوعيد فمر من قرية الختمية لما رأى ان الخطر يقترب من جهته

وبعد فراره خندق بقية سكان الختمية على قريتهم وأمنهم الحكومة بالاسلحة والذخيرة والجنود

وفي محرم سنة ١٣٠١ قدم الى كسله مصطفى هديل داعية من قبل

عُثِمَ دُونَ قَبْلِهِ جَمِيعُ السَّكَّانِ وَرَفَعُوا الرِّاءَ الْمُصَيَّانَ عَلَى الْحُكُومَةِ فَارْسَلُ  
أَمْرًا عَنَّا بِكَ الْمَذِيرِ قَوْلاً تَهَاجِمُ مَوْقِعَ تَجْمَعِ الْمُدُوفَاتِ بِخَسَارَةٍ عَظِيمَةٍ  
وَكَانَتْ نِسَاءُ الْمَصَاةِ (الْمُهَنْدُوهُ) يَقَاتِلْنَ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ وَلَهُنَّ فُظَائِلُ مَا سَمِعَ  
بِمِثْلِهَا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ كُنَّ يَحْمِلْنَ وَرَأً أَزْوَاجِهِنَّ قَطْعًا مِنَ الْخَشَبِ فِيهِ جِهَازُهَا  
عَلَى الْجَرْحِيِّ وَيُزَعْنَ الْمَلَابِسَ عَنِ أَشْلَاءِ الْقَتْلِ وَيَضْمَنُ فِي دَبْرِ كُلِّ قَتِيلٍ قِطْعَةً  
مِنَ الْخَشَبِ طَوْلُهَا ذِرَاعٌ فِيُؤَلِّجُنَ فِي الدَّبْرِ نَصْفَهَا وَيُقَى النِّصْفُ بَارِزًا وَيَطْرَحُنَ  
الْجِلْتَ عَلَى وَجْهِهَا لِیَصِيرَ هَذَا الْمَنْظَرُ السَّيِّئُ مَعْرُضًا لِنَظَرِ الْمَارَّةِ  
عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَفْظِيَّةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ عُنْدِيَّاتِ تِلْكَ النِّسْوَةِ بَلْ أَنَّ مُصْطَفَى  
هَدَلٍ هُوَ الَّذِي قَالَ لَهُنَّ مِنْ مِثْلَتِ مَنْكُنَ بِالْقَتْلِ هَذَا التَّمَثِيلُ بَنَى اللَّهُ لَهَا  
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

وَكَانَ مُصْطَفَى هَدَلٍ هَذَا جَاهِلًا ضَالًّا وَفِي غَضُونٍ حَصَارِهِ كَسَلَهُ كَانَ  
يُزْعَمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ  
وَفِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ هَجَمَ الدَّرَاوِيشُ عَلَى كَسَلِهِ فَالْزَمَتْهُمْ الْحَامِيَّةُ  
بِالْتَّمَهُرِ بَعْدَ أَنْ تَكَبَّدُوا خَسَارًا جَسِيمَةً

وَفِي شَهْرِ جُمَادِي الْآخِرَةِ اشْتَدَّ الْحَصَارُ وَارْتَفَعَتْ أَثْمَانُ الْأَقْوَاتِ  
وَفِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ١٣٠١ بَيْنَمَا كَانَتِ الْحُكُومَتَانِ الْأَنْكِلَازِيَّةُ وَالْحُدُودِيَّةُ  
تَتَدَاوَلَانِ فِي انْفِازِ حَمَلَةٍ تَقْدَرُونَ اتَّفَقَتِ الْحُكُومَةُ الْحُدُودِيَّةُ مَعَ يُوْحَنَّا  
نَجَاشِي الْحَبَشَةِ عَلَى انْفِازِ حَامِيَّاتِ الْحُكُومَةِ الَّتِي فِي السُّودَانِ الشَّرْقِيِّ وَتَنَازَلَتْ  
لَهُ عَنْ بَعْضِهَا

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ أَيْضًا أَحْسَنَ مُصْطَفَى هَدَلٍ بَضْمَفٍ فِي حَامِيَّةِ خَنْدَقِ الْحَتْمِيَّةِ  
فَقَسَمَ عَلَى اخْتِذَاهَا عُنُودَ تَخَابٍ سَمِيحَةٍ حَيْثُ دَفَعَتْهُ الْحَامِيَّةُ وَهَزَمَتْهُ شَرُّ هَزِيمَةٍ

وفي شهر رمضان سنة ١٣٠١ سعي ماسون بك الامر بكاني في اخلاء  
كسله واجلاء الحامية عنها فلم يفلح لان الجند رفضوا ان يفروا بنيرانهم  
التي لا تستطيع التمرار  
وقد لبث ماسون بك بخابر المدير أحمد غت في الانسحاب من كسله  
فكان يجاوبه باستحالة ذلك ثم غادر ماسون بك مصر ولم يفلح في سحب  
الحامية من تلك المدينة

هذا وقد كان انقاذ كسله ميسورا بسبب قربها من حدود الحبشة ولكن  
أشياء كثيرة كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت العدو على امتلاك  
المديرة. منها ان النجاشي يوحنا بعد ان أصدر أمره الى الرأس الولا بالقيام  
لانقاذ كسله عاد فنقض أوامره الاولى وكان سبب ذلك على ما علمت ان  
الدرائش كانوا يخادعون ويدونه بالخائفة والمماضدة وكان في المدينة بعض  
جواسيس يطلعون الدرايش على كل اسرار الحكومة وما يدبره المدير وكان  
الرأس الولا يخبر المدير ويطلب رأيه في تريب الزحف على المدينة لانقاذ  
حاميتها فكان المدير يجاوبه فيسرع أولئك الخائون ببلاغ الدرايش مآدار  
بين المدير والرأس الولا من المخبرات

ولما وصلت انباء سقوط الخرطوم الى شرقي السودان قويت عزيمته  
محاصري كسلة وأرسل عثمان دقته بالامداد لهم ثم تلاه بقوم الشيخ الحسين  
زهراء ومن معه من المندوبين وقد تقدم لنا ذكر بعثهم قبل وفاة المهدي  
وفي أواخر شهر جمادى الآخرة مرض (شمرشيد باشا) محافظ شواطي  
البحر الاحمر على النجاشي يوحنا عشرة آلاف بندقية ليتقدم لانقاذ حامية  
كسله ولكن في غضون ذلك كانت المجاعة قد برحت بالحامية حتى أكلوا

## الكلاب والجرفان

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٢ برحت الحجة بحامية الحنمية فعزم السيد بكري ابن عم السيد محمد الميرغني على التوجه لكسلة لينضم الى من بها من رجال الحكومة وفلا سار نحو الف رجل فصادفهم في اثناء سيرهم مصطفي هدل وجنوده فذبخوا كل من كان مع السيد بكري وجرح هو جرحا بليغا ثم شرعوا في الهجوم على معقل الحنمية لاستئصال من به من الحامية التي تمكنت من التفتقر بانتظام حتى دخلت معقل كسلة. ولقد أتى السيد بكري من الاعمال الشريفة ما يناسب منصبه ويشهد له ولعائلته بطهارة الاصل ومراقبة المجد

وفي منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فقدت الحامية كل أمل في النجاة كما فقدت القوت حتى قال لنا أحد المحصورين انهم طلبوا الاردب من الذرة بأكثر من الف ريال فلم يظفروا

وعلى أثر ذلك عقد المدير أحمد عفت بك شروط الصلح مع الامناء الذين انفذهم المهدي قبل وفاته على ان لا يمدوا أيديهم لنير ما للحكومة من المال والذخيرة فخرجت الحامية وسلمت نفسها في منتصف شهر شوال سنة ١٣٠٢ فامسكوا المصريين وعذبوهم ونهبوا أموالهم مثل ما حصل في الخرطوم وغيرها ومات كثيرون تحت الضرب والتنذيب وحمل جل المال الي أم درمان واحد عشر مدفأ من الطرز الجبلي العتيق وأقيمت نحو تسعة مدافع تحت تصرف عثمان دقنه وضمنوا أيضا نحو عشرة آلاف بندقية و شيئا كثيرا من الذخيرة ولله الامر من قبل ومن بعد



## ذكر اول واقعة بين الدراويش والاحباش

بعد سقوط كسلة في قبضة العدو بثلاثة أسابيع قدم عثمان دقنه من  
سواكن ومعه زهاء عشرين الف مقاتل وقد استنفر الناس فاجتمع لديه  
نحو خمسين الف مقاتل زحف بهم الي (كوفيت) في حدود الحبشة وتمحصن  
في المعقل الذي كانت حامية الحكومة متحصنة فيه قبل جلائها عن (كوفيت)  
وهناك أرسل كتاب تهديد الي الرأس الولا فورده الرد بأنه سيقدم عليه  
يوم كذا وفي ذلك اليوم هجم الرأس الولا على عثمان دقنه في ثمانين الف  
مقاتل من الاحباش فاحاطوا بالمقل احاطة السوار بالمصم فخرج عثمان  
من المعقل بمئاته فهاجمه الاحباش هجمة الاسود الضواري على فراسها فسهط  
جيشه كله قتلى واستطاع هو النجاة ومعه نحو خمسمائة مقاتل فغن ان الاحباش  
بتأثره الي كسلة فيستولون عليها حيث لا مقاتلة فيها يدفعون عنها غارتهم  
ولذا عاد عثمان دقنه الي كسلة وهو لا يصدق بالنجاة وكانت هذه الواقعة  
في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٢ ويقال ان تقدم الاحباش كان لاقاذا كسلة  
فكان شأنهم معها مثل شأن الانكليز مع الخرطوم حيث جاؤها بعد ان سقطت  
في قبضة العدو

## ذكر قتل المدير احمد عفت ومن معه من القواد

لما رجع عثمان دقنه من (كوفيت) قبض على المدير احمد عفت ومعه  
الصنحقي حسن أغا سليمان الالباني ومعتوقه احمد أفندي شوقي معاون مديرية  
(التاكا) وتاجران يونانيان يدعى احدهما استبلي والثاني بادروس وادعهم السجن

بعد ان وضع في أرجلهم من القيود مائتوه بحمله الدواب وغل رقابهم باغلال الحديد وتركهم في اعماق السجن بلا طعام ثلاث ليال ثم دخل عليهم السجن وقال لهم قوموا الى الصلاة فقال له احمد غت بك هل نطبق القيام ونحن بهذه الاغلال مع مانحن فيه من وهن الجوع فذهب الي عثمان دقنه وأخبره بما قاله احمد غت بك فقال ليحضروا امامي فسيقوا اليه يرسفون في القيود والاغلال كانهم أشباح بلا ارواح فسأل عثمان دقنه احمد غت بك عن سبب امتناعه من الصلاة فأجابه بمثل ما اجاب به السجن فامر بضرب اعناقهم فاطهروا جميعاً الفرح والارتياح وتقدم شوقي عتيق احمد غت بك الى السيف وقال له أمهلني حتى اصلى ركعتين فامهله ثم قال له اننى اسألك بحق مهديكم ان تضرب عني قبل سيدى احمد غت بك فد عنقه فخره ياب لشيء فضربت ثم مد احمد غت بك عنقه مع الجلد والشجاعة فضربت أيضاً ثم مد الصنوج حسن اغاسليان عنقه فضربت ثم تلا ذلك ضرب عني اليونانيين استبلى وبادروس

### شان اهل الخرطوم بعد ذلك

ذكرنا ما كان من أمر المهدي مع أهالي الخرطوم وقد أوردنا صورة المنشور الذي أصدره المهدي لأهالي الخرطوم وطل آره سمح لهم بالاقامة في الامكنة المتخربة من المدينة واخذوا في السعي للارتزاق بالهن الدنيئة مثل صناعة الجبز وفتح حوانيت الاطعمة وهم في كل آن عرضة لصنوف الاضطهاد وفي كل يوم يقع بعضهم في تهمة إخفاء المال فيماد تعذيب الواحد منهم بما يتشعر منه البدن

هذا وقد ذكرت انني كنت اقت بكوخ في أم درمان بمجوار منزل يوسف منصور وبعد وفاة المهدي كانت لي زوجة على وشك الوضع كنت تزوجتها قبل سقوط المدينة وهي بنت احد الضباط المصريين العظام فانتقلت الى الخرطوم للحصول على قالة مصرية بها وما كادت تمضي على ايام حتى نعي الى ان الحاج خالد العرابي كتب الي التمايشي يقول ان ابراهيم فوزي قدم الخرطوم وهو يسمي في توحيد كلمة بني جلدته المصريين للقيام بعمل ضد المهدي فاشعرنا في احدى الليالي الا بالنداء بان كل ذكر من الذين خرجوا من خندق الخرطوم يهدر دمه اذا بات في المدينة بل يجب ان يكون في البقعة التي عند نقطة ملقى الثهرين الابيض والازرق وبينما كان الرجال يدعون اطفالهم ونساءهم للخروج الى محل الاجتماع اذ عاد النداء بوجوب خروج النساء والاطفال الى ذلك المكان أيضا فخرجنا بنسائنا واطفالنا ونحن في حالة لا أقدر على وصفها وبعد وصولنا الى تلك البقعة جاءنا دراويش من أم درمان اخبرونا بان المراد من هذا الاجتماع قتل ابراهيم فوزي (الوؤف) وبيع بقية المصريين ارقاء فقضينا تلك الليلة فراشنا الارض وغطاؤنا السماء فكنت لا اسمع غير صياح الاطفال وعويل النساء

وفي اليوم التالي مكثنا الى قرب منتصف النهار حتى جاءنا التمايشي بمنطليا حمارا يحيط به نحو الف حارس وامامهم اشخاص ينهضون في ابواق من العاج بصوت مزعج متقطع وهذه الابواق تسمي (أم بايه) وسبأتي ذكرهما في وصف موكب الخليفة

ولما دنا التمايشي من موقفنا أمرنا بالوقوف مصطفين ورافعين أصواتنا بالتهليل ثم استدعاني من وسط الصنوف ومعي بضعة أشخاص من أعيان

الخرطوم ولما مثلنا بين يديه خاضعنا بما يأتي  
 «أيها الأتراك أهالي الخرطوم فضلة سيف المهدي عليه السلام انكم  
 أضلتم الناس وغررتمهم بدنياكم فلماذا أيها المنافقون أقسم بالخرطوم ولم ترحلوا  
 إلى أم درمان فهل أنتم لا تزالون مكذبين للمهدي أو ما هي السبب» فاجبته قاتلا  
 ياسيدنا الخليفة نحن نعوذ بالله من أن نكون مصرين على تكذيب المهدي  
 ونحن نعرف امامك باننا مؤمنون بالمهدي وخلفائه والذي منعنا من الإقامة  
 بأم درمان هو عدم قدرتنا على تشييد الكواخ فيها وتمكننا من الإقامة في  
 خرائب الخرطوم بنير مشقة فاجابني التماشي وهو مغمم بالغضب أنت منافق  
 ولا أرى غير ضرب عنقك فقلت له ياسيد الخليفة أنت تعلم التيب وما تخفيه  
 الصدور وإن الحضر عليه السلام وزيرك ومشيرك وقد قال فيك المهدي  
 عليه السلام أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فاطرق بوجهه إلى الأرض  
 وسر من هذا الاطراء ثم رفع رأسه وقال لي يا ابراهيم فوزي لقد تحققت  
 براءتك مما نسب اليك وقد عفوت عنك وعن جميع أهالي الخرطوم ولكن لا بد  
 من منادرتكم الخرطوم واقامتكم بأم درمان لأن الخرطوم دار كفر والمهدي  
 عليه السلام قال لا تسكنوا في مساكن الكفار ولا تلبسوا ملابسهم ولا تزيروا  
 بازياهم فقلت ياسيدنا الخليفة نحن لانملك أجرة اجتياز النيل فامر باجازتنا  
 مجاناً فاجرتنا النهر وأقنا بأم درمان نقاسي من صنوف الذل ألوانا

### ذكر الاجتماع العام لعبد الأضيحي

ذكرنا ما كان التماشي شرع في عمله من إقامة مشاعر الحج بأم درمان  
 واطاله هذا المشروع قبل ابرازه من القول إلى الفعل

هذا وقد دعا الناس للاجتماع في عيد الاضحى ليتحقق طاعتهم وليظهر امامهم بمظهر الملك والقوة فدعا محمود بن عبد القادر أمير كردفان وسائر أهلها ودعا أيضا أهالي الجزيرة فاجتمع في أم درمان زهاء خمسمائة ألف مقاتل فخرج عليهم يوم العيد يحيط به نحو عشرة آلاف عبد يحملون الاسلحة النارية من طرز وامنجنون وامامه بوق ( أم بايه ) وهو بوق من الصاج كان يستعمله كبار نخاسي النيل الأبيض وكان المهدي قد ميز التمايشي عن بقية الخلفاء بهذا البوق الذي يكون علامة على دعوة فرسان الجيش بالتكوف حول التمايشي

وخرج التمايشي راكبا هجينا كان يركبه المهدي وأخذ يسير الهوني حتى بلغ زريبة بن الشوك أعدت ليصلي فيها هو والخلفاء والمقربون منه فاقامت الصلاة قبل الزوال بنحو ساعة فصلى التمايشي بالناس اماما ثم خطب بهم الخليفة على حلقه وهكذا كان حال التمايشي في أيام الاعياد يصلي بالناس اماما ويخطبهم الخليفة على حلقه لان التمايشي أمي يجمل الكتابة والقراءة وبعد انقضاء الصلاة عاد الى منزله وقد سره مارآه من إقبال الناس عليه وطاعتهم لا واصرره

وقد ذكرنا انه كان يخشى انتفاض أقارب المهدي ولكنه علم من أهالي الجزيرة انهم سيثو السلوك وقد حملوا الاهلين من المظالم والمنارم ما جعلهم يثنون تحتهما وأتوا من المنكرات ما يعجز القلم عن ابراده

ومن هاته الحوادث ان كريبا أحد حراس الخليفة شريف وقرب المهدي الذي ذكرنا انه قطع الصبي ثمانى قطع يوم سقوط الخرطوم ذهب اليه المسلمية بأمورية جمع الثنائم فرأى بجوار داره امرأة أرملة في منتهى الحسن والجمال ولها بنتان لا يقلان في الحسن والجمال عن أمها فقبض عليهن

وأدخلهم داره ووقع على أهما أولاً ثم افتض التتارين فقدم على  
التعايشي وروى عن شكرهم اليه فاحلهم على القاضي الذي استدعى كريبا  
ولدي استنطاقه اعترف بأنه وطى المرأة بملك اليمين لأنها غنية أما الفتانان  
فانكر افتضاضه إياها

وفي هذا الاجتماع أصدر التعايشي أمراً بإبطال وظيفة الامناء الذين  
فوض لهم المهدي النظر في الرائض التي ترفع اليه لأن جلهم من أقارب  
المهدي ثم أعلن إبطال وظيفة النواب الذين أقامهم المهدي لينوبوا عنه في نظر  
الظلمات التي ترفع اليه وأقام للقضاء بين الناس القاضي أحمد على الذي لقبه  
بقاضي الاسلام وأشرك معه نحو عشرين قاضيا كلهم من جهلاء الاعراب  
الذين لا يفقهون شيئاً غير أنهم يحفظون الفاظ القرآن الشريف

ثم أشار عليهم بعدم قبول الطعن في الشهود وتحليف الشاهد على المصحف  
فكانوا يكتبون في أحكامهم ما يأتي « ولمدم قبول الطعن في الشهود كما أشار  
خليفة المهدي عليه السلام قد صار تحليف الشهود وحكمنا بكذا »

كل ذلك ليثبتم من أقارب المهدي بقيام الناس عليهم ومقاضاتهم رد  
ما نهوه منهم، وخرج الي محل القضاء في ذات يوم شاهرا سيفه وقال لهم  
ان لم تحكموا بين الناس بالحق فلا بد ان أضع سيفي هذا في رقابكم ثم خطب  
في الناس قائلاً من كانت له مظلمة عندي فليقدم لمقاضي امام القاضي والحاصل انه  
ظهر امام الناس بمظهر المادل الشفوق وقتل الناس راجعين الى بلادهم وقلوبهم  
مملوءة بالاخلاص له والانتقاد الاممي لطاعته وشرعوا في مقاضاة اقارب  
المهدي واستردوا اكثر ماسلبوه منهم

## ذكر وفود الهنود على التمايشي

في أوائل سنة ١٣٠٣ وفد على التمايشي عشرة رجال منهم سبعة من الهنود المسلمين وثلاثة من بخاري فلقاهم بالاكراهم وقدم لهم الاغذية مدة أسبوع ثم أهمل أمرهم وشدد عليهم في مواظبة الصلوات الخمس في المسجد فساءت حالتهم حتى أصبحوا الاحرق فلم يبق التسول وكان بين الثلاثة البخاريين واحد اسمه محمد الامين فاخبر التمايشي بان له معرفة بالكتابة ونسخ الصور التي تستعمل في مطابخ الحجر القديمة فامر بارساله الى المطبعة لمباشرة تلك المهمة وجعل راتبه خمسة ريات يقبضها في السنة مرتين أو ثلاثا ويظهر من حالة أولئك الهنود انهم فقراء وانهم قصدوا بلاد السودان عساقم أن يجدوا سيلا للارتقاء

وكان من بينهم واحد اسمه كمال الدين وكان بارعا في أساليب الخداع والاحتيال ادعى انه ذوق علم بصناعة المادة القابلة للانفجار وهي المسماء (عجينة الكبسون) وتناول من التمايشي نحو اثني عشر الف ريال ثم ظهر جهله وانكشفت حيلته وسنأتي على ذكر هذه المسألة في مكانها ان شاء الله

## ذكر انتفاض الاشراف وتسليم الرايات

ذكرنا ما كان من أمر المداولة بين الحلفاء وتقسيم البلاد بينهم وتردد التمايشي في انفاذ تلك التهمة وعدم رضاه بها ولما عاد محمد عبد الكريم بعد اسقاطه سنار واستحوذه على ما فيها من الذخيرة والامتنعة طلب منه التمايشي أن يسلم ما لديه من الذخائر والاسلحة

والمال فامتنع واعلن الخليفة شريف عبد الله التمايشي بانه يريد التقدم الي بربر  
ومنها الى دققة كي يتقدم منها لفتح مصر فنعنه التمايشي فلم يصغ لقوله  
وخرج في شمال أم درمان وعسكر هناك وأخذ في الالهبة للرحيل فجمع  
عبد الله التمايشي خواصه واستشارهم في هذا الامر فاشاروا بوجوب مقاومته  
وارغامه على الخضوع لا واصره فرائى التمايشي ان قوة الخليفة شريف أعظم من  
قوته وانه لا بد ان تدور عليه الدوائر اذا قصد اخضاعه بالقوة فعمد الى طريقة  
الحيلة والخداع توصلا الى هذه النتيجة فبذل المال الى الخليفة على حلو وطيب  
قلبه بالوعد ليكون معه على الخليفة شريف

وكان الخليفة على حلو متزوجا بأخت عبد الله التمايشي وبينهما من  
رابطة جنسية البقارة ما يدعوه الى تفضيله على الخليفة شريف قال الى  
التمايشي الذي عمد الى أحمد شرفي صهر المهدي واستماله اليه بالهدايا والوعد  
فصار يرفع اليه أخبار الخليفة شريف وما دبره ووعدته بالمساعدة في كل  
ما يطلبه منه

وفي ذات يوم ركب التمايشي ومعه الخليفة على حلو وقصد معسكر  
الخليفة شريف فوقفوا صنوفا للقاءه ولدي وصوله الى الصفوف أخذ يركب  
ويتنحب فاحاط به كل من الخليفة على حلو وأحمد شرفي وغيرهم من خاصته  
وسألوه عن سبب بكاؤه فلم يرد عليهم وأخيراً قرب منه الخليفة شريف  
وأقارب المهدي فرفع رأسه وأشار بيده الى الامام وقال لهم هاهو المهدي  
امامكم يعض على أنامل النديم ويقول لي كيف تختلفون قبل ان يعضي على  
أنفالي من بين ظهرانيكم سنة ألم يعلم أصحابي انك خليفة الصدوق قبكي الماضرون  
وفي مقدمتهم الخليفة شريف وتراموا على ركاب التمايشي يقولونه ويسألونه



الصفح عن زلتهم ثم طالب من الخليفتين على حار ومحمد شريف ان يسلماه  
واياهما فسلوهما وأسرهما بتسليم ما عندهما من الاسلحة والذخيرة والجهادية  
فعملا وأصبح الخليفتان لا يملكان شيئا من الاسلحة النارية وكان التمايشي يد  
الخليفة على بن حلو سرا باعارة ما أخذ منه ولكن لم يوف له بشيء بعد ان  
تمكن من انفاذ غرضه وقلب له ظهر الحين ومع ذلك كان يكرمه ويجزل له  
المطاء وينشاوره في كثير من الامور

ومن ذلك اليوم مال اصحاب الخليفة شريف وقواده عنه واحتقروه لما  
رأوا من ضعف عقله الذي اثرت عليه هذه الحادثة التي لا تؤثر على عقول  
الصبيان فانحازوا الى جهة التمايشي مظهرين له التزلف والتودد مضمنين له  
جانب الخليفة شريف الذي أخذ يمد قواده واصحابه بان له أملا كبيرا في  
اعادة نفوذه بواسطة القوة الضخمة التي تحت قيادة ابن عمه محمد خالد زقل  
في دارفور

وفي الحقيقة ان التمايشي كان في وجل شديد من القوة التي كانت مع محمد  
خالد زقل ويحسب لها حسابا ولذلك عاد الى استجلاب مودة الخليفة شريف  
وأبقى جميع أقارب المهدي الذين كانوا منتشرين في البلاد لجباية الخراج في  
مناصبهم ريثما ينظر في أمر محمد خالد زقل وكانت هذه الحادثة في أوائل سنة ١٣٠٣

### ذكر القبض على امراء سنار وفرار الشيخ مضوي

لما كان الامراء الذين اسقطوا سنار من أتباع الخليفة شريف لم يجسر  
التمايشي على مطالبتهم بما غلوه من خنائم سنار مع انهم لم يؤدوا الى بيت  
المال العشر منها

ولما استولى التمايشي على ما عند الخليفة شريف من الاسلحة والذخيرة  
 اصبح قادراً على مناقشة اولئك الامراء الحساب على ما اغتالوه من القناطير  
 المنقطرة من الذهب والفضة فاستدعى اليه اعيان سنار الذين أخذت منهم  
 الاموال وأخذ يلين لهم الكلام ويمدحهم بنيلهم نصيباً مما أخذ منهم اذام  
 أو ضحواله كية المال واسم من استولى عليه من الامراء فأوضحوا له كل  
 ذلك فأمر بالقاء القبض على محمد عبد الكريم القائد العام لانه علم من كلامهم  
 انه استولى على نحو خمسة قناطير من الذهب واستولى بقية الامراء على  
 مقادير عظيمة من التبر

وقد علم التمايشي أيضاً ان الشيخ مضوى احد الامراء عذب مصرى  
 اسمه على مرزوق كان ناظر الشونة وأخذ منه خمسين رطلا من التبر المسبوك  
 فأمر بالقاء القبض عليه فلم يجدوه بام درمان اذ كان متخياً في قريته (اليلقون)  
 فأمر بأشخاص مائة راكب يقصدون تلك القرية التي تبعد عن أم درمان مسيرة  
 مرحلة واحدة للقبض عليه فاسرع احد اقاربه بمفاداة أم درمان وأبلغه الخبر  
 فركب راحلته فأصداً حدود الحبشة وزور خاتم التمايشي على مكتوب أمر  
 فيه الامراء بتقديم ما يلزم الى الشيخ مضوى وانه ذاهب بمهمة الى بلاد الحبشة  
 فتناول بهذا المكتوب نحو ثلاثة آلاف ريال وبلغ حدود الحبشة آمناً ولم  
 يصبه سوء ولحق بالشيخ عجيل الجراني في جهة ( غبته )

ولنمد الى ذكر الامراء الذين قبض عليهم التمايشي فنقول انه أبقام في  
 السجن بضعة شهور لم يتغير في خلالها بشئ مما اغتالوه وامروا على الانكار  
 فأمر بمصادرة ما ظهر من أملاكهم مثل الجوارى والعبيد والدواب والامثلة  
 البيتية ثم امر بالاخراج عنهم وألحق البعض منهم بمثمان دقته والبعض بعبد

الرحمن النجوى فى دقلة واقضى الامر على ذلك

ذكر عصيان المجاهدة بالايض وقتل امير كردفان  
لما غادر المهدي الايض الى (الزهد) ومنها الى أم درمان استخلفت على  
اقليم كردفان معه محمود عبد القادر وقد ذكرنا انه استخلفه في جبال (قدير) لما  
بارحها الى كردفان فكانه تفاعل باستخلافه وظل محمود عبد القادر قابضاً على  
زمام اقليم كردفان حتى توفي المهدي فاستدعاه التماشي لحضور الاجتماع  
العام في عيد الاضحى الذي كان عقب وفاة المهدي ثم أعاده الى عمله في الايض  
وكان محمود عبد القادر هذا ابن عم والد المهدي ومن أصحابه التقدماء  
الذين شاركوه في تأسيس دعوى المهدي وكان متظاهراً بالزهد والقناعة وكان  
المهدي يكرمه ويحمله

وكان في حامية الايض التي تحت قيادته الف وخمسمائة جهادى منهم  
نحو تسعمائة من جنود الحكومة الذين أسروا في واقعة يوسف باشا الشلالى  
وسقوط الايض والباقي من عبيد الاهالى الذين صادرهم منهم محمود عبد  
القادر وهؤلاء المجاهدة يقودهم صف ضابط منهم اسمه (الباك) فعهد اليهم  
محمود عبد القادر حراسة الجبه خانات ورعى الماشية وجعل البعض حراساً له  
ولقواده وكان مع ذلك لا يعطيهم رواتب تقوم بضرورتهم فاستأوا من  
هذه الماشية وااضروا الخروج عليه فبنى اليه الخبر فارسل يدعو قائدهم الباك  
للاحضرة الى المسجد لتلقى أوامر جديدة فاعتذر عن الحضور وأرسل اليه  
بعض أعوانه فقبض عليهم محمود عبد القادر وضرب أعناقهم فاستشاط الباك  
غضباً ونفخ أبواقه وهجم برجاله على الجبه خانه فدافنه محمود عبد القادر بنحو

أربعة آلاف من فرسان الدراويش الذين انهزموا امام نيران الجناك وتركوا له الجبه خاثة فاستولي عايبا ودخل منازل الدراويش واتهب ما فيها من المال والماع وغادر الابيض الي جبال النوبة وأعلن دخوله في طاعة الحكومة المصرية وسي نفسه (الجاك باشا) ومنع الرتب لمن معه من القواد وأخذ يجبي الضرائب من سكان الجبال وأوصى قواده بعدم التعدى على حقوق الالهين وازلا يأخذوا منهم الا الضريبة المفروضة فساروا سيرة حسنة امتدحهم بها سكان الجبال فارسل خلفهم محمود عبد القادر ثلاثة آلاف من رجاله مسلحين بالاسلحة النارية تحت قيادة الهاشي أحمد الجبلي فهزمهم الجناك باشا سر هزيمة وقتل قائدهم وذبح عددا كبيرا منهم ثم سار اليه محمود عبد القادر في أربعة آلاف مقاتل فالتقى الجمعان وثبت الجناك ورجاله ثبات الابطال وقتل محمود عبد القادر وقتل اكثر رجاله وولي الباقون الاديباروهم لا يصدقون بالنجاة ولما اتصل بالهاشي خبر قتل محمود خاف عاقبة امر الجناك ولكنه سر من جهة أخرى بقتله لانه قريب المهدي وعصده من قوة الخليفة شريف فاسرع بانتداب علي الهاشي المصري في مائتي رجل وسير خلفه قريبه عثمان آدم المشهور (بجاو) وأمرها بالبقاء في الابيض وان لا يترضا لحرب الجناك وكتب الى حمدان ابي عنبة يأمره بالهجوم على الجناك بجميع قواته فجمع عليه باكثر من عشرين الف مقاتل واصلا حريا أظهر فيها الجناك ورجاله اعظم بساله حتي قتلوا عن بكرة ابيهم

### ذكر اعمال ابي عنبة في الجبال

لما هزم ابو عنبة الجناك عاد الي غزواته في الجبال حتي اقترب من جبال

نقل التي ذكرنا شأنها مع المهدي وقتله ملكها لما جاءه زائر في الايض فجهم  
على من فيها وقتل رجالها وساق النساء والصبيان سيياً وباعهم ارقاء مع انهم  
أعراب مسلمون كما تقدم لنا الكلام عنهم

ثم غزا أبو عنجة قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وانهب مالها  
وماشيئها وقتل زعيمها (نواي) الذي كان لحق بالمهدي في جبال (قدير) وكان  
المهدي وعده باعفائه من مرافقته الى الخرطوم فاخلف وعده وساقه اليها فمر  
نواي ولحق بقومه في كردفان فقتله أبو عنجة انتقاماً منه وانهب أموال قبيلته

ذكر اشخاص محمد خالد زقل من دارفور وسجنه  
أوردنا في الجزء الاول ما صار اليه شأن محمد خالد زقل واستيلائه على دارفور  
وقد صار فيها كلك مستقل خيث جمع حوله جيشا كثيفا يربو على مائتي  
الف مقاتل

وكان التماشي منخوفاً منه كما تقدم ولما استولى التماشي على  
أسلحة الخليفة شريف وذخيرته وراياته كتب أحمد سليمان أمين بيت المال  
كتاباً الى محمد زقل اخبره فيه بكل ما كان عقب موت المهدي من الحوادث  
كما اخبره بوقوع الخليفة شريف في الفخ الذي نسيه له الخليفة عبدالله  
التماشي حتى اسلحه ما يبدد من الذخيرة والاسلحة والرايات وقال له في  
الحتام اقطع الامل الان منك وحذره من الوقوع في فخ مثل الذي وقع فيه  
الخليفة شريف

وكان التماشي قد شدد في مراقبة أقارب المهدي حتى لا تصل منهم  
كتب الى محمد خالد زقل فوقع كتاب احمد سليمان أمين بيت المال في قبضة

التمايشي فأسرع بإصدار أمر الى محمد خالد زقل بمناذرة دارفور بمن معه من الجيش فامتثل الامر وغادر دارفور حتى اذا بلغ كردفان اعترضه أبو عنجة ودفع اليه أمرا من التمايشي بتسليم كل الجيش الى ابني عنجة المذكور فاطاع محمد خاله ولم يبد أقل اعتراض

ولما تمكن أبو عنجة من الاستيلاء على جيش محمد خالد زقل شرع في تجريده من أموال الخصوصية ولم يترك له قوت يومه ثم كبله بالديد وأرسله الى أم درمان يرسف في القيود والاغلال ولدى وصوله اليها زجه التمايشي في السجن فبقى فيه بضعة شهور ثم أطلق سراحه

وبلغ مجموع الخيول التي استولي عليها حمدان أبو عنجة من محمد خالد زقل ما ينيف على عشرة آلاف جواد وعدد الاسرى كان يربو على خمسة عشر الف جهادي مسلحين بالالامعة النارية وظفر أبو عنجة بكل أموال زقل وكانت عظيمة جداً وأرسلها الى التمايشي

ولما اتصل بالتمايشي نبأ القبض على زقل جمع بطانته وأخبرهم بذلك وقال لهم قد ذهبت كل غاوى وصرت آمناً مطمئناً على مركزى وأنا أطلب منكم منذ اليوم ان تساعدونى على القيام بامور هذه المملكة المترامية الاطراف حيث لم يبق لى مراض فى جميع انحاءها ومن ثم بدأ بتواليه الاعراب على البلاد واستئصال شأفة الذين وسمهم المهدي من أقاربه ومواطنيه

ذكر القبض على احمد سليمان امين بيت المال وعزله  
 أحمد سليمان أمين بيت المال عصى الاصل من أهالى بلدة اسمها (دفاعه)  
 على ضفة النيل الازرق الشرقية اجتمع على المهدي في جزيرة (آبا) فاحبه

واكرمه واطلعه على كنه اسراره وكان أحمر سليمان يتفانى في حبة المهدي وخدمته وقد ذكرنا أنه كان متولياً تقديم الأطعمة له وكان يقود خطام دابة المهدي حافياً وفي جبال (قدير) ولام المهدي أمانة بيت المال مفوضاً له فيه العمل بلا أدنى مراقبة أو مسؤولية يعطى من شاء ويمنع من شاء وكان أحمد سليمان يحتقر عبد الله التمايشي وبغضه ولا ينفذ له إرادة مع ما كان فيه التمايشي من سمو المنزلة عند المهدي لأن أحمد سليمان كان يرى نفسه عند المهدي في منزلة اسمي وأرفع من منزلة عبد الله التمايشي مهما بلغ هذا من القرب منه

وفي إبان إقامة المهدي بكر دقان وقع خلاف بين التمايشي وبين أحمد سليمان فأمر التمايشي بسجن أحمد سليمان فسجن واتصل الخبر بالمهدي فكاد يفقد صوابه لشدة ملحقه من الغضب فأرسل إلى السجن وأطلق أحمد سليمان وعنف التمايشي على اقدامه على مثل هذا الأمر حتى ظن بعضهم أنه سيمزله من الخلافة ويقصيه من بين يديه

وقد تعالى المهدي في الثناء على أحمد سليمان حتى قال أنه رأى مكتوباً على ساق عرش الرحمن جل شأنه أن أحمد سليمان أمين المهدي عليه السلام وقد قلنا أنه كان يكرم ذوي قرابة المهدي ويخصهم بالنصيب الاوفر من المال ولا يعطى التمايشي أكثر من مائة ريال في كل شهر. أما أقارب التمايشي فلا نصيب لهم أثبتة حتى أن يعقوب أخا التمايشي ووكيل رأيته كان يتردد على باب أحمد سليمان شهرين أو ثلاثة فلا يمنعه بعدها أكثر من خمسة ريالات وقد رأته مراراً واقفاً على باب أحمد سليمان موقف اذلاء السؤال فلا يؤذن له بالدخول إلى حضرة

وجلة القول ان من ينظر بعين الامعان يتحقق ان أحمد سليمان كان أقرب مقرب للمهدي وأصدق صدق له وأعظم مستشار أمين عنده حتي ان أولاد المهدي ونساءه لا يجسر أحدهم ان يقول أمامه كلمة تمس أحمد سليمان

ويظهر جليا من هذا ان أحمد سليمان كان لا يأتي أبداً أمر أو يوجب انحراف المهدي عنه ولهذا أوجع صدق ماسمته من الواقفين على كنه سيرة المهدي من ان أحمد سليمان كان لا يضع خطا في إبرة بشير ان يكون المهدي الأمر له بوضعه وهو كثير الاختلاء به وكان لا يحجب عنه حتى لو كان المهدي محتليا بأحدي نساءه وغرفته مفلسة وطرقها أحمد سليمان أجابه من الداخل وأذنه بالولوج عليه وهذا منتهى القربي ونهاية الرضي

ولما توفي المهدي كان التماشي ينتظر من أحمد سليمان ان يتقرب منه ويخدمه بمثل ما كان يخدم به المهدي ويقود دابته حافيا كما كان يقود دابة المهدي فلم يفعل بل غاية الأمر انه زاد في احترامه للتماشي رعاية لمنصبه وزاد في مرتبته وخص ذوي قرابته بنصيب أقل من القليل من بيت المال وعكف على البذل والانفاق على أقارب المهدي وزاد أعطية نساءه وأولاده وأهائهم

وكان أحمد سليمان يتوقع شرا يصيبه من التماشي على أثر إفضاء الخلافة اليه وقد ذكرنا كتابه الى محمد خالد زقل وبمد ان سجن أبو عنجة زقل انتدب التماشي من بطائه أناسا ضبطوا بيت المال وكافوا أحمد سليمان بتأدية الحساب عن الدخل والخرج من يد علي بيت المال فخرج من هذا الاقتراح واحتج بأن المهدي لم يأمره بضبط الحساب في دفاتر ولذلك لا يمكنه



أداء مثل هذا الحذاب فاصدر أمرا بمنزله وزجه في السجن فبقي فيه اكثر من سنة ثم أطلقه وعهد بائنة بيت المال بعده الى رجل من أهالي جزيرة الخرطوم كان تاجرا في الابيض اسمه ابراهيم بن عدلان وسمنعود الى ذكر بقية أعماله وما كان بعد ذلك من صلبه

### الاشاعة بعودة الانكليز الى دنقلة

لما أخلت الحملة الانكليزية دنقلة احتلها محمد الخير أمير بربري وأوائل سنة ١٣٠٣ وسرح مقاتلته الى جهة الشمال حتى بلغوا جنوب حلفا التي كانت يومئذ مقر الحملة الانكليزية التي تقدمت منها بعض طواير وحاربت جنود محمد الخير وانصرفت عليهم فاستنجد محمد الخير من تقدم الانكليز الى جنوب حلفا انهم يقصدون التقدم الى دنقلة لاختضاع السودان كله حيث سمعوا بمهلك المهدي فاسرع بابلاغ الخبر الى عبدالله التمايشي فانقض هذا الخبر عليه انقضاء الصاعقة وارتاع دوعا أفقده الصواب لان تقدم الانكليز يقضي على آماله التي شرع في تأسيسها وهي استبداده بالملك وانفراد بالسلطان اذ يصير ارضاء الخليفة ومنحه بعض السلطة واجبين لتوحيد الكلمة فجمع أهل شوره وكتب الى محمد الخير يأمره بالتقهقر أمام الانكليز وتركهم حتى يبلغوا أم درمان وفي اليوم التالي أعلن خبر تقدم الانكليز وأمر المقاتلة ان يمسكروا شمال أم درمان فخرجت معهم وفي أصيل النهار لحق بنا التمايشي والحليفان على حلو ومحمد شريف

ولما مالت الشمس للغروب توضأنا من النهر وصلي بنا التمايشي صلاة المغرب على ضفة النهر ووجهنا متجهة الى النهر وبمداة الصلاة برز القمر

وقرعه مستدير ولونه أحمر كهيته في مثل ليلته عند بروزه اذ كانت  
ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٣ فوقف واحد من  
ال دراويش بجانب التمايشي وهو جالس ورفع صوته قائلاً ( السلام عليكم  
يا أصحاب المهدي عليه السلام ) فردوا التحية فقال حولوا نظركم الى جهة الشرق  
وانظروا الى القمر كيف برزولونه أحمر كأن هلل رأيتوه بهذا اللون قط  
فاجابه الخليفة على حلق قائلاً لا . لا . لم ننظره أبداً بهذا اللون فقال انني سمعت  
المهدي عليه السلام يقول ونحن في قدير « اذا فتحنا الخرطوم فان الله يجعل  
لأصحابي آية يعرفون بها النصر المبين الذي يصاحبهم الى الابد فقلنا يا سيدنا  
المهدي وما هي تلك الآية فقال هي خروج القمر في لون أحمر » فوقف  
التمايشي وقال للرجل صدقت يا صاحب المهدي فما أنا ذا أقرأ كتابة على  
صفحة القمر وهي « هذا نصر المهدي وأصحابه الى الابد » فضج الناس  
بالهليل والتكبير حتى غلت السماء قد انطبقت على الارض ثم بعد اداء صلاة  
المشاء عدنا الى أم درمان وقضيت ليلى متعجبا من جمالة دراويش المهدي  
الذين يملكون ان التمايشي لا يقرأ ما يكتب على القرطاس فكيف يصدقون انه يقرأ  
ما يكتب على صفحة القمر وأخيراً كذبت الاشاعة وعاد الانكليز الى حلقنا  
اذ هم في الحقيقة لم يقصدوا التقدم الى دنقلة بل كانوا يقصدون طرد الدراويش  
من جنوب حلقنا فجازوا عليهم وأبعدوهم عن جنوبها

أما تلك الوقائع فان تفاويلها لم أصل اليها من مصادر نثري بروايتها وغاية  
الامر ان التمايشي لما علم بعدم صحة النبأ ذهب مخاوفه ولم ينشر شيئاً من  
تلك الوقائع التي عدها نافذة لاستحق الذكر

## ذكر انقاذ عبد الرحمن النجوي الي دققة

في أوائل سنة ١٣٠٣ انقذ التمايشي عبد الرحمن النجوي الي بربر ومنها الي دققة ومعه جميع المقاتلة التابعين لراية الخليفة شريف فوصل الي دققة في أواخر السنة واتخذ مدينة (المرضى) قاعدة إقليم دققة معكم المسكره العام ووصلت طلائع جيشه الي جنوب حلقا وسمود الي زاهد وخباره الي قتله في واقعة (طوشكي) والله الموفق

Library of the Alexandria Library  
Bibliothèque

## انتفاض دارفور علي التعايشي واخضاعها

لما غادر محمد خالد زقل دارفور هب رجل اسمه يوسف من فراري سلاطين دارفور واستخلص البلاد من ايدي الدراويش الذين تركهم بها زقل ونودي به سلطانا علي اقاليم دارفور كما كان اسلافه فكتب التمايشي الي عثمان آدم جاتو يأمره بمجشد أهالي كردفان والتقدم بهم الي دارفور لاخضاعها فحشد جيشا يربو علي الخمسين الف مقاتل منهم نحو عشرة آلاف كانوا مسلحين بالاسلحة النارية وهجمهم علي (القاشر) عاصمة دارفور فقابلها السلطان يوسف في جمع كثيف ودافعوا دفاع الابطال وانجبت الحرب عن هزيمة أهل دارفور وقتل السلطان يوسف ودانت البلاد بطاعة المهديوية فاستولي عليها عثمان آدم وأخذ يوالي النار علي الجبال التي حول دارفور فاجتمع لديه من الارقاء زهاء عشرين الف مقاتل مسلحين بالاسلحة النارية وأرسل عثمان آدم بما غنمه من دارفور الي التعايشي علي مألوف المادة وأرسل اكثر من ثلاثمائة فتاة من فتيات دارفور سبايا الي التعايشي الذي سر

من عمله وكتب اليه بالولاية على إقليم دارفور وكردفان وجعله قائد جيوشها  
وسياقي ذكر بقية أعماله وحروبه مع أبي حمزة مدعي المهدي

### ذكر محاق قبيلة الشكرية بالمحبشة وقتل زعمائها

في أوائل سنة ١٣٠٤ كتب التمايشي الى قبيلة الشكرية يدعوها الى  
الشغوص الى أم درمان بماشيتها وكانت وقتئذ نازلة في باديتها بصحراء (ريره)  
بين نهري (اتبره) والنيل الارزق فابتغى ان دعوتها الى أم درمان لم تكن  
لغير نهب ماشيتها وما ادرتها فعولت على الالتجاء الى بلاد الاحباش وكان  
زعيمها عوض الكريم بن أبي سن الذي ذكرنا اخباره مع المأسوف عليه  
غردون وقدموه على المهدي تائباً نادماً مقيماً يومئذ في أم درمان  
وبعد أيام قلائل من دعوة التمايشي لقبيلة الشكرية جاءته الاخبار  
بمفادرتها ديارها ولحقها ببلاد الاحباش فاحتدم غيظاً وأمر بالقاء القبض على  
عوض الكريم بن أبي سن وسائر أفراد أسرته الذين هم من قبيلة الشكرية فقبض  
على نحو مائتي رجل من خيارهم واكلوا بالحديد وزجوا في السجن حتى  
أمر التمايشي بقتلهم صبرا فقتلوا جميعاً ولم ينج منهم أحد

أما الذين هاجروا الى الحبشة فلم يكونوا أسعد حالاً من الذين قضى  
عليهم في السجن لان رداءه هواء بلاد الحبشة استأصلت إيلهم التي كانت  
تعد بمئات الالوف وأبادت نفوسهم التي يقرب عددها من ثلاثمائة الف  
نسمة وبالجملة فان تلك القبيلة التي كانت من اكبر قبائل السودان واكثرها  
ماشية وأشدها بطشا وقوة هلكت عن بكرة أبيها وذهبت ماشيتها ولم يبق  
منها غير بضعة آلاف نسمة متفرقين في البلاد وهم في نهاية الفقر المدقع

ذكر قبيلة الضباينة والقبض على زعيمها في الجهات الجنوبية  
 في نهر ( ابره ) قبيلة تسمى الضباينة يربو عدد نفوسها على أربعمائة ألف  
 نسمة ولها من الماشية من نوع الابل والبقر ما يربو على ماشية قبيلة الشكرية  
 وهي رحالة وزعيمها محمود عيسى زائد الشامي وهو من أسرة تولت زعامة  
 تلك القبيلة منذ قرون وتؤكد هذه الأسرة ان جدّها شامي قدم السودان  
 من الديار الشامية منذ قرون أيضا وكان محمد زائد هذا ذا ثروة واسعة وله من  
 الموالى والارقاء ما لا يدخل تحت حصر حتى انك ترى قري مملوءة بأرقائه  
 وكان كريما جودا يقري الضيوف ويعطى للمال بآلاف الريالات وكانت له  
 قصعة من الحشب يحماها خمسون رجلا . وقد أخبرني واحد من الذين  
 حضروا مصادرة أمواله انهم أحصوا النوق الموسومة بالنار على نفذها  
 الايمن اشارة الى انها معدة لركوبه خاصة لا يسوغ لاحد من مواليه  
 أو أسرته ركوبها اجلالا لمقامه فكانت نحو أربعة آلاف راس من الكرم  
 أنواع النوق والمجن

وكان محمود عيسى زائد ينفذ المهذوبة ويبطن ولاء الحكومة وان  
 كان يحالى المهذوبة ويتظاهر بطاعتها حتى ان عثمان دقنة كان يكتب له قبل  
 سقوط كسلة محرّضا على وجوب شن النار على حامية (الجيرة) قبل سحبها  
 لانها قريبة من قرية ( اثومات ) محل اقامته فلا يفعل وبعد أن سقطت كسلة  
 أرسل عثمان دقنة نحو أربعة آلاف مقاتل تحت قيادة عوض الكريم  
 كافوت الجبلية فقبضوا على محمود عيسى زائد على غرة وصادروا أمواله وحملوها

الى الخليفة التمايشي ومن جملتها (القصة) التي جعلها التمايشي اناء يتسدم فيه شياً من تافه الطعام الى المدعوين في أيام المواسم والاعياد ولكن محمود زائد كان يقرى ضيوفه بملئها صباحا ومساء طعاما نفيسا هو خليط من قح ولحم وابن وسكر أو عسل مصفى ومسيق. محمود زائد الى التمايشي يرصف في القيود والاغلال فطارحه في السجن وفي سنة ١٣٠٧ اسأصل الزاكي طمل قبيلة الضباينة وأطلق الخليفة محمود زائد فوات غمابه ان أصابه من عذاب السجر تمدان القوة ما برح به خمس سنوات متواليات

### ذكر انتفاض قبيلة جهينة

فكرنا بعض اخلاق وعادات قبيلة جهينة التي تسكن جنوب سنار وقلنا ان زعيمها المهدي اباروف شخص الي المهدي في جبل (قدير) وعاد من عنده داعياً له في قومه الذين جميعهم وظل يحارب بهم مدينة سنار حتى سقطت ثم عاد الى بلاده فيما وراء سنار

وفي أوائل سنة ١٣٠٣ أرسل التمايشي جايا بقاريا اسمه أبو ام فضالي لجباية الحراج من قبيلة جهينة وسائر البلاد الواقعة جنوب سنار فخلعهم من أنواع المظالم وضروب الحيف ما عجزوا عن تحمله فرفعوا شكواهم الي التمايشي الذي عندهم واتهمهم بالمروق من الدين لأنهم شكوا اليه أصحاب المهدي فهبت قبيلة جهينة وزعيمها وأخرجت ابا أم فضالي قسرا من بين ظهرانيها واعلنت خروجها على التمايشي الذي لما اتصل به هذا النبا أسرع بانفاذ نحو خمسة آلاف مقاتل جلهم مسلح بالاسلحة النارية فطاردوا قبيلة جهينة وقتلوا زعيمها المهدي اباروف واسرته وأصدر التمايشي أمراً بمصادرة أموال هذه

القبيلة واشتد الامراء الى الجهات التي بها مساكنهم فكنت ترى الابل والبقرة قد ضاقت بها الارض على وسعها ونزلت اثمان الذرق حتي صار ثمن الواحدة خمسة قروش مصرية وزاد الطين بلة مصادرة ماشية قبيلة الكبايش في نفس الوقت الذي صودرت فيه أموال جهينة وماشية الكبايش تربو على ماشية جهينة كما سنوضحه فيما سيأتي

والحاصل ان قبيلة جهينة بادت كلها وذهبت ماشيتها ولم يبق منها ولاؤها للمهدي وقيامها ضد الحكومة

### ذكر حرب قبيلة الكبايش

ذكرنا قتل ابن زعيم قبيلة الكبايش في الابيض لما كان المهدي نازلا بها وعلى أثر قتله جاهرّت قبيلة الكبايش بالمصيان على المهديّة واستمدت من المناهل والمراحي القريبة من كردفان وتوغلت في الصحراء التي بين كردفان ودنقلة

ولما استولت المهديّة على الخرطوم وانسحب الانكليز من دنقلة كتب التمايش الى الشيخ صالح زعيم الكبايش يدعوهم الى الطاعة ويعدّه تارة ويوعده أخرى فلم يلتفت الي وعده ولم يهرب من وعيده بل توغل في الصحراء حتي صار على مقربة من الواحات الجنوبية فانتدب التمايشي محمد نوباوي شيخ قبيلة بني جرار التي هي بطن من بطون قبيلة الكبايش وهو الذي دخل على الطيب الاثر الجترال غردون وقتله

وانتدب التمايشي معه عدداً كبيراً من الفرسان فصاروا من أم درمان مخترقين الصحراء حتي بلغوا منهل (أم بادر) وكان الشيخ صالح نازلاً به

ومعه نحو مائتي رجل من أسرته ومواليه وبقية القبيلة متفرقة في المراعي  
والنماهل فاحاط محمد نوباوي بخيام الشيخ صالح في النلس فالتبس منه في  
الخيام مذعورين وركب الشيخ صالح فرسه وكذلك بقية من معه وأخذوا  
يطلقون الرصاص على الدراويش حتى نفذت ذخيرتهم فاستلوا سيوفهم وهجموا  
على صفوف الدراويش فاخترقوها وزحزحهم عن مواقعهم وأصيب الشيخ  
صالح برصاصة في ذراعه ففر صريعا عن جواده فتقدم اليه محمد نوباوي ليشد  
وثاقه فابتدره بالشم ولعن المهدي وخليفته وقال له أمثلي يساق أسيرا فامتنع  
محمد نوباوي عن قتله احتراما لما بينهما من صلات النسب فتقدم أحد  
الدراويش وقتله وحز رأسه ورؤس اخويه ورجال أسرته الذين سقطوا  
قتلى بعد اصابته وحملت الرؤس الى التنايش فسر بها وخرساجدا على مائوته  
من النصر وانتدب الزاكي عثمان ومعه كتبة وجنود ووجههم الى محل الواقعة  
كي يجمعوا التنائم وبلغني من أولئك الكتبة ان عدد الرؤس من الابل كان  
يبرو على مليون ويقرب عدد البقر من الخمسمائة الف رأس أما الماشية  
الصغيرة فانهم لم يعمتوا بتعدادها لكثرتها وأرسلت هاته الماشية وبيعت مع  
غنائم جهينة في أم درمان وقد ذكرنا أن غنم الناقة انخفض الى خمسة قروش مصرية  
وجي بالجماعات من النساء سبايا وبالقطاير المقنطرة من الذهب والفضة  
وكانت قبيلة الكباش هذه أعظم قبائل السودان وأكثرهن ماشية وثروة  
وزعيمها أغني زعماء القبائل في السودان وكان قد وفدته خمسة وعشرين عاما على  
الذفور له الخديو اسماعيل باشا وقدم له هدايا وتحفا فأكرم وفادته وأعادته الى بلاده  
بالزوالا كرام ومن أعجب ما شاهدته ان اكبر بنات الشيخ صالح هذا كانت تحمل  
على رأسها في أم درمان اثنا تبيع فيه الماء لتحصيل قوتها وقد كانت هذه المرأة



وسأر ساء أسرتها يلبس نعالاً من خالص السبر وإذا خرجت احدها من دار إلى أخرى مشي حولاً مائة من الجوارى وعلى كل واحدة من الخلى مالا يقل عن مائة أوقية من السبر يظللان على مولاهن بالاردية الحربية وقد شامت أكثر هاته القيلات متولات في الاسواق فسبحان المعز المذل

وفي ذات يوم كنت جالساً بالقرب من مقصورة التبايشي فقال له أحد جلسائه ان بنت صالح زعيم الكبايش تبغ الماء انوت يومها فاطهر الأسف وقال من الواجب علينا اكرامها وأرسل في طلبها فجاءت نساً لها عن حالها فاجابته واكرمت من الثناء والاطراء عليه فامر أحد غلمانه باعطائها شيئاً من التتود ضمته في كفها وخرج بالناس وراءها ليلوا ومتدار جائرته فاذا هي بسبعة ريات من عملة النحاس تقدر قيمتها بسبعة قروش مصرية فقالت المرأة انظروا الجائزة الخليفة ومبلغ اكرامه لمثلي

هذا وجملة القول ان قبيلة الكبايش بادت ولحقت بنيرها من القبائل والدوام لله وحده

### ذكر القبض علي شارل نيوفيلد

شارل نيوفيلد الألماني استوطن اصوان مزاولة التجارة بتقديم لوازم الجيش في الحدود فاحرز من هذه الحرفة ثروة واقتنى عقاراً وزاد في ثروته انه منذ بداية أمره كان يحسن معاشره الوطنيين ويتشبه بهم في الاخلاق والعادات حتى انه واحد منهم ولم يظهر على ملامحه انه متكلف لهذا التشبه حتى نال حظوة عظيمة عند جميع السكان زادت في نجاحه وفتحت في وجهه

أبواب الكسب وساعده على احراز الثروة

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ أنفذ الشيخ صالح زعيم قبيلة الكبابيش الذي تقدم لنا خبر قتله وفداً الى الحكومة الحديوية يسألها امداده بالأسلحة والذخيرة ليقوى على دفع غارة المهديين من نفسه فاعطت الحكومة رجال الوفد مائتي بندقية من طرز رامنجنون بذخيرتها وأخذوا في الالهبة والاستعداد لاختراق صحراء الجلب من حلقا الى منارل قبيلتهم وفي إبان ذلك اجتمع شارل نيوفيلد بتاجر من أهل كردفان اسمه خو جال أم بربر فقال له التاجر ان لدي كمية وافرة من الصمغ والماج وريش النعام فانفقنا على ان يذهب نيوفيلد صحبة وفد الكبابيش وبواسطة نفوذ زعيمهم يحترق بقية الصحراء الى الايض ومن هناك يحمل الصمغ والماج وريش النعام بنسير ان يشعر به أحد من دروايش المهدوية وقد جعل له خو جال نصيبا وافرا من تلك السلع نظير مخاطرته التي يتعذر معها نجاحه ووصوله الى مقصده

وقد عرض نيوفيلد أمره على ولاية الامور في الحدود فلم يمانوه فنادى حلقا صحبة الوفد ومعه عظمية حبشية وكان دليل الوفد ميالا لطبقة المهدويين فابلق عبد الرحمن النجومي الذي كان وقتئذ في دنقلة وأطلعه على خطة سيره وارشده الى المكان الذي يقابلهم فيه المبعوثون من عنده فصار شارل نيوفيلد مع الوفد وهو لا يعلم شيأ من القدر المخبوء له فصار بهم الدليل في بادية معطشة حتى وفقدوا الماء مدة أربع وعشرين ساعة

وكان النجومي قد أنفذ وراءهم خمسمائة راكب تحت قيادة محمد حزمة الاتقرباني وبينما كانت القافلة سائرة والظما قد بلغ غايته من رجالها والدليل يهدمهم يقرب الوصول الى الماء اذ دامهم المدو على غرة وتمكن من أن تلهم فأنماز

الرجال الى ربوة عرضة واطلقوا الثيران دفاعا عن انفسهم فهلك من هلك  
واخذ الباقيون اسري وصمدنيوفيلد على مكان آخر مفضلا الموت على الوقوع  
في اسر أولئك الطغاة المتوحشين فامسك المدو محظيته وجعلها بمضهم كترس  
يتقي به مقذوفات مولاها الذي شلت يمينه عند ما تحقق انه يقتل محظيته  
اذا أمر على عزه الاول فاسلم نفسه ووقع أسيراً في يد المدو الذي جرده  
من ملابسه ووضع الاعلال في عنقه وساقه ماشياً على قدميه حتي لمخ ذقنة  
بعد مسيرة عدة ايام فامر عبد الرحمن النجومي بصلب أسرى الكباش وارسال  
شارل يوفيلد الى الطاغية التمايشي بام درمان

ولما أوقف بين يدي التمايشي صاح قائلاً هذه صفة الكافر التي وصفها  
لنا المهدي ثم عرض عليه اعتناق الاسلام فابى فامر بصلبه فسبق الى  
محل ( المشقة ) ثم ارجعوه الى التمايشي وهكذا فعلوا ثلاث مرات وبعد ايام  
رضى باعتناق الاسلام ديناً ونطق بالشهادتين واذا ذلك أمر التمايشي بزجه في  
السجن حتي اطلقه اللورد كيتشر باشا وسنمود الي ذكر بقية حوادثه والله الهادي

### ذكر حروب الاحباش الي قتل النجاشي يوحنا

تقدم لنا ذكراول واقعة جرت بين المهديين والاحباش التي انتصر فيها الرأس  
الولا على عثمان دقنة في كوفيت وقبل الكلام على هذه الحروب نذكر طرفاً يتعلق  
(بالقلايات) وما يقبها من بلاد (الضارف) مواطن تلك الحروب الهائلة فتقول  
القلايات اسم بلدة على شاطئ نهر (ابره) جنوب الضارف وهي آخر  
حدود الحكومة الحديوية في بلاد الاحباش من جهة الجنوب بالنسبة لموقع  
بلاد الضارف

وكان سائر بلادها الاقدسون من دكرور الى ودن الغربي ولا نعلم كيف جاؤا  
من بلادهم واخترقوا السودان من الغرب حتى وصلوا الى آخر نقطة من  
شرقه الجنوبي وكان اولئك السكان يؤدون جزية للمملكة الحبشة  
ولما احتلت الحكومة الحديوية السودان جمعت التسلابات من أهم  
المواقع التي حصنها لدفع غارة الاحباش عن بلادها وكان آخر زعيم من  
اولئك المذكورين صالح شقة الذي نال من الحكومة الحديوية لقب بك  
واسمى على دفع الجزية للاحباش كما كان اسلافه

أما القضايف فانها البلاد الواقعة شمال القلايات يحيط بها نهر  
(اتبره) من جهتي الجنوب والشرق وهي بلاد مخصبة جداً وتجارها واسعة  
وفيها من النباتات ما لا يوجد في السودان كله وثمن ما يحمله الجمل من  
الذرة من نوع اسمه (الكركي) يخالف الذرة الرفيعة بعظم حبه وبياض لونه  
الذي يستخرج منه مواد نشوية تشبه ما يستخرج من الارز بضعة قروش  
مصرية وفي بلاد القضايف غلة تشبه الحلبة في اللون الا ان طعمها كالشهد في  
الحلاوة اسمها (الششم) تثلي على النار بالماء فتحول الى حلاوة الشهد  
فيأكلونها ويشربون ماءها

وعاصمة هذه البلاد تدعى (ولد أبو سن) وهي مدينة كبيرة  
فيها منازل مشيدة بالطين الاحمر والآجر وقصور شاذغة مشيدة بالاحجار  
وأصحابها تجار مصريون وسوريون ويونان وبعض من الفرنسيين والارمن  
وحول هذه المدينة حدائق غناء وفواكه لذيذة كالنخيل والتين  
والقشطة والموز والمان والبرتقال ومن أعجب ما علمته عن القضايف ان  
النخل يثمر فيها مرتين في السنة وكذلك النخيل الذي يثمر مرتين في السنة

مرة في الشتاء وأخري في الصيف موجود فيها وفي الخرطوم  
وفي القضايف مدن أخرى غير عاصمتها يسكنها أراك ومصريون  
ويونان وأرمن وهي لا تقل عن عاصمتها وأشهرها (عصار) و (دوكة)  
وسكان القضايف قيمان سكان القري وسكان البوادي الذين جلبهم من قبيلة  
(الغضبانة) التي تقدم لنا ذكر زعيمها محمود عيسى زائد وكنائهما متوفرة لديها  
أسباب المعيشة ومتحصلة على نعومة الميش من أسهل الطرق وأقربها  
وسياقي ذكر خراب تلك البلاد وإنها الآن قفر ليس فيها عشرة آلاف  
ساكن بعد أن كان تعداد سكانها يربو على مليون نسمة

وكان لموض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية الذي قتله التمايشي  
صبرا ابن اسمه عبد الله أمه من قبيلة الجملين مال إلى أخواله ورغب عن  
خطة والده وقومه الشكرية وعدوهم من قبول دعوة المهدي وقدم على  
المهدي الذي ولاه الدعوة له في القضايف فقام بها وأدخل البلاد في دعوة المهدي  
وكان في منزل صالح شنفه زعيم دكروربي القلابات رجل يعلم الصبية  
القرآن الشريف فلحق بالمهدي وعاد من عنده يحمل أوامر بالدعوة له في القلابات  
فانسحبت حامية القلابات إلى بلاد الحبشة إنفاذاً للماهدة التي أبرمت بين  
الاحباش والحكومة الحديوية فاحتل ذلك الداعية القلابات باسم المهدي ومنع  
إداء الجزية للاحباش الذين كانوا وقتئذ مشغولين بدفع غارة الإيطاليين عن  
بلادهم في الجهات التي تلي ساحل مصوع واسم هذا الداعية محمد بن أرياب وغادر  
صالح شنفه القلابات مع الحامية ولم يشأ البقاء فيها

هذا وقد كانت دعوة المهدي قد دخلت في بلاد الحبشة على يد رجل  
من أمراء الاحباش المسلمين اسمه محمد جبريل وقد على المهدي قبيل وفاته

بأيام قلائل فأعاده إلى بلاده بمنشور دعا الأقباش فيه إلى اعتناق الإسلام  
ومزح النصرانية والاجتماع على طاعة محمد جبريل لقتال الكفار وهاهي صورة  
المنشور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم  
وبعد فن البعد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أهالي (قبراقوما  
وقما وحما ولما والنارية بلد البن وليكاونونا ولي بن وهروسي وقبا وكفاه  
وكوننا وكويشاوشنا وقوفه ولا مواو بارو وكوا ونبسوا وسوروا) وفقهم الله  
لطاعته واتخفهم بمرضاته آمين بعد السلام عليكم اعدوا وفقكم الله لما يحبه  
ويرضاه وجعلكم من الفائزين أن الدنيا قد ولت مدبرة وأن الآخرة قد  
تزينت مقبلة ومع ذلك فأنما في الدنيا خيس جداً وما في الآخرة نفيس  
جداً وعلى العاقل أن يسمي لنفسه دائماً ويمرض عن خيس فإن كثيراً  
ما حل بأبناء الدنيا من الدمار والحسرات وكثيراً ما اجتبي الله أبناء الآخرة  
ورفعهم أعلا الدرجات وأجزل لهم المرات وأنواع الخيرات وأن الله تعالى  
قد أظهرني رحمة للمؤمنين وبغية للصالحين وسيفاً قاطعاً للملحدين فمن أراد  
الله سعادته ونجاته من خزي الدنيا والآخرة لباني وأجاب دعوتي ونصري  
وآواني ومن غلبت عليه شقوته أعرض ونأى وكذب وعصى فمن لباني فاز ونال  
من الخير العظيم ما لا يمد ولا يحصى ومن أعرض فقد دمره الله وخذله خذلانا  
مبيناً وحيث فهمت هذا البيان فاني على حسب الصلحة الدينية قد عينت لكم  
السلطان محمد جبريل عاملاً عليكم في دين الله لأقامته ودعاية المباد إلى  
سلوك سبيل الرشاد فيبني بوصول هذا عندهم أن توازروه وأن تشدوا

عضده وتسمعوا أمره ربه مادام على الحق والصدق وإن تحاربوا معه  
كل من ضل واعرض عن الاتباع وسلك طريق الزواية والابتداع ولا  
تركوا إلى الراحة والبطالة فإن الجهاد فضل عظيم وثواب جسيم منزه عليه  
بسواطع أدلة القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم وكفى من ذلك تعالى  
والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة  
عند الله وأولئك هم الفائزون يشربهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم  
فيها نعيم مقيم الآية وقوله صلى الله عليه وسلم «رب غدوة أو راحة في سبيل  
الله خير من الدنيا وما فيها» أو كما قال وحيث كان كذلك فإذا وصلكم جوابي  
هنا فשמروا في طاعة الله ورسوله وابذلوا أرواحكم في نصرة دين ربكم  
بحيث من كان منكم على دين النصرانية يرفضه ويدخل الإسلام ويبادر  
بالتسليم والانخراط في سلك المهدي قال تعالى «إن الدين عند الله الإسلام»  
«وانبئوا إلى ربكم وأسلوا» من قبل أن يأتيكم المذاب ثم لا تشعرون واتبوا  
أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم المذاب بنقطة وأنتم  
لا تشعرون أن تقول نفس يا حرقني على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن  
الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى  
المذاب لو أن لي كرة فآكون من المحسنين «فرد الله على من هذا حاله  
بقوله «بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين  
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» الآية فهذه الآيات  
وما مثله مما يرغب في دين الإسلام والتسليم لأمر المهدي ويشترع مما سواه  
وأما من كانوا منكم على دين الإسلام فتأييده وتشبيده هو غاية مقصودهم  
فليשמروا في نصرتنا ابتغاء مرضات الله أدام الله توفيقكم وجعلكم من

عباده المؤمنين آمين وفي هذا كفاية لمن له قلب والسلام ١٩ شعبان سنة ١٣٠٧  
وأنت أيها الأمير محمد جبريل أوصيك بتقوى الله في سرّك وعلايتك وإيتار  
آخرتك على دنياك وأن لا تقدم على أمر مالم تعلم حكم الله فيه فإن الامارة  
خطر ها عظيم وخطبها جسيم ولا بد لصاحبها من الخلود في النعيم المقيم أو  
المذاب الاليم قال تعالى «فاما من ظني وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى  
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» ونظرا  
لذلك فان امارتنا لك معلقة على شرط اتباع الكتاب والسنة فان غيرت أو  
بدلت فلا اماره لك فافهم ذلك واسترشد به ولكمال المداومية لزممت التحشية  
في تاريخه

هذا ولما دخلت دعوة المهديّة في بلاد الاحباش ادرك النجاشي يوحنا خشونة  
سركه ومغبة أمره حيال هذه الدعوة التي هاله انتشارها فلم ير وسيلة لدفع  
شرها غير التدرع بالبروت ومقاومة دعائها بضروب القوة والقهر بيد أنه  
تعالى في هذا السبيل حتي فقد الروية والنظر القصي للمواقب فانشب غالب  
الاضطهاد الديني في مسلمي رعيته وخالف تقاليد اسلافه حيث اكره نحو  
مائة الف من أهل القبلة على اعتناق النصرانية وعذبهم عذابا اليما

على ان حرية الاديان في بلاد الحبشة كانت لا تزال بالغة حد السكّال  
حتى ان شقيقة النجاشي يوحنا اعتنقت الاسلام وتزوجت باحد الاسراء المسلمين  
فلم يمنحها أخوها ولم يتقصها شيأ من الاحترام الواجب لمثلها  
وقد قام كثير من أسراء الاحباش للسيحيين وعرضوا النجاشي النصيح بالدول  
عن هذا الاكراه فلم يكثر بنصحهم وظل على رأيه الفائل وكان منيلايك  
نجاشي الحبشة الحالي أول معترض على عمل النجاشي يوحنا



وعلى أثر ذلك نزع كثير من مسلمي الاحباش ولحقوا بالتماشي فرلى  
عليهم رجلا منهم اسمه (محمد فقرا) وعسكروا في الشمال الشرقي من  
القلابات عند نهر (اتبره) بالقرب من جهة (المراديب) وسموا معسكرهم  
(تبارك الله)

وفي أواخر سنة ١٣٠٣ وفد على التماشي محمد أرباب أمير القلابات  
فأكرم وفادته وأعطاه أسلحة نارية وخيولا وأعادته الى القلابات وأوصاه  
بالغارة على اطراف بلاد الاحباش فاغار عليها في تلك السنة وخرب عدة  
قري وأحرق الكنائس وأتلف ما فيها من الثمانيات وكذلك أغار محمد فقرا على  
القرى التي هي حيال معسكر (تبارك الله) واتخذ في أهلها

وكان في جهة (غبته) اعرابي اسمه عجيل الجراني في السودان الشرقي  
فر باكثر قبيلته من وجه المهدويين ولجأ الى بلاد الاحباش فامدوه بالأسلحة  
ووكلوا به الدفاع عن حدودهم في جهة (غبته) فكان يوالى الغارة على القرى التي  
على ضفة نهر (اتبره) وكانت غاراته لا يلحق المهدويين منها أقل ضرر بل كان  
شرها واقعا على الضعفاء سكان تلك القرى الذين دخلوا في طاعة المهدويين قسراً  
وفي أوائل سنة ١٣٠٤ تواترت الاخبار بتقدم الاحباش الى معسكر  
القلابات و (تبارك الله)

وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ هجم الراس عذار على محمد  
أرباب في القلابات وقتله واكثر مقاتلته وفر الباقيون اليه (القضارف) وهجم  
جيش حبشي على محمد فقرا في (تبارك الله) فخر بجميع مقاتلته عند توائي  
الجبين ولحق بالقضارف أيضاً وطارت الاخبار بذلك الى التماشي في أم درمان  
فاتسبب يونس بن الديك في عشرين الف مقاتل فسار من أم درمان الي

القلابات فوصلها في شهر رجب وانسحب الاحباش منها بنير قتال  
ولما استقر يونس بمجيشه في القلابات بذل الامان لتجار الاحباش فجاءوا  
اليها بسلهم فوثب عليهم وصادر أموالهم وساقهم اسرى يسفون في القيود  
والاغلال الي أم درمان فاذاخ التمايشي بين الناس ان يونس غزا بلاد الحبشة  
وخرب عدة مدن واستولي عليها وأن هؤلاء اسري تلك الوقائع ولم تمض أيام  
حتى ظهرت الحقيقة وعلم الكل ان أولئك الاسرى كانوا تجارا أمهم يونس ثم غدر  
بهم ونهب أموالهم وساقهم اسرى الي التمايشي

أما يونس الحكيم هذا فانه تمايشي من قبيلة التمايشة وكان فقيراً لا يملك  
شروى تقيير وهو أحد أزواج والدة التمايشي قدم على المهدي في الابيض  
وبقى مع التمايشي يقاسى من شظف الميش أمره حتى توفي المهدي فجعله  
التمايشي قائداً على نحو عشرين ألف مقاتل وله نوادر مضحكة تدل على سخافة  
عقله. منها ان الناس كانوا يأتونه فاذا وقفوا بين يديه صوبوا نظرهم الى الارض  
فيقول لهم لماذا لا ترفعون ابصاركم نحوي فيقولون وهل يستطيع أحد النظر  
الى وجهك الذي يفوق وجه السبع فيرتاح الي ذلك ويأمر بعزف الطبول  
ويركب جواده ويأمر مقاتلته باطلاق النيران في الهواء. ومنها انه اذا جلس بين  
أتباعه فلا كلام له غير الثناء على نفسه ومنها انه كان يقول اذا التقينا بجيوش الترك  
نقتل في الدقيقة مثبات منهم ونخترق صفوفهم وترجزهم عن مواقفهم الي غير  
ذلك من الاكاذيب فقد علم الخاص والعام ان يونس هذا من أجبن خلق الله وانه  
يفر من مواطن القتال كما تفر النعامة من - فغير الصافر  
ومن أعجب خرافاته انه كثيراً ما كان يقول انه سيفتح لوندوة عاصمة  
الانكايز وانه سيتزوج باكرم عقيلاتها

وصلى بالناس مرة صلاة الظهر ثماني ركعات فقال له أحد الحاضرين  
اسجد للسهر فغضب وقال وهل أنا جاهل حتي يرشدني مثلك فان سجود  
السهر لا يكون للزيادة بل للنقص لان السجد اذا أمره مولاه بمرآة أربعة  
أفدنة مثلاً من أرضه ثم رأي نفسه قادراً على حراثة ثمانية أفلا يكون ذلك  
موجباً لرضى مولاه عنه بخلاف ما لو أمره بمرآة أربعة أفدنة فخرث  
ثلاثة أو اثنين فان هذا النقص يكون موجباً لغضب مولاه عليه وحينئذ  
يجب ان يقدم العذرة وهذان المثالان ينطبقان على الصلاة ثم أمر بالرجل  
بخلد بالسياط حتى مزق جسده وسيق الى السجن وخزجبات يونس كثيرة  
يضيق المقام دون سرد القليل منها والحاصل انه كان جاهلاً سخيلاً العقل  
ظالمًا غشوماً قاتله الله

وفي أوائل سنة ١٣٠٤ استقدم التمايشي حمدان أبا عنجة من الجبال  
فقدم في جيش عمرهم ومكث بام درمان بضعة شهور ثم انفسه التمايشي  
الى القلابات لتعزيز الحامية التي بها حتي تصبح قادرة على أخذ الثار من الاحباش  
فسار أبو عنجة قاصداً القلابات وبينما كان سائراً في الطريق بلته ظهور رجل  
فيها ادعي انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه  
ولما وصل أبو عنجة الى القلابات وعرض على يونس أوامر التمايشي  
بتوليته القيادة العامة على الحامية أرسل يونس يبلغ التمايشي ذلك الخبر فامره ان  
يسير حياء هذه المسألة بماضي عزيمته المعروفة مطيعاً لابن عنجة  
أما ذلك المتنبئ فانه من أهل ذكرور وله معرفة بضروب السيمياء  
والشعوذة حتى انه كان يصنع امام الملأ أشياء من تلك الخزعبلات يخالها  
الراي حقيقة لا ريب فيها

وأصل ذلك المذكور من جيش يونس الديكيم غادر أم رمان معه  
 وكان أحق طائفا حدثه نفسه بأنه سيلبغ أربه من احتمال دعوي انه  
 عيسى روح الله لما اشهر من ان نزول المسيح عليه السلام يقب  
 ظهور المهدي المنتظر فجهر بدعواه وصنع امام الناس خيالات من السيما  
 ظننا دراويش المهدي الاغبياء من أعظم المعجزات فآمنوا بذلك الكذاب  
 وابعوه علي الطاعة العمياء وابعه سبعة عشر قائدا من اكبر قواد جيش  
 المهديوة الذين مع يونس ولم يداخلهم ادنى شك في صدق ما ادعاه  
 ومن العجب ان بين أولئك القواد ابن بقرى وهو فقيه من عائلة بقرى  
 التي لها مدرسة يؤمها طلاب العلم في جزيرة السودان

وهرض السبعة عشر قائدا أمر تلك النبوة على قائدهم العام يونس  
 فرافقهم الي محل الرجل ورأي من خزعلاته ماراج على عقله الذي هو اكثر  
 سخافة من عقول قواده السبعة عشر الا انه خاف عاقبة الاسترسال في هذا الامر  
 فارسل يلغ التمايشي بتفصيل المسألة سرا

ولما وصل أبو عنجة الي القلابات ومعه اكثر من أربعين الف مقاتل  
 وكثير من المدافع والسوارخ وبضعة آلاف فارس أحاط بالمسكر احاطة السوار  
 بالمعصم واستدعي يونس ووضع يده على مخازن الذخيرة واستولي على الجبهة خانة  
 ثم قبض علي التني وسأله عن دعواه فقال انه جاء بمد المهدي وان الله أرسله  
 لشد عضد التمايشي فقال له ألت فلان بن فلان ولا تزال أصرا أنك  
 وبنوك بام درمان فاجاب بالسلب فأمر بصلبه فصب ثم قبض على السبعة  
 عشر قائدا الذين صدقوه وقال لهم ها هو صاحبكم مصلوب فقالوا كلا بل  
 شبه لكم وقرؤا قوله تعالى «وما قتلوه وما صابوه» الآية فأمر بهم فصلبوا

وعادت المياه الي مجاريها وتبددت غياهب الفتنة التي كنا نظن انها تأتي بانقلاب  
يكون من ورائه فرج قريب وما ذلك الا لاننا كنا كالنريق يتشبث بسفينة  
تقاذفها الامواج

ثم استدعى التمايشي يونس الديكم الي أم درمان وعنه علي  
ما ظهر من خوره وضعف عزيمته حيال دعوى ذلك الكذاب وسيأتى ذكر  
تعيينه على دقلة

ولما اتصل بالتمايشي نبأ مهلك ذلك الكذاب خرج ذات يوم ويده  
منشور فرقي المنبر الذي أعده للخطابة وكان منبر المسجد العام في الخرطوم  
فتمله الي أم درمان وأعده للخطابة وقص على الناس أمر ذلك المنفي ثم دفع  
المنشور الي من يقرأه وفيه بعد البسلة والحمدلة مانصه

وبعد فيقول عبدربه خليفة المهدي عليه السلام الحليفة عبد الله بن  
السيد محمد خليفة الصديق وأمير جيش المهدي لما أتى الخبر بصلب الشخص  
المدعى كذبا انه نبي الله عيسى وصلب أعوانه الذين صدقوه داخلتي شفقة شديدة  
على هؤلاء لانهم من أصحاب المهدي عليه السلام الاقدمين فاستغفرت الله لهم  
فانكشف لي حالهم انكشافا روحيا فرأيتهم بعينى في طبقات جهنم وابن بقاري  
في الطبقة الاخيرة منها وقد شفعت فيهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم  
والمهدي عليه السلام فقالا لي انهم ماتوا وهم كفار ولا شفاعة فيمن يكفر  
بالرحمن اهـ ملخصا

على اننا نستدرك هنا تفصيل شيء من الشذوذة التي أثرت على عقول  
أولئك الاغبياء فنقول ان هذا الرجل كان يدعو الاشجار قسمي اليه واذا  
سأله المطر في غير أوانه جادت السماء بمطر كأفواه القرب ولكن لا يتجاوز

دائرة جارسه وانتفعت حثته مرة ثلاث غرفة كان فيها وخرجت من  
نوافذها زرام مرة اشباحا في النضاء لم يشكوا في انها ملائكة السماء نزلوا  
لخدمته وموازرتة وبالجملة فان هذا الرجل كان بارعا في السمودة متضلعا من  
علم السماء بكيفية لا يدرك كنهها أو تلك الاغبياء

### ذكر فتح قنندر بالحبيشة

لما استقر حمدان ابو عنجة في القلابات سار الى (قنندر) عاصمة مملكة  
الاحباش القديمة في ألني فارس وألني مسلح ببنادق رامنجنون فالتقي بنحو  
عشرة آلاف فارس من الاحباش في ضواحي المدينة ورفعت الحرب اوزارها  
بضع ساعات ثم انجلي القتال عن هزيمة الاحباش وتمزيق جيشهم شذرمذر  
وسقط منهم ستة آلاف قتيل في ساحة التزال

ودخل ابو عنجة المدينة ونهبها جنوده وغنم منها شيئا كثيرا من الذهب  
والفضة وعددا ينيف على العشرة آلاف رأس من الخيول والبغال ومحو ثلاثة  
آلاف نسمة من النساء والفلان ييموا أرقاء والنساء ينهن فتيات في منتهى  
الحسن والجمال ألوانهن تكاد تضارع ألوان المصريات خلافا لما عرف  
من ألوان الاحباش الذين كانوا يجلبون فيما مضى من الازمنة الى مصر والسودان  
ثم دخل الكنيسة وهشم ما فيها من التماثيل وقتل القس واحتمل  
ما فيها من الآنية ذات القيمة واضرم النار في المدينة كلها وقتل راجعا الى  
القلابات

وأرسل للتماشي بمدد عظيم من النلمان والفتيات ومحو ألف رأس من  
البغال وخمسين حمارا وقسم بقية الغنائم على رجاله بمدد أخذ ما اشتها منها

وأرسل متداراً عظيماً أيضاً من التبر والنفقة الى يثوب اخي التماشي  
وبذل أبو عنجة الاما زلتجار الاحباش وعادهم على ان لا يأخذ منهم غير  
خمس منهم فهرعوا الى القلابات بتجارة البن والعسل والسمن والتمح وغيرها  
من محصولات بلاد الحبشة فكان يحصل من هذه الضريبة ما يقرب من  
نفقات أبي عنجة وحاميته

### وفاة ابي عنجة وولاية الزاكي طمل

في رجب سنة ١٣٠٩ توفي حمدان أبو عنجة على أثر تناوله مسهلاً ودفن  
بالقلابات وتبادل الناس اشاعة ان احدي محظياته واحبهن اليه دست له السم  
في ذلك المسهل فاستدعاها التماشي اليه وكانت ذات جمال باهر فدهش لدى  
وقوع بصره عليها وتلثم لسانه عن استنطاقها عن الجناية التي اتهمت بها  
فامسكها الى منزله ولم يجسر بعد على سؤالها عن شيء كيلا يسوءها سماعه  
ولم يكتف بذلك بل حظر على الناس الكلام في هذا الصدد  
ولما اتصل بالتماشي نبأ وفاة أبي عنجة جزع جزعاً شديداً وظهرت عليه  
علامات الحزن والسكابة فانتدب قاضي الاسلام أحمد علي ومعه أربعة قه  
ليسافروا الى القلابات ويحملوا الاوامر بتولية الزاكي طمل بدل حمدان أبي عنجة  
ه الزاكي طمل هذا تماشي أحد أبويه من عبيد (البنفلة) وكان خادماً  
في إحدى شركات النخاسة في النيل الأبيض وكان جباراً قاسياً ظالماً سفاكاً  
للدماء وسيأتي ذكر خبر قتله

### واقعة القلابات وقتل النجاشي يوحنا

ما فتئ النجاشي يوحنا منذ واقعة (قندر) يتأهب لاخذ الثار وجلاء

المار وجواسيس التمايشي يرفعون اليه في كل يوم أخبار تأهب النجاشي  
للفارة على القلايات فلذا صار يوالى ارسال الامداد وأمر بتحصين  
القلايات بزريبة من الشوك حصينة لا يمكن تسورها تبلغ مساحتها عشرة  
آلاف مترتقيا

وأعلن النجاشي قومه انه زاحف الى القلايات في وقت مينه قبل أوان  
الزحف بالفعل بضعة شهور فلم التمايشي بالامر وقبل حلول الاجل هلك  
حمدان أبو عنتجة فارس التمايشي أحمد على القاضي ومعه أبة من القضاة حاملين  
أوامر تولية الزاكي طمل وقد أسر اليهم ان يراقبوا الحركات الحربية حيث  
اقترب ميعاد زحف الاحباش على القلايات

ولما وصل أولئك القضاة الى القلايات تلقاهم الزاكي طمل بالاكرام واغدق  
عليهم المطاء الوافر من أصناف الرقيق والنقود

وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٦ هجرية هجم النجاشي يوحنا على (القلايات)  
في مائتي الف مقاتل تقريبا جلبهم من القرسان واحاطوا بالقلايات وضربوا  
خيامهم حولها وجلس النجاشي امام خيمته يحيط به خدمه وحشمه ووزاؤه  
وهجمت جيوش الحبشة على القلايات هجمة الاسود على فرانسها واضرموا  
النار في الزريبة فتقهقر الدراويش الى الجنوب واستولي الاحباش على نسايمهم  
وأولادهم ونهبوا دورهم

وبينا كان الاحباش مشتغلين بالنهب وصل الي الدراويش مدد من جهة  
الشمال تحت قيادة فريج الله باشا السوداني الذي كان قومندان نقطة أم درمان  
الذي جعله المهدي قائدا من قواده بعد ان سلم له وقد تقدم ذكر ذلك  
وكان هذا المدد بضعة آلاف من المجاهدية المسلحين بالاسلحة النارية



وهم من جنود الحكومة القدساء فتقدم فرج الله باننا بمجنوده وأطلق اننار على الاحباش فاصيب النجاشي يوحنا برصاصة وهو جالس امام خيمته فتفتت على حياته في الحال وانتشر خبر موته في عكره فولوا منهزمين وساقوا السي امامهم فتأثرم ازاكي طبل حتي ارخى الليل سدوله فالتقوا عصا التسيار التماسا لراحة فداهمم ازاكي في الغلس على غرة ووضع السيف في رقبهم فانتهبوا من نومهم مذعورين وقتل منهم خلق كثير وفر الباقون واستخلص السي من ايديهم وأرشدهم أحد الرواد الى تابوت وضعت فيه جثة النجاشي فتجوه وحزوا رأسه وقبضوا على سائر اسلابه ومن بينها تاج مرصع بالاحجار الكريمة وخاتمه وملابسه وعاد ازاكي الي القلابات مسرورا وغادر أحمد على ومن معه من القضاة (القلابات) يحملون بشرى الانتصار الي التماشي ومعهم رأس النجاشي وسائر الاسلاب

أما سرور التماشي بهذا الانتصار فانه مما يعجز القلم عن وصفه حيث مكث أربعين يوما يذبح البدن ويدعو الناس الى تناول الطعام على قصته المعلومة ولا حديث له غير هذا الانتصار وقد سمعته مرة يقول لمن حوله هل في الدنيا دولة تضارع الحبشة فيقولون كلا فيقول ان فتح مصر لا يكفنا ما تكلفناه في الانتصار على الاحباش فيجيبونه بان حرب أوروبا برمتها أسهل من حرب الاحباش ثم أخذ يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهذا الانتصار قبل وقوعه ببضع سنوات ثم قال ان المهدي عليه السلام أخبره بان ترك الحبشة الذي أشير اليه في الحديث الشريف معني بزمن الخليفة عبد الله التماشي

ولما نصبت رأس النجاشي يوحنا في السوق ووضع تاجه وسائر اسلابه

في مقصورة المسجد هرع الناس لرؤيتها وهم يشكون في صحة هذا النبا  
ويقولون ان هذه الاسلاب قد سرقها بعض الجواسيس من ممسك النجاشي  
وأوصلوها الي التماشي

هذا وقد كنت أنا وسائر الذين يترقبون الخلاص من نير المهديوة نود  
من صميم اقتدنا انتصار الاحباش وفوزهم على الدراويش في انقلابات عاصم  
يتقدمون منها للاستيلاء على بقية السودان ولذا جاءت أخبارهم بهم بمكس  
ما كنا نود فسيحان من يؤتى النصر من يشاء

### شان خط الاستواء والمهدويين

أورد تحت هذا العنوان حوادث خط الاستواء مع المهدويين فاقول  
ذكرت في أوائل الجزء الاول الاسباب التي حملت الطيب الاثر فردون  
باشا على فصلي عن وية أقاليم خط الاستواء وبينت باسباب المساعي السافلة  
التي بذلها أمين أفندي طيب الحامية وقتئذ لنيل أمنيته من الولاية على أقاليم  
خط الاستواء وكيف دفع السائح (ينكر) على الوشاية بي عند فردون  
باشا حتى طامني بالمعاملة القاسية التي شرحتها ثم ما كان من أمر ظهور  
براءتي عنده بارشاد الضابطين اللذين كشفوا له حقيقة المسألة  
وعلى أثر هاته الحادثة امتلاً فردون باشا غيظاً من أمين أفندي وتبدلت  
تفقه ومحبه فيه بوصفه بالخيانة والكرامية

ثم لما عدت مع فردون الى الخرطوم في المرة الثانية وتجادنا في شؤون  
كثيرة عن خط الاستواء علمت من حديثه انه حاق على أمين بك حاكم خط  
الاستواء سي الظن به

ولما استولى كرساوي على أقاليم (بحر النزال وشكا وحفرة النحاس)  
غزا حدود خط الاستواء وعاد دون أن يظهر بشيء منها

وفي سنة ١٣٠٥ كان بام درمان رجل اسمه عبدالله الطريفي وهو عم  
الحاج الزبير الذي ذكرنا في أول خلافة التمايشي أنه أرشده إلى سلوك  
الطريق الذي سار عليه وكان عبدالله الطريفي هذا جابياً من قبل المهديوية  
في إقليم القصارف فاعتال منه مالا جزيلاً بانتمائه مع ابن أخيه الحاج الزبير  
وفي سنة ١٣٠٤ أرسل التمايشي إلى (القصارف) من أوقفه على خيانة الحاج  
الزبير وعمه عبدالله الطريفي فقبض عليهما واستنصف ما اغتالاه من المال  
وزجهما في السجن وبعد بضعة شهور أطلقهما وجعلهما تحت المراقبة النظرية  
فعمدا إلى وسيلة يتقربان بها إليه فدخل الحاج الزبير على التمايشي وأخبره أن  
عمه عبدالله الطريفي كان نخاساً في جهات خط الاستواء وله معرفة جيدة  
بأخلاق وعوائد أهالي تلك البلاد وأبان له الثمرات التي تمود من فتح خط  
الاستواء من جلب الماعج وريش النعام والارقاء من تلك الديار فعول التمايشي  
على انفاذ عبدالله الطريفي لفتح تلك الأقاليم

وعبدالله الطريفي هذا كان نخاساً وفي بداية ظهور دعوى المهديوية  
قبضت عليه الحكومة وسجنته لآتيانه أسراً من أنواع الخيل وذلك أنه كتب  
على بعض الدجاج لفظ الشهادتين وبعدهما ذكر اسم المهدي الذي عده هذا التزوير  
من كراماته وكان عبدالله الطريفي هذا ذا دهاء وحيل ومكر سيء

ولما صمم التمايشي على انفاذ حملة لفتح خط الاستواء استدعاني إلى داره  
فذهبت إليه وأنا في وجل شديد من هذه الدعوة فدخلت عليه فالتفتة بالسآ  
وحده فلما وقع بصره على هش وبش فقبلت يده وجلست على الأرض

نامة وهد ذهابي، روعي لما آتست من بشاشته بخاطبي بما يأتي.  
 يا ابراهيم فوزي اني عزمت علي انذ حملة لفتح اقاليم خذا الاستواء  
 وبما انك كنت حاكما عليها فاني اود انفاذك اليها لتكون سرشدا صادقا  
 ومستشارا أميناً لقائد الحملة واني اود ان تكون راضيا بالقيام بهذه المهمة  
 التي اعمد اليك القيام بها لاني عالم بانك صرت من اخلص المخلصين لنا.  
 فاجيبته بأنني أشكر مولاي على ثقته بي واعاهده على القيام بما عهدت الي  
 بالصدق والوفاء. فسرر هذا الجواب واعطاني عشرة ربالا وتناولت معه  
 الغداء على قصعة الضيوف وانصرفت الي منزلي مملوء الجوانح بالسرور وقد  
 رايت انني استطيع النجاة من اسر هؤلاء البرابرة المتوحشين لدى وصولي  
 الي خط الاستواء فقضيت ليلتي لايזור الكرى جفني لشدة ما داخلني من  
 السرور الذي تلاه الترح حيث استدعاني التمايشي الي مجلس حافل بالقضاء  
 والحفاة وارباب الشورى وبعد أن شكرني علي قبولي القيام بمهمة الدلالة لقائد  
 حملة خط الاستواء عبد الله الطريقي قال لي انني اخشي عليك متاعب السفر  
 واود ان تكون قريبا مني ولذا اقلنك من مأمورية مرافقة عبد الله الطريقي  
 ولكن اكلنك بوضع رسم مشفوع بالتعليمات التي يجب العمل بها اذا وجدت  
 بواغرا النهر مسدودا فوعده باحضار الرسم في الند وبعد خروجي علمت  
 ان سبب تاخيري ان عبد الله الطريقي وابن اخيه الحاج الزبير وشيبي عنده  
 حيث قال له اب ابراهيم فوزي كان حاكما لاقاليم خط الاستواء وقد  
 شهد وقائع فتحها مع غردون باشا وانه من أعرف الناس باخلاق وعوائد  
 أهلها وانا نخشى من مغبة وصوله الي تلك البلاد اذ بذلك يمكنه ان يأتي أي  
 عمل يريد من ضروب الاضرار بنا وانه اذا لم يستطع ذلك فانه يستطيع

القرار الى ماوراء بحيرة فيكتوريا نيازاً فأثرت وشايتها على التمايشي وعدل عن انفاذي مع تلك الحملة

هذا وقد اشتغلت ليلي بعمل الرسم وتدوين التعليمات وفي اليوم التالي قصدت دار التمايشي فالتقيته جالسا ومعه الذين كانوا معه بالامس وغيرهم من الامراء وهو يلقى التعليمات على عبد الله الطريفي قائد الحملة فقدمت له الرسم فتناوله كاتبه واوقفه على كل ما فيه فالتفت الى وشكرني وقال انني هزمت على انفاذ الحملة ووجهتها كيت وكيت فهل عندك نصيحة فقلت نعم يا مولاي وقد مالت نفسي للانتقام من عبد الله الطريفي وابن أخيه الحلاج الزبير لوشايتها التي سدت في وجهي بابا كنت أرجو الخلاص بولوجه

فقال التمايشي هات ما عندك فقلت ان عبد الله الطريفي وسائر الذين انتدبتهم لهذه الحملة كانوا نخاسين وقد ذاق أهالي خط الاستواء من مظالم ما جعلهم يبنضونهم أشد البنض وهم قوم لا أخلاق لهم اذ كانوا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ليكتسبوا من وراء قتلها دجاجة فلذلك تري أهالي تلك البلاد يبنضونهم ويثرون من وجوههم كما يفر الانسان من الضواري فاذا ذهب هؤلاء النخاسون الى تلك البلاد جاءت النتيجة بمكس رغائبك حيث يلجأ الاهلون الى حاكم خط الاستواء ليكونوا معه على الذين ذاقوا مرارة سيطرتهم فيما مضى وورزحوا تحت نيرهم زمنا والاولى مندي ان يمسد مولاي قيادة الحملة الى أحد آل يشه ويشد أزره بجيش من الجمادية ليكون قادراً على كبح جماح هؤلاء النخاسين الذين بمجرد ان تخطأ اقدامهم أرض تلك الارعاء يمودرن الى أعمالهم السيئة التي تاباها عدالة مولاي وما وصلت الى آخر هذه السبارة حتى بدت علامات السرور على وجه التمايشي والتفت الى

ويبلغ في السناء على وشكرني قائلاً إن ما قلته حل في لحي كجرة مملوءة بماء  
الشهد وعمال بصيحتك سأعين أحد آل بيتي لقيادة الحملة وقد أرجأتُ مسيرها  
الذي كنت مزماً انفاذه في القسديثما اختار القائد الجديدي الذي لا بد من  
إمهاله أياماً يأخذ في خلالها اهتبه للسفر

وكان من جملة الحاضرين عبد الله الطريفي وابن أخيه الحاج الزبير نغرجا  
يتعثران في أذيال الفشل ووجوههما مكفهره والله أعلم بما في قلوبهما من  
التيظ والاحنة على

ولدي خروجهما قابلاً أحد اصداقائي المصريين وقال له أليق من فلان  
إن يأتي ما أتاه امام الخليفة فقال لها الجزء من جنس العمل لانكما بداتما  
بالوشاية عليه فتجهنما في ضراره به وهكذا يكون جزاؤكما

وعلى أثر هذه المحادثة انتدب التمايشي احد اقاربه المسمى عمر صالح ومعه  
نحو الخمسمائة جهادي وجملة قائداً للحملة وجعل عبد الله الطريفي كدليل له. ويبلغ  
بمجموع رجال الحملة نحو ستة آلاف رجل جلهم مسلحون بالاسلحة النارية

وفي اواسط سنة ١٣٠٥ غادرت الحملة أم درمان على اربع بواخر ولما  
وصلت الى اماكن السدود وجدها متراكمة فتعذر عليها متابعة السير الى جهة  
الجنوب فكشفت بقية سنتها لتعالج فتح السدود فهلك من رجالها كثير وهلك  
أيضاً عبد الله الطريفي مع من هلك وقوبلت الحملة من أهالي البلاد بنفور عظيم  
وامتنع الاهلون من تقديم الاغذية للرجال الذين انقسموا شطرين أحدهما  
اشتغل بتحصيل القوت بالسلب والنهب من القبائل القريبة من شاطئ النهر  
والآخر اشتغل بفتح السدود

هذا وقد رايت ان اورد هنا شذرة من وصف السدود تماماً للفنان الذي

ربما تعرف إليها القارىء فأقول

يبتدىء خط السير في النيل الأبيض من الخرطوم قبل ان يختلط مع النيل الأزرق وهذا النهر هادئ وصفته متراميتان عن بعضهما حتى يتمذر في بعض الامكنة رؤية من بالشاطئ الشرقى الشاطئ الغربى مثلاً ولو بالنظارة المظلمة وذلك من بسد بركة السيورة فاذا غادرت بحر الزكازك متجها الى الجنوب عند حدود الاقاليم الاستوائية كان الامر بمكس ذلك فتشاهد ضفتي النهر متقاربتين والماء مندفع بقوة حتى ان خريره يصم الآذان وتربة تلك البلاد من طينة لجة تكاد تضارع المواد النورية الشديدة اللزوجة كالصمغ ونحوه

وبنت علي ضفتي النهر حشيش في طول قصب السكر والناظر اليه لا يشك انه قصب السكر ولكنه مملوء بشوك صغير يتطاير على من يدنو منه وتحدث منه قروح قل ان يبرأ من تعلق به ولشدة اندفاع ماء النهر تنقطع من الجزر قطع من الطين عليها اجزاء من هذه الحشيشة التي يطلق عليها اسم ( ابو صوفه ) فتتراكم عند مضيق النهر وتمنع سير السفن وطريقة ازلتها هي ان تقطع اجزاء صغيرة يدفعها التيار الى المتسع من النهر

هذا ماكان من امر حملة المهديين واما امين باشا حاكم خط الاستواء فانه غادر ( اللادوه ) عاصمة الاقاليم الاستوائية الى الجهات الجنوبية على اثر ما اصاب جنوده من التشلل منذ عامين امام ( كرم الله كرساوى ) داعية المهدي في ( شكلا وبحر الزكازك ) وقد تقدم ذكر غارته على حدود خط الاستواء ولما وصل مصر صالح الى ( اللادوه ) ووجدها خالية علم ان الحامية لحقت ( بالرجاف ) جنوب اللادوه فتقدم بنحوها وشن عليها التفارعة وذبح بعض من بها من

الجنود وفر البعض فاجتمعت الحامية في مكان اسمه (الابورية) وهاجوا  
 الدراويش فدارت الدائرة على الحامية وقتل كثير من جنودها وفر الباقون  
 الي (الدقليه) فاعاد الدراويش السكره عليهم واستولوا على خطوط النار عنوة  
 وتقهقرت الجنود ثم كرت على الدراويش وقتلت منهم خلقاً كثيراً واجلتهم  
 من الدقليه فنادروها منهزمين لا يلوون على شيء ولحقوا بهواخرهم في  
 (اللاذويه)

وفي غضون اشتغال الحامية بدفع غارة الدراويش وصل المسترستانلي  
 الرحالة الذي كلفته الحكومة الحديوية بسحب حامية خط الاستواء عن  
 طريق زنجبار

ولما سمعت الجنود بأمر هذا الانسحاب وعلمت ان طريقها الي جهة  
 زنجبار مملوءة بالمخاطر والصعوبات ولادواب الالحمل في تلك الارحاء واشيع  
 بينهم ان مسافة الطريق تبلغ مسيرة سنة تمرر السودانون منهم على امين باشا  
 وقبضوا عليه وسجنوه وعينوا حاكما وضباطاً من صغار الضباط السود كما قبضوا  
 على سائر الضباط المصريين والموظفين المسلمين وزجروهم في السجن

ثم نعى الى أولئك الجنود المتمردين ان الدراويش متقدمون نحوهم فهرعوا  
 الى لقائهم في جبال (الدقليه) فقام ضابط سوداني يدعى سليم مطروهمجم  
 على السجن واطلق امين باشا وساروا الي جهة قرية من بحيرة فيكتوريا نيازوا  
 وقابلوا المسترستانلي هناك فهدد المسترستانلي الي سليم مطر تسكين ثأري  
 الحامية واسماتهم لمرافقته فتوجه الي (الدقليه) وحاول اقناع الجنود بجواب امتثال  
 أمر الحديو الذي يجهله ستانلي فلم يفلح ورموه بالحياة وكادوا يباشون به وظل  
 المسترستانلي ينتظر عودته نحو شهرين ثم اجتاز النهر وابتدأ مسيره الي زنجبار



ثم خلفته في الطريق كتب من الضابط ميلاغا مطر يخبره فيها بحبوط مسماء فتابع  
المسترستاني سيره حتي وصل زنجبار بعد مسيرة تسعة شهور هلك فيها اكثر  
من نصف الذين رافقوه من متاعب السفر حيث كانوا يسرون على الافدام  
ولولا سوء تصرف امين باشا وذبحه الافيال الهندية والثيران المروضة  
لكانت رحلة ستالي الي زنجبار من اسير الاسفار اذ الذين رافقوه لا يلبثون  
أثني نسمة والثيران المروضة التي ذبحها تقرب من ثلاثة آلاف رأس عدا  
بضعة افيال

وعلى أثر ذلك صفا الجو للمهدين في خط الاستواء وانطلقت ايديهم  
فيه يجابون منه الحاج والريش وسائر محمولاته ولله الامر من قبل  
ومن بعد



### ذكر عزل محمد الخير من بربر وموته

ذكرنا ما كان من امر محمد الخير وقيامه بدعوة المهدي في بربر واحتلاله  
ذققة بعد جلاء الحملة الانكليزية عنها

وفي اوائل سنة ١٣٠٤ حين استتب السلطان التمايشي على البلاد ووجه  
اهتمامه الي عزل الامراء الذين ولاهم المهدي واستبداهم بذوى قرابته اوعز  
يعقوب اخو التمايشي الي الحاج علي سعد امير الجميلين الذين يسكنون القرى التي بين  
بربر وام درمان ان يكثر من الشكوى الي التمايشي ويتذمر من أعمال محمد  
الخير ويقبح سيرته فيهم ويرميهم بكل منكر وفظيعة وكان محمد الخير قد  
احتكر وظائف الجباية والقضاء لاقربه واتباعه ووعد يعقوب الحاج علي  
سعد بالولاية بدل محمد الخير فاعتز بوعده واسترسل في الطعن على محمد الخير

ونسب له أموراً هو براء منها وتعالى في تقييح سيرته وتشديد التكبر عليه  
 فارس التمايشي يستدعي محمد الخير الى أم درمان فقدم عليه وعند ذلك عقد  
 التمايشي مجلساً عاماً فيه بين محمد الخير والحاج علي سعد فسمع هذا الأخير  
 محمد الخير مطاعنه فيه فبكي واتحب ورفع يديه الى السماء قائلاً اللهم اني أشهدك  
 اني برىء من هذا كله وكانت هذه المطاعن مما يتجاني القلم عن ذكره ومن  
 جعلها رمي محمد الخير بارتكابه الزنا وقد ذكرنا انه كتب للمهدي على اثر فتح  
 بربر يقبح له استباحة امراض المصريين بضروب السي التي سار عليها ملتهسا  
 منه الكف من ذلك فاجاب التماسه وهذه الحسنة ادل دليل على أن الحاج علي  
 سعد كاذب في مطاعنه على محمد الخير لانه لو كان فاسقاً كما ادعى لما رغب عن  
 سنة السي السيئة ولما رأي وجوب الكف من هتك امراض المصريين في بربر  
 على أن هذه الاذكايب مدبرة بين التمايشي واخيه يعقوب يقصدان  
 بها ابعاد محمد الخير عن بربر لخلقته في وظيفته شخص بقارى ولما كان محمد الخير له  
 شهرة بين اهالي السودان رأوا أنه لا يحسن الاقدام على عزله بدون اسناد  
 فظائع اليه مثل التي فاه بها الحاج علي سعد

وفي ذلك اليوم أصدر التمايشي أمراً بزل محمد الخير وتولية عثمان الديكيم  
 بدله فسار الى بربر في خمسمائة فارس ونهب القرى التي في طريقه واتلف  
 الزرع قبل ان يحصد وكان هذا العمل من مقدمات القحط الذي ضرب اطناباً  
 في السودان رستري تفصيله فيما سيأتي

أما عثمان الديكيم هذا فهو شقيق يونس الديكيم واعماله واخبار جهاته تفوق  
 الذي ذكرناه عن شقيقه

هذا وقد بقي محمد الخير في أم درمان بضعة شهور ثم سجن بتهمة انه

فاه بكلام يس شرق التماشي ثم أطلق والحق بدقلة كأحد صغار القواد  
وتوفي بها في سنة ١٣٠٧

وحدث أناس من الذين حضروا وفاته انه لما احتضر جزع وقال اني  
كنت اظن أن دعوة المهدية لله ورسوله فدعوت الناس اليها وأما الآن  
فقد علمت انها دعوة الشيطان اراد بالاسلام والمسلمين شرا بظهورها وان الله  
تعالى سيؤاخذني على ما جنته يداي ان لم يرحمني ويعف عن سيئاتي ثم نطق بالشهادتين  
وفاضت نفسه

النور ابراهيم الجريفاوي وتجار المصريين في بربر  
النور ابراهيم الجريفاوي ذكروري استوطن ابوه أوجده قرية (الجريف)  
التي تبعد عن الخرطوم جهة النيل الازرق ببضعة اميال وكان مشغلا بصناعة  
الابن وحرقة وبمه لسكان الخرطوم لتشييد المنازل  
وقد ذكرنا انه اغتال قدراً من المال دفعته له الحكومة ليورد لهاها الغلال  
فسرّب المال الي جيبه وكان اذ ذاك من أعضاء مجلس السودان حائزا للرتبة  
الرابعة ثم لحق بدعاة المهدى

ولما عزل الخليفة التماشي محمد الخير من بربرولي النور الجريفاوي هذا  
امانة بيت الها وكان النور هذا مشهوراً لدى سكان الخرطوم اياها اشتغاله بصناعة  
الابن بالورع والتدين ودمانة الاخلاق وحسن المعاملة مع الحقير والمظالم  
والصغير والكبير

ولما دخل في سلك موظفي المهدية انسلخ عن هذه الصفات وأنقلب  
كلها الى ضدها وصرت لا ترى منه غير رجل ظالم غاشم خرب الدمة قد تبد

الورع والتقوى وداء ذنوبه شرس الاخلاق سيئ المعاملة لا يقول الا سوا  
والويل ثم الويل لمن كانت له حاجة عنده وألف وول له ان كان مصريا فانه  
لا يسع منه غير الشتم المؤلم ولا يرى منه الا سائر ضروب الاهانة وحاجته  
لا تقضي ولو كانت عنى طرف الثام وبالجدة انه قد صفا له الجوع حتى خلتاه شخصا  
غير ذاك الذى كان يبيع اللبن ولاغرو فان الظلم كين في النفوس تظهره القوة  
ويخفيه الضعف

وفى إبان اسناد امانة بيت مال بربر اليه كان يفد اليها ألوف من التجار  
المصريين من أهالى مديرية اصوان ولم يكن غرضهم الحقيقى الاتجار بل كانوا  
ميايين الى دعوة المهدية وانما تذرعوها بالتجارة لقضاء ما ربههم من المباينة وحمل  
تعاليم المهدية الى بلادهم ونقل اخبار الحكومة للتعايشي فكتب النور الى  
التعايشي يقول له ان هؤلاء التجار رواد للحكومة الخديوية وهم يسترون  
بالتجارة وعندهم من المال ما يجب ان يكون حقا لبيت المال فكتب التعايشي الى النور  
يا سره بمصادرة أموال اولئك التجار مع انه لا يجمل انهم معه على الحكومة  
وليسوامع الحكومة عليه ولكن طمع في أموالهم ألباه الى سلبها

وعلى اثر ذلك وثب النور الجريفاوى على تجار المصريين وقبض على بضعة  
آلاف منهم وعذبهم ومزق اجسامهم بالسياط كي يذلوه على أموالهم التى  
بلغت قدرا طائلا ثم اطلقهم وهم لا يصدقون بالنجاة بعد أن وردوا موارد  
الموت فمادوا الى بلادهم بقلوب مملوءة ببنفس المهديين وحج القرار من دعوتهم

### السودان الشرقي

بعد أن دارت الدائرة على عثمان دقته في (كوفيت) وفر من وجه الراس

الولا عاد الى كسله ثم استخلف عليها ابن اخيه وغادرها الى (طوكر)  
ولم تفض سنة حتى ثقلت وطأة عثمان دقنه على الاهلين فارتفعت  
اصواتهم بالتذمر من مظلمة القادحة التي أحسوا بقتل بطأتها عليهم فهرعوا  
الى الخليفة يشكون مالا قوا فلم يجدوا منه غير التسوية والمعلل والاثام بالانحراف  
من جادة الصراط المستقيم فثاروا على عثمان دقنه عدة ثورات  
وفي أواخر سنة ١٣٠٣ كتب التمايشي الى عثمان دقنه يستقدمه وكانت  
أول مرة استقدمه فيها بعد ان قبض على زمام الملك فشنخص من  
(طوكر) الى بربرومنها الى أم درمان فاستقبله التمايشي بصنوف الاكرام وبعد  
انقضاء أيام عيد الاضحى أعطاه خمسة آلاف مقاتل من البقارة فسار بهم الى  
كسله عن طريق (التضارف) ثم سير خلقه الحاج محمد أبان قرجة في عشرة آلاف  
مقاتل وسلمه أمرا بأنه امير شرق السودان بدل عثمان دقنه الذي عزل من  
الامارة وجعل كواحد من القواد فسار أبو قرجة على طريق التضارف أيضاً  
قاصداً كسله ولدى وصوله اليها أعلن عزل عثمان دقنه وولايته بدله فسكنت  
الاضطرابات وأمنت السبل وفتح طريق الاتجار بين مصروع وكسله . وبعد  
بضعة شهور أصدر التمايشي أمرا الى أبي قرجة بمناذرة كسله الى (طوكر)  
واستخلاف حامد على أحد أقارب التمايشي على كسله فسار أبو قرجة الى  
(طوكر) وعسكر فيها وجرت بينه وبين الحكومة في سواكن مفاوضات سلمية  
أوجبت ارياب التمايشي في الثقة به فزله عن الامارة وأعادها الى عثمان دقنه  
وفي غضون ولاية أبي قرجة تقدمت جيوش الدراويش الى (هندوب)  
وضيقت الحصار على سواكن فخرجت حاميتها عليهم وفرقت جموعهم فنادوا  
الى (طوكر) وعسكروا فيها

أما أبو قرجة فقد ولاء التماشي. ثل بربر فكش بها ثلاثة شهور ثم  
عزله وولى بدله الزاكي عثمان البقاري وبنى أبو قرجة الى خيل الاستواء  
وسعود الى ذكر هزيمة عثمان دقنه من (طوكر) والقضاء على نفوذه في  
السودان الشرقي



### ظهور المهدي ابو حمزة في دارفور

لما رسخت قدم عثمان آدم في دارفور انحنى القبائل منها وسلبا وخرب  
المدن وحمل الاهلين نيرا تقيلا حتى باتوا ولاهم لهم غير استلاص من ذلك  
التير فقام بين ظهرانيهم رجل من المشايخ اسمه محمد كان يجلس تحت شجرة  
من الحمير حتى كنى باسم (أبي حمزة) وادعى انه المهدي المنتظر وكان مشعوذاً  
ذا قدرة على عمل خيالات يخالفها الناظر حقائق فأتبعه أهل دارفور كلهم  
وترامت أخباره الى الممالك المجاورة لما فنسل اليه كثير من سكانها ولحقوا به  
واجتمع حوله جيش كثيف عسكره في الجهات النورية وكتب الى عثمان آدم  
يدعوه الى التسليم فارسل له جيشاً تحت قيادة (الحكيم موسى) التماشي فهزمه  
شرهزيمة وبعد اللثيا والتي وجد القائد الى النجاة سيلا

فارسل عثمان آدم الى التماشي يعلمه بامر أبي حمزة ويطلب منه الامداد  
فارتاع التماشي لهذا النبا وأرسل الامداد الى عثمان آدم الذي أرسل لحرب  
أبي حمزة جيشاً آخر تحت قيادة (محمد بشاره) التماشي فلم يكن نصيبه غير  
نصيب القائد الحكيم موسى ثم توالى الحروب بين أبي حمزة وعثمان آدم  
فكانت الدائرة تدور على دراويش عثمان في جميعها وخضعت بلاد دارفور  
النورية كلها لابي حمزة وشمرت معه على حرب عثمان آدم الذي ضاقت الدنيا

في وجهه كما ضاقت في وجه التمايشي الذي أصدر أمرا الي عثمان آدم بالتقهقر  
من دارفور الى كردفان

وبينا كان عثمان آدم يتأهب للتقهقر زحف عليه أبو حمزة في جيش  
عمرهم ولكنه في غضون سيره أصيب بمرض الجدري ثم توفي بعد أيام  
بمسيرة فتابع أصحابه مسيرهم قاصدين (الفاشر) محل إقامة عثمان آدم  
الذي قسم جيشه قسمين جعل أحدهما كينا وتربس هو مع الآخر فتقدم  
جيش أبو حمزة حتى اجتازوا موقع الكمين والتقوا مع عثمان آدم فخرج عليهم  
الكمين من الخلف وصاروا بين نارين فسقط منهم عدد كبير وتمسك الباقيون  
بأذيال التراب فأثرهم عثمان آدم وقتل منهم خلقا كثيرين وما زال عثمان آدم  
متأثرا للمنهزمين حتى اجتازوا حدود دارفور ولحقوا بمملكة (أبي ريشه) وحملت  
الي التمايشي رؤس جماعة من وزراء أبي حمزة وهجروا الي دارفور ديارهم  
الي ممالك الترب كي يتصدوا بهامن انتقام الدراويش فتخربت البلاد وصارت  
بلقا ليس فيها ساكن ولا مساكن واقطعت جباية الخراج وأصبح عثمان آدم  
وجيشه في حاجة عظيمة الي النفقات فوجه اهتمامه الي النزول في الجبال التي  
حوالي دارفور ليتحصل منها على قوته وقوة حاميته

### شأن التمايشي وقبيلة التمايشة

لما تلب التمايشي على مناظريه وسلب من أقارب المهدي القوة التي  
كانت في أيديهم استبد هو بالملك وانفرد بالسلطان على كل بلاد السودان  
وأضعف نفوذ الخليفين على حلو ومحمد شريف حتى صارا لا يبيأ بهما خصوصا  
محمد شريف فقد وصلت حالته الي فقدان الضروري من الثروت وانحط شأن

أقارب المهدي حتي صاروا في حالة يرثى لها ولا سيما أولاد المهدي فاهم  
 صاروا يقاسون من شذف العيش وصرارة الفقر مايجز القلم عن وصفه  
 وفي أواسط سنة ١٣٠٥ اتجهت عزيمة التمايشي الى استنفار قبيلة  
 التمايشة من ديارها في جنوب دارفور ليشد بها عضده ويكون ذاعصبة  
 امام الاقوام الخاضعة لجبروته وكان قبل ذلك يتألف قبائل البقارة لينال  
 منهم مزايا العصبية والموازرة اذ لم يكن معه من أقاربه التمايشة الا نحو ثلاثين  
 رجلا احتكر لهم الوظائف وولام الاعمال الخطيرة واستوزر أخاه لايه  
 يعقوب وأشركه في سلطانه حتي صار ذا نفوذ كبير وأصبح يضارع أخاه التمايشي  
 في كل خواص الملك والسلطان وصار يعقوب هذا القائد العام للجيش والمدير  
 المطلق لامور مملكة أخيه

وكتب التمايشي الى عثمان آدم في دارفور يأمره باستنفار قبيلة التمايشة  
 كما كتب الى رؤساء هذه القبيلة يخبرها بأنه صار ملكا عظيما وسلطانا فخما على  
 جميع الاقطار السودانية وانه في حاجة شديدة لمساعدتهم فانقسمت قبيلة  
 التمايشة الى قسمين. أحدهما رأي وجوب المبادرة لتلبية نداء التمايشي والآخر  
 أظهر بفضه قائل لا يرجي خير من سفل نال ملكا من طريق المصادفة  
 صملوكه كان متسولا بين ظهرايتنا بالامس واليوم نذهب لننزل على حكمه  
 ونضع أنفسنا بين يدي جبروته ثم هجر هؤلاء ديارهم ونزحوا الى مملكة  
 (وداي) مفضلين النأي عن الديار على اللحاق بالتمايشي وانصاع القسم الآخر  
 لمطالب التمايشي ونزحوا من ديارهم الى دارفور ومنها الى أم درمان وكانوا زهاء  
 مائة ألف نسمة أو يزيدون

وقد أنفق التمايشي على استعدادهم أموالا طائلة حتي بلغوا أم درمان فتلقاهم



الحفاوة والاكرام ووزع عليهم الاقوات والملابس  
 وكان بين هؤلاء القادمين (الزواكي احمد خوف) زعيم التمايشي وكان حائزاً  
 للرتبة الثالثة من الحكومة وكان التمايشي يعمده بالهيل والهيلان لدى وصوله  
 أم درمان فلم يوف له بوعده وسنعود الى ذكر بقية أخبار عثمان آدم وموته  
 هذا وقد كانت قبيلة التمايشة تحب السكر والتمر وطريقة تناولهم السكر  
 أن يكسروه قطعاً صغيرة ويأكلوه كما يأكلون الخبز

ومن النكات المضحكة ما نوردته عن أحد المصريين الذين يشتغلون في  
 ماسمل الذخيرة للتمايشي وذلك ان الزاكي عثمان الذي كان أمير بربر كلفه بتبشة  
 خرطوش لفسادة صغيرة فأتى المصري العمل وذهب الى منزل الزاكي  
 ليدفع له الخرطوش فلقاه بالاكرام وقدم له طبقاً كبيراً مملواً بقطع السكر  
 الصغيرة وجاءه باناء فيه نحو خمسة أرطال من اللبن الحليب فأخذ يأكلان من  
 السكر ويشريان من اللبن ثم قال صاحبنا المصري لمضيفه لما ذا لاتضع  
 السكر في اللبن فقال وهل يوضع السكر في اللبن فقال نعم وتناول المصري  
 السكر وأتقاه في اناء اللبن فصاح به مضيفه قد اتلفت السكر واللبن مما فقال  
 له المصري لاتعجل فسكت الزاكي ثم هز كتفيه ورأسه علامة على  
 اليأس فقدم له المصري اناء اللبن وقال له ذقه فقال له والنضب باد على وجهه  
 لا ذوقه حتى تذوقه قلي فشرب المصري وناوله الاناء فشرب منه ثم وضع الاناء  
 من يده قائلاً (فاتلكم الله يا معشر المصريين انكم خيرون بانقان كل شيء) أما نحن  
 فلا نعرف ان مزج السكر باللبن يصيره حسناً مثل هذا ولم تنمود منذ  
 خلقنا الله إذابة السكر في اللبن ثم سأل المصري وهل يكون السكر لذيذا كهذا اذا  
 القيناه في الماء فقال نعم فظهر الارتياح ثم دخل الي بيته وعادته بسكرو وقال

له ألقه في الماء لتذوق طعمه فالتقاء المصري في الماء فأمره أن يشرب منه قبله كما شرب في المرة الأولى ثم عاد فشرب منه وأخذ في إبداء الاستغراب فسأله المصري عن سبب امتناعه عن الشرب قبله فقال أنني كنت أظن أن طريح السكر في اللبن ربما تولد منه ضرر وأخذ المصري يصف له الاطعمة التي يصلحها السكر ثم أنصرف عنه

ولقد اطلمت على منشور كتبه النعاشي إلى قبيلة النعاشية يحبب إليها القدوم عليه وفيه أنني ملكت بلاداً فيها جبال من السكر وشجر التمر وأن أهالي هذه البلاد الذين هم ( الجلاية ) صاروا عبيدي فسارعوا بالقدوم إلى لتأخذوا النصيب الاوفر من جبال السكر وشجر التمر وتقضوا وطركم من نساء الجلاية وتركبو الخيول والحمر والبعير

ولما وصلوا إلى كردفان كانوا يسألون من لا قاهم عن جبال السكر وشجر التمر ومدوا أيديهم ونهبوا سائر قرى كردفان وقتلوا مئات من الاهل الذين دفعوا غلامتهم إلى النعاشي فكانت جوابه لهم لا تتأثروا من فعل المهاجرين لانهم اخوانكم وشاهدوا ما حل بكم من الله تعالى ولا تسبوه أي هؤلاء المهاجرين اذ الفاعل الحقيقي هو الله

### ذكر ضرب بخانة النعاشي

اسلفنا ذكر ضرب بخانة المهدي وما ضرب فيها من المسكوكات من نوع الجنيه المصري والريال الذي نقش عليه ( في الهجرة ) وفي الطغراء ( باسم المهدي ) ولما عزل النعاشي أحمد سليمان أمين بيت المال وخلفه ابراهيم عدلان كانت مسألة الضرب بخانة من الاور التي احتج بها النعاشي على سوء ادارة

أحمد سليمان وشدد التكبر عليه مدعياً أن اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لم ينش في النقود ولا انشئت دار للمسكوكات على عهد مولى الله عليه وسلم  
فأمر بجمع النقود التي ضربت في عهد المهدي فجمعت وانشأ ضرب بخانة لسك  
النقود من نوع الريال وجعل نصفه من الفضة والآخر من النحاس وضرب  
على أحد وجهيه (ضرب في أم درمان) وعلى الآخر طغراً مكتوب فيها (مقبول)  
فسمى الريال المقبول وكان في كل سنة يأمر بتخفيض الجزء الفضي حتى صار الريال  
كله من النحاس الا الطلاء الذي ينفرون به حمرة النحاس  
ولقد هبطت قيمة هذا الريال الى حد أن صار لا يساري اكثر من ملليم  
اما المسكوكات الذهبية فقد منع اعادة ضربها كل ذلك ليحتكر لنفسه الذهب  
والفضة ولا يدع للناس ما يتعاملون به غير النحاس  
على ان التمايشي لم يكن يجمل ان ضرب المسكوكات وانشاء الضرب بخانة  
كان بأمر المهدي الذي ذكرنا ان أحمد سليمان كان لا يضع خطاً في خياط  
الا بعد صدور أمره له بوضعه والحاصل ان التمايشي لم يترك شيئاً وضعه  
المهدي الا نقضه

### ذكر انشاء دار للخزينة والبارود

لما سقطت الخرطوم جمع المهديون رجالاً من المصريين كانوا عمالاً  
في الجبهات وجمعوا لهم رواتب طافية ليشتغلوا بتعبئة الخرطوش ووضع  
المواد المفرقة فيه ثم أدرك التمايشي ان البارود والخزينة التي عنده لا بد  
من نقادها فأخذ يسعى الى التوصل الى طريقة استخراج البارود فعهد الى  
يوناثي اسمه (ديتري برغاخي) استخراج البارود وانشأ داراً لهذا العمل

جعلها تحت نظر أخيه يعقوب وانفق أموالا طائلة لا تمام هذا العمل ورتب  
لعماله رواتب كبيرة فنجحت تجارب بردغاجي واستخرج شيأ من صنف  
البارود وعرضه على التمايشي الذي سر بهذا النجاح وسجد شكرا لله على  
ما منعه من النعم ومكث بردغاجي مشغلا باستخراج البارود بضع سنوات  
وبينا كان ذات يوم يباشر عمله اذ التهب جزؤ من البارود وتفرق فامات  
بردغاجي وعماله واحرق الدار ونسف جدرانها فاستاء التمايشي وأظهر الحزن  
وركب الى محل الحادثة وأمر بجمع الاشلاء ودفنها

وكان التمايشي يتقالي في استرضاء بردغاجي ولدى شروعه في عمل  
البارود منعه خمسمائة ريال ومحظية من عطياته وجواري وغلما للخدمة  
وجعل راتبه الشهري مائة ريال عدا رواتب عماله

أما المواد التي يستخرج البارود منها فلها خم شجر الصنصاف وملح  
البارود وكبريت المامود وكان يستخرج في كل شهر عشرة قناطر من البارود  
وانشأ دار الاستخراج ملح البارود وكلف أحد الصيادلة المصريين  
بالعمل فيها

وكذلك انشئت دار لعمل المادة المفرقة التي توضع في الكبسون المسماة  
(بحينة الكبسون) واسند العمل فيها الى (لبتن بك) مدير بحر التزال  
وحسن افندي زكي أحد أطباء الحامية في الخرطوم

وانشئت أيضا دار لعمل الخرطوش وأطلق على الجميع اسم (الوروش  
الحرية) وكان المشرف عليها كلها يعقوب اخو التمايشي  
وشيدت دار لحفظ الاسلحة وسميت (بيت الامانة) وكانت رواتب رؤساء

المعمل مائة ريال شهريا من ديالات التمايشي لكل واحد منهم واقل راتب  
لاصغر عامل عشرة ديالات

### ذكر موت لبنن بك مدير بحر الغزال

ذكرنا أخبار لبنن بك وسجنه قبل سقوط الخرطوم  
ولما سقطت الخرطوم أسر المهدي باطلاقه فخرج من السجن في حالة  
يرثي لها من الفقر والحاجة ولما اشتدت به الحال قدم نفسه للخليفة التمايشي وقال  
له انني أعرف صناعة تجهيز عجينة الكبسون فاثني عليه وأمر له بمجازة  
وفي سنة ١٣٠٥ مرض لبنن بك ولما حضرته الوفاة أوصى سلاطين  
باشا على بننيه وامراته التي أصلها سودانية نصرت بدموية الآباء الكاثوليك  
ثم تزوجت لبنن بك وورثت منه بنتين

وبعد وفاة لبنن بك زوج سلاطين باشا امراته بحسن أفندي زكي  
الذي كان يساعد زوجها في عمل عجينة الكبسون  
واعتي سلاطين باشا بامر البنيتين اعتناء عظيما حتى غادر أم درمان

### المقدم عمر الجعلي واستخراج الرصاص

لما نفذ ما في مخازن التمايشي من الرصاص جاءه ذات يوم رجل من  
الجميلين اسمه المقدم عمر مشهور بالشموذة يختلف على مدينة الخرطوم  
ويحتال على ضغفاء العقول ويطلب منهم المال لشراء الادوات كي يحول النحاس  
والرصاص ذهباً

وقد عرفه الناس فصاروا لا يتخذون باكاذبيه فقال للتمايشي انني أقدر

على استئراج الرصاص من اخجار ام درمان فاعطاء التمايش عشرة من  
العمال وامر باعداد مايلزمه من آلات النفخ وعدد العمل ومنحه قدرا من  
المال فاخذ يوصي اقاربه بشراء الرصاص فاذا اجتمع لديه بضع اقات وضعها في  
التنور ووضع حولها الحجارة ثم أضرم النار حتى يذوب الرصاص وتحترق الحجارة  
فيثبذ يستدعي يعقوب اخا التمايش لمشاهدة نتيجة العمل فياتي يعقوب  
ويري الرصاص مذابا وسط الحجارة فيعتقد انه تحلل من الاحجار فيبلغ اخاه  
التمايش فيامر للمقدم صمر بالمطايا من الجواني والمال

وفي ذات يوم صعد التمايش المنبر وتكوف الناس حوله فقال لهم ان  
النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بان المقدم عمر الجمل يستخرج له من الحجارة  
رصاصا يكفيه لفتح الدنيا كلها وان الحضرة عليه السلام اخبره بان وجود الرصاص  
في جوف الحجارة من كرامات المهدي عليه السلام

ولكن لم تمض بضعة شهور حتى فقد المقدم صمر الرصاص الذي كان  
يشموذبه عليهم واتقطع عن العمل مدعيا ان ادوات النفخ قد ضمنت فصنعوا  
له غيرها فلم يات بشيء ثم وكل التمايش مراقبته الى اثنين من جواسيسه فعلم انه  
كان يبتاع الرصاص من الخارج لاث الناس الذين كانوا يبيعونه له كانوا  
يلتقطونه من حول متاريس الخرطوم وغيرها من مواقع الحروب ثم يذيه  
وسط الاحجار فاستدعى التمايش المقدم صمر وعدد له سياته وما ارتكبه من  
الفش فاجابه المقدم صمر بان ما قيل عنه من الفش ليس بصحيح ثم قال له  
ألست قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضر عليه السلام اخبراك بكيت  
وكيت مذكرا له ما فاه به على المنبر و زاد ان قال له لان دعوى المهدي قامت او كانت  
بمثل هذه الاخبار فان كذب هذا الخبر فالمهديه كلها كذب في كذب فاشتغل

التماشي واستنقى التضاة فافتوا كما أوعز اليهم بقطع يده ورجله من خلاف  
قطعا في السوق وفي اليوم التالي توفي المقدم عمر وانقضى الامر

ذكر احراق كمال الدين عظام قتلى الخرطوم ونش القبور  
لما توفي لبن بك واستمر حسن زكي في عمل عينة الكيسون ونفذت  
المواد الكيميائية التي تستخرج منها هذه المادة اهتم التماشي لهذا الامر  
فقام رجل يدعى كمال الدين من المنود الذين ذكرنا نبأ قدومهم على المهديين  
وقال للتماشي اني اقدر على استخراج عينة الكيسون بغير احتياج الى المواد  
الكيميائية التي نفذت فسر التماشي هذا القول وقال له من أي شيء تستخرجها  
فقال من عظام الاموات فقال له هاهي عظام كفار الخرطوم وأمر باعداد  
مايزم لانجاز العمل فجمع كمال الدين عظام قتلى الخرطوم واحرقها بالنار ثم  
سحقها في الاخوان ووضعها في أحواض كبيرة وصب عليها الماء ثم نش  
قبور قداما موات الخرطوم وصنع في عظامهم مثل ما صنع في عظام القتلى ثم  
أقفلت الابواب على الاحواض وترك ستة شهور فتولدت منها الديدان  
وتصاعدت الروائح المائلة منها

وبعد الستة شهور جاء يعقوب شقيق التماشي ومعه جمع من الامراء  
وفتحوا الابواب فراوا الديدان تولدت والروائح الكريهة تتصاعد منها فسأوا  
كمال الدين فقال ان تولد الديدان وتصاعد الروائح علامتنا نجاح العمل فاذا أقفلت  
الابواب ثلاثة شهور اخرى ثم فتحت بعدها وجدت هذه الاحواض مملوءة  
بعيئة الكيسون التي تؤخذ مباشرة لوضعها في الخرطوش فلم يصدقه يعقوب  
وعاد الى ام درمان واخبر اخاه بان كمال الدين كاذب محتمل فاحتدم التماشي

غيظاً على كمال الدين ولكنه لم يماق به بقوية  
 وبلست نفقات هذا العمل اكثر من اربعة آلاف ريال انفق كمال الدين  
 جلها في حاجاته الخصوصية عدا ما أخذه من الجوازي والركائب  
 وبعد وقوف الخليفة على حيلة كمال الدين أصدر أمره له وللنود  
 الذين قدموا معه بأخذ الالهة للمودة الى بلادهم وأعطاهم كتباً بالدعوة للمهدية  
 وخرج لوداعهم فقال له كمال الدين اني أريد منك أن تعطيني شيئاً على سبيل  
 التذكار فأعطاه التماشي نعله فأخذ يقبلها ووضعها في جيبه فطلب منه القاضي  
 احمد على رد النمل الي صاحبها فلم يقبل حتي أعطاه اربع جوار وحماراً  
 ثم قال القاضي لمن حوله لو طلب مني كمال الدين كل ما أملكه من حطام  
 الدنيا لافديت به نمل الخليفة وقصد القاضي من هذه الاقوال أن يبلغها  
 الحاضرون للخليفة فتزداد ثقته به وسار كمال الدين ورفقاؤه الى سواكن ومنها  
 الى الاقطار الهندية

### تخريب بلاد الجزيرة

(وحشد أهلها بام درمان)

في أواخر سنة ١٣٠٤ هجرية أصدر التماشي أمراً عاماً الى جميع سكان  
 الجزيرة من الخرطوم الى حدود الحبشة والى حدود مديرية بربر من جهة  
 الشمال وحدود مديرية فشود من جهة الجنوب بالوفادة الى أم درمان وتوعد  
 من بقي في داره ولم يهدم منزله بيده ويأت الي أم درمان وضرب لذلك أجلاً  
 هو أواخر شهر رجب من السنة المذكورة ومن لم يصمدع بالامر في ذلك  
 الاجل عد ماصياً محارباً للمهدوية



وما اقترب الاجل حتى خربت جميع القرى والمدن التي في الجزيرة  
وقدم سكانها الي أم درمان، وتركوا غلالهم وحاصلات أرضهم في البلاد مودعة  
في بطون الارض فمنهم الذين ساروا في البر حتي اجتازوا النهر الي أم درمان  
باجرة باهظة فرضها عليهم أصحاب الزوارق ومن سار في السفن الشراعية  
أدي أجرة لا تقل عن عشرة أضعاف الاجرة الاصلية لركاب السفن الشراعية  
وبعد اجتماع سكان هاته البلاد في أم درمان وهم سكان مديريات الخرطوم  
وسنار وفيزو غلي أنزلهم التماشي في أم درمان في أماكن متفرقة حيث جعل  
سكان كل قرية أو مدينة وحدهم فملكتم ماشيتهم التي لم تمجد مرعى بام  
درمان وانتدب التماشي سرية من رجاله تحت قيادة (أبوام فضالي) ليروا على  
القرى وتقبضوا على من تخلف عن امتثال ما أمر به التماشي فخرت هذه  
السرية ما بقي من القرى ومد رجالها أيديهم الي الحاصلات المخبوءة تحت الارض  
فنهبوا ولم يبقوا على شيء منها

وكان سكان الجزيرة اكثر أهالي السودان دعة وسكونا وثروة  
وبسبب هذا الانتقال فقدوا ماشيتهم وثورتهم وجاء هذا العمل من اكبر اسباب  
نقشي المجاعة في السودان وهي مجاعة سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ اللتان أبادتا النفوس  
وخربتا البلاد

وبعد استقرار هذه الحقائق في تلك المنازل استمرضها التماشي في أم درمان  
مرات عديدة ثم بعد مضي بضعة شهور أذن للمزارعين بمقادرة أم درمان لمزاولة  
الزراعة فسادوا وقد عم الدمار بلادهم ولم يجدوا حاصلاتهم التي أودعوها  
في بطن الارض فسادت حالتهم وأقاموا موسم الزراعة ولم يهودوا الي

أم درمان وسعود الى وصف تلك المجاعة وفشت أمراض الجدري والحيات  
بين أهالي الجزيرة وصارت الوفيات في كل يوم تمتد بالآلاف والحاصل ان أهالي  
الجزيرة هلك نحو نصفهم بالأمراض التي تفشت فيهم وذهب الباقون الى  
مزارعهم بالحالة التي وصفناها

### ذكر تخريب الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر التعايش مع اسرى الخرطوم يوم جمعنا في المقر  
وأمرنا بمفادرة الخرطوم والسكنى بأم درمان وبقي بعض الامراء ساكنين  
في الخرطوم ولما عزم التعايش على تخريب مدن الجزيرة أصدر أمراً للدرأويش  
الذين كانوا ساكنين في الخرطوم بهدم المنازل التي يسكنونها وحمل الاخشاب  
لتشييد منازل بأم درمان فكانوا يهدمون الدور يأخذون الاتقاض يشيدون بها  
منازلهم في أم درمان وهكذا تم خراب الخرطوم حتى لم يبق من المنازل  
غير بضعة دور حوالى (الترسانة) أقيمت لسكنى عمال الترسانة وبقيت الحدائق  
التي على ضفة النهر عامرة يبيع بيت المال محصولاتها وتجب منها القاكبة  
والخضراوات الي أم درمان واحتكر التعايش لنفسه حديقة سراي الحكمادارية  
وكان المهدي وهب أحمد شرفى إحدى حدائق الخرطوم الكبيرة واخص  
الحليفة شريف بمحديقة كنيسة الكاثوليك والحاصل ان الخرطوم صارت  
خرابا بلقما ومنازلها وقصورها تلالا والدوام لله

### ذكر فرار المؤلف وارجاعه الي أم درمان

في أول سنة ١٣٠٥ هجرية بعث لي صهرى عثمان فهمى باشا مائتي جنيه

انكايزى مع شخص اسمه الحاج صالح على من قبيلة الببادة فدفع لى منها مائة جنيه واغتال المائة الثانية فاخذت المائة جنيه ولم أطلع أحدا على أمرها وفي غضون ذلك جاءنى امريبان من قبيلة الكبابيش واخبرانى انى محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن ووكيل محافظة الحدود وقتئذ أوصاهما بمساعدتى على الفرار ووعدهما بمكافأة قدرها مائتا جنيه لى وصولى الى الحدود المصرية وبعد ان تداولنا فى كيفية الفرار قالالى اناسفرا من أم درمان على احدى السفن الشراعية قاصدين ( التربة الخضراء ) التى تبعد عن أم درمان مسيرة ثمانى مراحل جهة الجنوب على النيل الابيض ثم تقصدجة ( شركيله ) فى الجنوب الشرقي من إقليم كردفان ثم نخطي الجبال من هناك ونخترق اقليم كردفان من الجنوب الى الشمال حيث نكون فى جنوب ( صحراء بيوضه ) التى نخترقها الى الشمال وينتهي سيرنا بالوصول الى حلفا

على ان اختراق الصحراء كان يستدعى مسيرة ثلاثين مرحلة بسير المحجن الحثيث عدا مسافة السير من التربة الخضراء الى ( شركيله ) وجهات كردفان الشمالية وقد كانت هذه الرحلة على ما فيها من الشقة كافلة لنجائى وخلاصى من الاسر اذ المسافر فيها يأمن ان يدركه رجال التمايشى الذين لا يعرفون هذه الطريق وغاية ما يفعلونه ان يتأثروا القارين فى الطريق التى تمر على بربر والصحاري التى حولها

ولما اجعت أمرى على الفرار مع ذينك الامريبين اللذين تمهدالى بأنهما لا يأخذان شيئا من الزنود قبل ان تفصل الى الحدود المصرية تركت لائلتي خمسين جنيها من المائة جنيه ودفعت نحو عشرين جنيها كنت مدينا بها لبعض التجار ولم أخبر أحدا بأمر الفرار وقلت لائلتي انى ذاهب الى جهة

قريبة في البحر الأبيض لاعدود منها بشيء من الذرة تقتاتون به وتزودت  
بشيء من خبز الذرة الخفيف وأخذت قليلا من البصل وركبنا السفينة ومعي  
الاعرابيان وقد أوصياني بالابتعاد عنهما والتظاهر بعدم معرفتهما مادامنا  
في السفينة فغادرنا أم درمان وكان الفصل شتاء وليس معي غير الوعاء  
الذي فيه خبز الذرة وملاءة من الانسجة الخفيفة المسماة (مرمر) ومعي  
ثلاثون جنينا انكليزيا وضمتها في منطقة من الجلد تمنطقت بهاتحت الملابس  
وبعد مسيرة أربع ليال رست بنا السفينة في ساحل الترة الخضراء فحملت  
وعاء الزاد ونزلت من السفينة والماء يكاد يبلغ رائي والشاطئ بعيد عنا بنحو  
خمسائة متر وتبعني الاعرابيان كأنهما لا يعرفان من امرى شيئا فخرجت من  
الماء وقد جدد الدم في عروقي من شدة البرد فلبثنا الى غاية مظلمة  
نأر فيها الاسد وتتوابع فيها النمر والذئاب وسائر الضواري فقضينا تلك  
الليلة حول نار أوقدناها للاصطلاء بها واتقاء السباع لأن صاحبي قال لي ان  
السباع تفر ولا تقترب منها وقضينا مدة الليل لم يزد الكرى لنا اجفانا ولم  
نضطجع على الثرى

وفي الغداة سرنا نحن الثلاثة على اقدامنا نحترق النابة متجهين الى جهة  
الجنوب الغربي وقضينا مدة النهار في السير حتى أرخي الليل سدوله فسمعنا  
نباح الكلاب حيث وصلنا الى قرية ( الترة الخضراء ) وهي قرية كبيرة  
سكانها زهاء خمسة آلاف نسمة ثم غادرناها وانتهينا الى اكواخ خربة فدخلت  
انا وواحد منها في أحدها وذهب الآخر الى القرية كي يعود منها بالجمل  
فذهب بمد ما قطع فصننا من الشوك ووضعناه على باب الكوخ فاضطجعت حتي  
كان الثلث الاخير من الليل جاء صاحبنا الذي ذهب الى القرية بجملين فامتطياهما

واردني أحدهما خلفه وماسرنا نحو عشرين ميلاً وسط القلاوة وجهتنا الجنوب  
 الغربي حتي اسفر الفجر وهكذا ظلنا سائرين النهار كله حتي مضى الثلث  
 الاول من الليل حيث بلغنا (شركيله) في حدود كردغان الجنوبية وهناك  
 نزلنا ضيوفا على اعراب حلفاء لصاحبيّ قدسوا لنا جانباً من اللبن الحامض  
 وخبزاً من الذرة وفي التمد قلت لصاحبي هيا بنا تابع سيرنا فقالا اننا منتظران  
 شخصين تركناهما في أم درمان ليأتيا بالناس فارين مثلك فضقت ذرعاً من هذا الكلام  
 وأخذت في حبسهما على السفر وأظهرت تخوفي من اقتضاح الامر اذا عثر بنا الدراويش  
 فلم يصنبا لقولي وأقنا في (شركيله) سبعة أيام تنتظر القادمين من أم درمان فلم يأتيا  
 وفي صبيحة اليوم الثامن جلست أمام الكوخ فاذا أنا بشخص راكب على حمار وخلفه  
 عبيد فأمنت النظر فيه فاذا هو قبلي من مكتبة جيش يعقوب أخى  
 التمايشي فتقدمت للسلام عليه فترجل عن دابته وحياني وصاحني وعلامات  
 الدهشة بادية على وجهه ثم استدني بالكلام قائلاً ان الخليفة قدك وقد  
 سير الركبان الى كل الجهات في طلبك فقلت له اني قصدت هذه الجهة لان  
 لي بها صديقاً قديماً أرجو أن أعال من رفده درهيمات ثم استحلقتة على أن  
 يكتم خبر رؤيته اياي في ذلك المكان خلف أن لا يذكر شيئاً من هذا الامر ثم  
 انصرف وتابع هو سيره فاصداً كردغان وعدت الى صاحبيّ فأخبرتة بما  
 أنبأني به القبطي وقلت لها إما أن تسيراي في هذه الليلة وإما أن ترجعائي الى  
 التربة الخضراء فقالا لا سبيل الى السير مالم يحىء صاحبانا فألححت عليها  
 بارجاعي الى التربة الخضراء وقضيت ذلك النهار وفي الاصيل رضيا باعادتي  
 الى التربة الخضراء فركبا هجينهما وأردفني أحدهما خلفه وابتدأنا السير من أول  
 النهار وفي النلس وصلنا الى ضفة النيل الابيض عند المسكان الذي رست فيه

السفينة فأراد صاحبها أن يرجعها على أعقابها فألححت عليهما بالبقاء ريثما يتبليح  
 الصباح ولما بدأت طلائع الصباح وولت جيوش الظلام ودُعاني وعاداني  
 طريقهما إلى (شركيله) والسباع تزجر حولي فحملت وعاء الزاد وسرت على  
 ضفة النهر فوق بصرى على زورق يشبه قوارب الصيادين فدنوت منه  
 عسافى أجده عنده أنيساً فلم أجده فقلت في نفسي لا بد لهذا القارب من صاحب  
 يأتي إليه فكثت نحو ساعتين ولما لم يأت احد وأدركني بأس عظيم هون على  
 حياتي التي سئمتها دخلت في الزورق وقذفته في لجة البحر ووضعت وعاء  
 الزاد تحت رأسي واضطجعت في الزورق الذي توسط لجة النهر وسار به التيار  
 إلى جهة الشمال وظل هكذا حتى إذا كان الاصيل أبصرت قرية على ضفة  
 النهر القريبة فرسا الزورق عند هذه القرية فوثبت للنزول إلى البر فأمسك  
 بملابسي شخص وقال لي (يا ولد الريف ياسارق) ولطمني على وجهي عدة  
 لطمات فأخذت أنفرع له وكنت أود أن أعطيه جنبها من الثلاثين التي ممي  
 ولكنه مد يده وسلب مني ملأتي وعمامتي ومنطقتي ثم انصرف فدخلت  
 القرية وسألت هل بها مصري فقيل لي ان فيها مصرياً اسمه عبد الفتاح  
 فقصدت محله فإذا هو ضابط برتبة ملازم ثان كان بحماية الحرطوم فلتقاني  
 بالاكرام وأخبرني بأن رسل الخليفة قصدت جميع الجهات في طلبي فأخرجت  
 بضع جنيهات وقلت له أدركني بشراء عشرة أروادب من الدرة لاضمها على ضفة  
 النهر وأجلس بجانبها حتى إذا أدركتني رسل الخليفة وجدتي على هذه الحال  
 فأسرع عبد الفتاح بشراء عشرة أروادب من الدرة ووضمها على شاطئ النهر  
 وجلس بجانبها وفي ضحوة الفسح بينا كنت مضطجعاً أبصرت راكبين قد  
 أناخا هجينهما بالقرب مني وبصرهما مصوب نحوى فمقلا جليهما وقصدنا

نحوي فوقفت لها وصاحتهما جلسا بين يدي بأدب ووقار فقلت لهما أأنتما قادمان من البقعة المنورة فقالا نعم فقلت لعل خليفة المهدي عليه السلام بخير فقالا نعم بخير وهو يقرأ عليك السلام فوقفت على قدمي أجلا لا لذكر الخليفة وقد طار قلبي فزعا من هذا الكلام ثم قال لي ان الخليفة يدعوك للحضور عنده فقلت ولماذا لم تخبراني بذلك قبل التحية لان أوامر الخليفة يجب انفاذها في الحال فسلاني أين نعمامتك ومنطقتك فقلت سر قهما اللصوص مني في هذا المكان فقالا وما الذي جاء بك الي هذا المكان فقلت قصدت بمض معارفنا هنا فاحسنوا علي بهذه الذرة وهما أناء مقيم لأجل حراسها ريثما تمر سفينة أحملها عليها وقصدا ذاك أم درمان فقالا اننا نريد إشغافك معنا الي أم درمان فكيف تقابل الخليفة بلا ممامة ومنعنا

فارسلت في طلب عبد الفتاح فاسرع بالحضور وقال للرسولين انه جاء الي هذا المكان بقصد أن يحصل على شيء من الذرة يناله من أولى البر والاحسان فجمع هذا القدر من الذرة وأخيراً أعطاني عبد الفتاح ممامته ومنطقته وترك الذرة وديعة عنده ريثما يجده سفينة يرسلها بها الي بام درمان ثم قنا للسفر فاردفني أحد الرسولين خلفه وغادرنا قرية (ولد الزاكي) قاصدين أم درمان وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصلناها قبيل العصر وانحنا الجلال امام باب دار التماشي الذي خرج علينا فقال له يوسف منصور هاهو عبدك ابراهيم فوزي فالتفت الي وقال الي أين ذهبت يا ابراهيم فوزي فقلت يا مولاي انني شخصت الي احدى قرى النيل الابيض لانال شيئاً من احسان أولى البر فجمعت عشرة أرادب من الذرة فلم أجده سفينة شراعية تحملني فاقت في حراسة الذرة حتى جاءني هذان الرسولان وهنا قص عليه الرسولان ما راياه من حالتي فسكن جاشه وقال من الذي أذنك بالسفر فقلت أخذت اذناً من المقدم وهو قائد عشرين

مقاتلا في ترتيب جيش الدراويش فقال لي أمثلك يكون اذنه بيد المتقدم قتل  
كلّا ولكنني اضطررت لهذا السفر بسبب ما لحقتني من الجوع وضيق العيش  
فصاح التمايشي قائلا أين القاضي أحمد علي فجيء به فقال له أسلم هذا وأشار  
إلى واحد الاصراب المواظين على الصلاة بالمسجد ليكون رقيقا عليه فاسلمني  
القاضي الى بقاري كان أول كلمة سمعتها منه قوله لي (يا ولد الريف لماذا أنت  
ضخم هكذا) فاحتيت رأسي تذلاّ له وقلت (هكذا خلقني الله) وبعد انقضاء  
صلاة العصر قال لي (يانوبي) وهي كلمة يقولها البقارة لكل انسان لم يكن  
بقاريا من جنسهم وهي تدل على ان المنادي بها رقيق الى أين تذهب فقلت  
الى منزلي فقال أذهب معك لأتشي معك فقلت لا بأس فذهب معي وتناول  
الطعام وسأعود الي ذكر بقية أخباري مع هذا البقاري الذي ظلمت أربع  
سنوات في اسره وتحت مراقبته

أما نبأ غيابي فقد وصل الى الخليفة بمدينة غياي ببضعة ايام من يوسف  
منصور الذي كان موكلا بحراستي منذ سقوط الخرطوم وهو من ضباط  
الحكومة وقد هال التمايشي امر غيابي حيث أيقن اني فررت الى الديار المصرية  
وفي مساء يوم وصولي لأم درمان أظهر التمايشي من القرح والسرور  
ما حمله على أن دعا نفاخي الابواق وعازفي الطبول فقصوا ثلاث ساعات في  
الغو والطرب ولم يخرج التمايشي لصلاة العشاء الا بعد منتصف الليل والحاصل  
أنني أنفقت في بضعة شهور نحو عشرين جنيها من الثلاثين جنيها التي كانت  
معي في سبيل مداراة الاعرابي الموكل بي ولولا ان الله لطف بي ووصلت الى  
نقود مرسله من صديق الحميم محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن لأوقعت ذلك  
الرقيب في مهاوى الهلاك وسيأتي ذكر الرسائل والله الموفق



## ذكر حرف المؤلف

ذكرت اني كنت مقبياً بجوار منزل يوسف منصور وبجوارى ضابط  
 برتبة يوزباشى اسمه على خير الدين كان بحامية سنار  
 وفي ذات يوم زارني أحد معارفى من أهالى السودان فأعطاني  
 خمسين ريالاً مجيدياً وأعطى جاري على خير الدين عشرة ريالات ثم  
 انصرف فقال لى جاري أرى اننا فى حاجة شديدة الى حرفة نرتزق منها فقلت  
 ما هى الحرفة الذى ترى اننا قادران على القيام بها فقال نفتح حانوتاً نبيع فيه  
 (القهوة) فى ساحل الموردة فقلت لأبأس وذهبنا الى ذلك الساحل واشترينا  
 بوصاً وأخشاباً واستأجرنا أناساً عاونونا على تشييد كوخ فرشناه (بالابراش)  
 وهى نوع من المحصر يصنع من الخوص وفى اليوم التالى فتحنا الحانوت وما  
 مضت ساعتان على فتحه حتى جاءنا الحاج خالد الممراني محتسب ساحل الموردة  
 وقتئذ وأمرنا بهدم الكوخ فأخذنا نتضرع له ونستعطقه فلم يجاوبنا بغير  
 الشتام القبيحة ومنها كفار يا أولاد الريف يا أسرى وأخيراً أمر أعوانه بهدم  
 الكوخ فهدموه ونهبوا أدوات القهوة وأخذوا المحصر والاشخاب ولم يتركوا  
 لنا شيئاً من البوص وكانت نفقات تشييد هذا الكوخ قد بلغت عشرين ريالاً  
 مجيدياً عدا ثمن أدوات القهوة فقلت لصاحبي على خير الدين ماذا نعمل فقال نبتعد  
 عن ساحل الموردة ونشيد كوخاً آخر نبيع فيه القهوة أيضاً فقلت ان مابقي  
 لدينا من المال لا يكفي لتشييد كوخ آخر فقال نفق مابقي عندنا من النقود  
 أما ثمن البن فقد اتفقت مع تاجر مصري يبيع البن على أن تشدين منه  
 ما يكفيكنا من البن فابتعدنا عن دائرة نفوذ الحاج خالد الممراني وشيدنا كوخاً

آخر وباشرنا بيع القهوة فيه

ولما أبصر من حولنا من الدراويش حاتوتنا صاروا يترددون علينا لشرب  
القهوة وإذا طلبنا منهم ثمنها أهانونا وضربونا وانصرفوا وبعضهم يقول لنا  
أتركوا نحن القهوة ( في شان الله ) اى لوجه الله فاذا قلنا لهم لا نتركه يضربونا  
ويقولون انكم مازلتكم كفاراً

ومكثنا نحو شهر نباشر هذه المهنة وقد بلغ ما تدانيه من التاجر عشرين  
ريالاً لم تحصل منها على اكثر من ستين قرشاً وما بقى ذهب بين ( في شان  
الله ) وبين ديون على بعض دراويش لا تقوي على مطالبتهم بسدادها لاننا  
موقوفون أننا لو ذهبنا الى مطالبتهم لقينا مانكره وربما رمونا بتهمة  
الكفر وساقونا الى موقف يستحيل عودتنا منه سالين فهدمنا الكوخ  
وبنا أخشابه وحصره وأدوات القهوة وذهبنا الى التاجر لنوفيه حقه فتنازل  
عن النصف ودفننا له النصف الآخر ثم زين لصاحبي عقله أن نحترف بمهنة  
شراء البطيخ من المزارع وبيعه فاستحضرننا ثلاثين ريالاً مجيداً جعلناها  
رأس مالنا وذهب صاحبي الى قرية ( العيلقون ) واشترى بطيخاً شحن به مركباً  
صغيرة وعاد الى أم درمان في مصر وكان ذلك في شهر رمضان فأخرجنا  
البطيخ من المركب ووضعناه على شاطئ النهر زيناً نبيعه للبيعة وذهبت الى  
منزلي وتركت صاحبي يحرس البطيخ وبينما كنت حائداً من المنزل رأيت  
موكب التمايشي ماراً فابصرت الدراويش الذين خلفه قد اختطفوا البطيخ  
وبعد ان اجتاز الموكب ذهبت الى صاحبي على خير الدين فالتفتة جاثياً على  
ركبتيه واضماً يديه على رأسه شاخصاً بعصره الى الارض ووجدت  
عنده بعض بطيخ موشم فمظم على نهب البطيخ وانكفي أخذت في

تسليته وتهوين المصيبة وما زلت به حتى أخذته وذهبنا الى منازلنا وكان التمايشي ذاهبا بموكبه الى منزل له بالقرب من هذه الجبلية وبعد ان اوصلت رفيقي الى منزله ذهبت خلف التمايشي فوجدته جالسا في المسجد فقال له أحد الحاضرين ان ابراهيم فوزي ورفيقا له كانا ييمان البطيخ فداهمهم الانصار ونهبوا البطيخ فقال (في شأن الله) ثم قال مخاطبه من هو ابراهيم فوزي كأنه لا يعرفني فوقفت بين يديه فقال هل البطيخ الذي أخذه الاخوان لك فقلت نعم فقال ومن أين لك رأس المال فقلت تدانته من بعض الناس على شرط ان يكون الربح بيننا فقال وماذا قلت لما أخذه الانصار فقلت لم أقل غير (في شأن الله وفي حب سيدنا الخليفة) فتبسم وقال أهكذا قلت مع ان رأس المال دين فقلت لم أقل غير ذلك ثم حان وقت الافطار فدخل التمايشي داره وذهبت الى منزلي للافطار أيضا ثم عدت وأنا لأشك في انه سيمطيني تدويضا فقضيت الليل حول مقصورته حتى انتهت صلاة القيام ودخل الى منزله وبعد أيام قلائل ارسل لي مع أحد خدامه أربعين ريالاً من الريال المسمى (مقبول) الذي نقدر قيمته وقتئذ بخمسة قروش

وفي اليوم التالي قال لي صاحب على خير الدين ان كثيراً من الذين يتابعون البقر والنعم يرضون ان يكتبوا عقوداً بين البائع والمشتري يضمونها أوصاف الهيمة المشتراة وان أجرة تحرير عقد بيع الراس من المزر أو الضأن قرش ومن البقر قرشان وكذا الابل فذهبت مع صاحبي الى السوق واستأجرنا مظلة من البوص وجلسنا تحتها وجاء أصحاب الماشية للبيع فاخذنا نكتب العقود فاجتمع لدينا نحو أربعين قرشاً قبل ان ينتصف النهار ثم أذن لصلاة الظهر فجاء الدراويش بالسياط وأوسوني وصاحبي ضرباً وأخذوا ما جمعناه

وقالوا اذهبوا الى الصلاة ومن المادة المنبعة عند الدراويش انهم يضربون الباعة  
وأصحاب الخوانيت بالمياط ليذهبوا لاداء الصلاة في المسجد والحقيقة انهم انما  
يفعلون ذلك لينهبوا مافي الخوانيت من السلع فسرنا مع الدراويش الى المسجد  
ونحن تلج في الضراعة ونلتمس الاحسان علينا بشيء من القروش التي أخذت  
منا وبعد اللتي والتي اعطونا خمسة قروش بعد ان اشترطوا علينا عدم مباشرة هذه  
الحرفة لما فيها من كثرة الايراد وحيث اننا مصريون وكفار بزعمهم فلا يصح  
ان نتحصل على شيء يزيد على ثمن الخبز بلا اذام  
هذا وقد استطاع صاحبي على خير الدين الحرب والالحاق بمصر بعد هذه  
الكوارث بنحو حامين



ذكر عثمان الملقب بشيخ الدين بن عبد الله التعايشي  
لما أفضت خلافة المهديوية الى التعايشي كان سن ابنه عثمان لا يتجاوز  
عشر سنين تقريبا

ولما كان التعايشي ذا طموح لجعل الملك وراثيا في آل بيته مهد كل الصعوبات  
التي تترض هذا السيل وحط من قدر انجال المهدي وسائر ذوى قرابته  
وأخذ يديرهم في مجالسه الخصوصية باتهم ذنابة أسافل لا يصلحون لشيء غير  
حراسة الابواب

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ هـ ما ابنه عثمان وعمره لا يتجاوز اذ ذاك ثلاثة  
عشر عاما وقال على رؤس الملأ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعه بلقب  
(شيخ الدين) وانه مرشح ليكون خليفة رابعا ويجلس على كرسي عثمان بن  
عفان عليه سحائب الرضوان

وبعد ان أعلن التعايشي بين أهله ترشيح ابنه عثمان للخلافة ما دافسكت  
 عن هذه المسألة ولم يتكلم عنها بعد لان اخاه يعقوب حذره من ولوج هذا  
 الباب وقال له انك ان فتحت باب الكلام في أمر الخلافة أوجبت على نفسك  
 السير على حسب ترتيب الخلفاء وإذا ذلك يجب تقديم على حلو خليفة الفاروق على  
 ابنك الذي تريد جعله خليفة لعثمان ولا يبعد ان الخليفة على حلو يحول بين الخلافة  
 وبين ابنك ويحتملها وراثة لأولاده إذا قدر له ان يخلفك فعدل التعايشي عن تولية  
 ابنه الخلافة واخذ في أسباب تناسي الناس ذكرى الخلافة واهمية الخلفاء فجلس  
 ذات يوم والناس حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم والحضر والمهدي  
 اخبروه بان لا خلافة بعده وان الملك والسلطان سيكونان بيد اقرب الناس اليه  
 وقال مرة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره بمبارة مبهمة حيث قال له انت اربعون  
 فلم يفهم معنى الاربعين أي اربعون عاماً ام اربعون شهراً أم اربعون يوماً  
 فاخذ من حوله من المتألفين في البكاء وكان ابن النجومي حاضراً فقال لماذا  
 تبكون فقالوا لقد ساءنا ان سنى حكم سيدنا اربعون سنة فقال لهم التعايشي  
 سواء كانت سنو حكمى اربعين سنة أو اربعين شهراً أو اربعين يوماً فانه لا يفتي  
 بعدي على وجه الارض مؤمن وان الساعة لم يبق عليها غير ما هو باق من أجلي  
 وفي هذه السنة أي سنة ١٣٠٥ زوج التعايشي ابنه عثمان بنت عمه  
 يعقوب وبالرغم عن التقاليد التي سنّها المهدي بتخفيض مهر البكر الى عشر دالات  
 والنيب الى خمس دالات وتحذيره من الاحتفالات في ليالى الاعراس وتوعده  
 من خالف هذه القواعد بالمقوبة الصارمة ثمّالى التعايشي في إظهار الابهة  
 في الاحتفال بقر ان ابنه حيث اقيمت الافراح وادبت نحو خمسين مأدبة  
 حضر كل واحدة نحو الالفين من المدعوين ومع بساطة الأطعمة في هذه المآدب

التي كانت قاصرة على اللحوم والتمر وبعض الخضراوات قد بلغت نفقاتها  
قدراً طائلاً من المال

وكان لحمدان أبي عنبجة دار كبيرة شيدها بالآجر والطين الاحمر فاخذها  
التمايشي وأسكن فيها ابنه عثمان ومن ثم ظهر عثمان بن التمايشي بمظهر الامارة  
وحاول أبوه ان يولييه قيادة الجيوش ويستورزه بدل أخيه يعقوب الذي اضمر  
لعثمان الكراهة وأوجس خيفة من ان يشرع أخوه التمايشي في اقصائه عن  
منصبه ويستعبد عنه بانه عثمان الذي أخذ يجاهر عمه يعقوب بالمداوة ويعيب  
أعماله ويشدد النكير عليه حتي أفضى ذلك بينهما الى مناظرات شديدة ظهر بها  
للتمايشي ان قبائل الاعراب البقارة سيما التمايشة شديدو التعلق بأخيه يعقوب  
وانهم متقادون له انقياداً أعمى وكثير من القواد صنائه وفي الحقيقة ان صفات  
يعقوب هي التي جذبت هؤلاء الاقوام وجمعت قلوبهم على ولائه والاخلاص  
له لانه كان اكرم خلقاً من أخيه التمايشي وألين جانباً منه ولشدة دهائه ونفثته  
في أساليب الخداع كان لا يباشر أحداً بسوء أما سياسة أخيه فكانت خرقاء ولذا  
كان لا يظهر بغير مظهر القوة والجرأت فامتثلت الافئدة برهبته وفزع  
من قهره ومالت الى جانب أخيه يعقوب الذي كان قابضاً على زمام أعطية الناس  
ويده ارزاقهم فن أرضاه منهم أمن غائلة أخيه التمايشي وتناول عطائه وحصل  
على رزقه وان كان من أولى الوظائف فانه بصير آمناً على وظيفته بحد ان يؤدي  
الى يعقوب ما يفترضه عليه من المال وسيأتي أن ما كان يتناول به يعقوب من  
رشا الوظائف وغيرها كان يدفعه الى أخيه التمايشي

هذا وقد يقرن التمايشي ان محاولة اقصاء يعقوب ستكون ذات  
منفعة سيئة وكان يخشى أن يهب لمناواته حيث ان القوة في جانب أخيه

كانت ارجح منها في جانبه فضلا عما يعلمه من سير ابنه الذي شب ولازم له غير  
 اللهو والتفاني في حضور ليالي الرقص وشرب الخمر مع ان المهدوية منذ ظهورها  
 شددت التنكير على الراقصات وسنت العقوبة الشديدة عليهن كالجلد بالسياط  
 وحلق الرأس ومصادرة الاموال وفي الحقيقة ان المهدوية بسنها هذه الاحكام  
 أحسنت صنعا لان مادة الرقص سيما في الاعراس من أقبح عوائد السودان  
 وأشدّها مساسا للآداب الموصية اذ يجتمع في ليلة الزفاف عدد كبير من  
 الشبان والفتيات يننون بانغام مختلفة بين ثقل ووسط وخفيف ويطنبرون  
 باصوات مزججة كأنها حشرة الصدور ثم ترقص الفتيات ومن ضمنهن  
 المروس على هذه الانغام ويحنن ظهورهن حتى تكاد رؤسهن تمس الارض  
 واجسامهن عارية ليس عليها غير الحلي وعلى عوراتهن سيور من جلد طولها  
 أقل من عشرين سنتمترا تري من خلالها عورة الراقصة وتسمى هذه  
 السيور (الرهط) ويظل الرقص والفناء مستمرا في منزل المروس مدة  
 أربعين ليلة أولاها ليلة الزفاف

هذا ولعمد الى ذكر عثمان شيخ الذين الذي طرح الوفاق وتهتك في حب  
 الراقصات ووالي السهر في ليالي الرقص وجمع حوله عددا كبيرا من المغنين المطنبرين  
 وأخذ معه يعقوب يرفع الى والده التمايشي أخبار ما يقف عليه من قبيح سيره  
 واسترساله في قضاء الشهوات وشرب الخمر ولم يترك بابا من أبواب التسلق الا  
 وجاه وبالجمل انه ظهر في مسرح الحلاعة وضروب القو ظهور المتهتكين وامسى ولازم  
 له غير اغتصاب كل بنت تعجبه والتمتع بها بضع ليال وجمع حوله عددا كبيرا  
 من الخنثين وصار الامراء وسائر الناس يخفون أولادهم عنه حيث كان  
 يأخذهم بصفة حراس وخدام له ولم يعمل أبوه لكبح جماحه ممالا

سوى أنه كان في بعض الاوقات يقبض على بعض ندمائه ويهدمهم الى جهات  
خط الاستواء

هكذا وقد مد عثمان يده الى الجبابة وامراء الجهات فكانوا يداؤونه  
بالمسدايا انقاء شره وكانوا في حيرة من أمره لان عمه يعقوب كان يحذرهم  
من إعطائه شيئاً من بيت المال

وجمع التماشي نحو أربعمائة من غلمان الاحباش الذين أخذوا أسرى في  
حروب الاحباش واركبهم الخيول الكريمة وجعلهم حراساً لابنه

وقد حمذا حذو عثمان شيخ الدين في جميع اخلاقه واطواره شبان البقارة  
الذين شبوا في أم درمان وصرت تري دور أمراءهم وقوادهم خاصة بالمنين  
والمطنبرين وانغمسوا كلهم في الترف واللغو وشرب الخمر حتي صاروا يتباهون  
بذلك ويفاخر بعضهم بعضاً بهذه المنكرات وسيأتي الكلام على الخنثيين وما  
كانوا يماثلون به في أيام المهديين ثم ماصارت اليه حالتهم من الانقلاب  
على عهد عثمان شيخ الدين واضرا به من شبان البقارة

والحاصل ان التماشي رأى ان لا مناص له من ترك أخيه يعقوب يشاطره  
النفوذ والسلطان في ملكه بالرغم عن طموحه لرفع شان ابنه وترشيحه لنيل  
الملك من بعده ويبد الله كل شيء .

### الكلام علي المخرج والجبابة والعمال

عقدنا هذا الباب لنأتي فيه على ذكر نظمات المهديين وعواندهم  
في جباية الخراج وتعيين الجبابة والعمال اذ من هذا الباب يقف القارئ على  
نظمات القوم ويعرف أساليب الخراج وتعيين الجبابة فنقول



تقسم البلاد السودانية في كيفية جباية الخراج الى قسمين. القسم الاول  
أمراء البلاد الذين لهم شبه استقلال في امارتهم ولاسلطة لأمين بيت  
المال عليهم وهؤلاء أمراء شرق السودان كعمان دقنه وأمير دنقلة عبد الرحمن  
النجومي والذين خلفوه وأمير جيش النلابات حمدان أبي دنجة ومن خلفه  
وأمير دارفور وكردفان عثمان آدم ومحمود أحمد الذي خلقه بعد وفاته وكذلك أمير  
بربر فهؤلاء الأمراء لهم شبه استقلال في أعمالهم بحيث يقتلون ويشقون في دائرة  
نفوذهم لانهم يقودون جيوشا جارية ويحكمون على عدة أقاليم ولكل واحد  
من هؤلاء الأمراء بيت مال خاص وسجن وشرطي خاص بإمارته وهو الذي  
يعين الجباة من طرفه ويشق ما يجتمع في بيت ماله على الحامية التي تحت إمرته  
وكانوا في ظاهر الحال غير مكلفين بأرسال شيء من خراج بلادهم إلى أم درمان  
ولكن الحقيقة أنهم يؤدون أكثر من نصف ما يجمعونه من الخراج إلى يتقوب  
أخي التمايشي بصفة هدايا وإذا صودرت أموال أحد الاغنياء فإن القيمة  
التي صودرت ترسل برمتها للتمايشي وأخيه وابنه وفي جميع الاحوال كان  
ما يرسل إلى الخليفة من نوع الذهب والفضة الخالصة ونوعي الريال  
المجيدى والنمساوى وإن كان الذهب أحب هذه الاصناف إلى التمايشي .  
والقسم الثاني جباة صغار يمينهم أمين بيت مال أم درمان يبلغون عشرة  
جباة كل جاب لا تتجاوز دائرة نفوذه قسما من أقسام مديرتي الخرطوم  
وسنار وهذان الاقليان هما اللذان بقيا تابعين لبيت مال أم درمان  
اما الخراج الذي يجبي فهو عبارة عن عشر الجبوب وزكاة الماشية من الغنم  
والبقر والابل حسب الفريضة الشرعية وزكاة الفطر يأخذونها قهراً من كل من  
مر بهم وليس بيده قسيمة بتوقيع أحد العمال فيقيد أنه أدى زكاة الفطر وزكاة المال

تؤخذ قسراً من التجار ومن يظن انه ذومال

هذه موارد خراج المهدوبين ومقاديرها ظاهراً ولكن الحقيقة انهم كانوا يأخذون اكثر من ثلث محصول الحبوب وهذا اذا لم يدعوا على المزكي انه شرب خمر أو استعمل دخاناً ليتوصلوا بذلك الى مصادرة أمواله كلها

ويدفع الجاني قبل تمييزه الى يعقوب الف ريال من العملة القديمة ونحو خمسمائة ريال الى أمين بيت المال ونحو خمسمائة ريال لكتابة يعقوب وبيت المال وحجاب يعقوب فاحلة ثلاثة آلاف ريال ثم تصدر الاوامر من التمايشى بتعيين أولئك الجبابة فينادرون أم درمان في شهر محرم من كل سنة ويمودون اليها في العشر الاولى من شهر ذي الحجة فيؤدي كل جاب اثني عشر الف ريال الى يعقوب ونحو خمسة آلاف أردب من التلة عدا الماشية من أنواع البقر والنعيم وعدا الركائب الجيدة من الخيول والحر الاهلية والمهجن وعدا هذا وذلك الجوارى الحسان

واذا صادر الجبابة أموال أحد الناس أرسلوا المال كله الى يعقوب والويل ثم الويل لمن اخفى ولو شيئاً فانها

وجملة القول ان ما يتناوله يعقوب كان يبلغ خمسة وعشرين الف ريال ولا يحصى الجاني عن تقديم مثل هذا القدر الى بيت المال عدا ما يرشى به أمين بيت المال فيكون المجموع نحو ستين الف ريال أما النسلال فانها لا تدخل تحت حصر لكثرتها ثم ان الجاني وكتبته واعوانه يتناولون من المال ما لا يقل عن نصف هذه القيمة عدا نفقاتهم مدة العمل حيث الاهلون مكثرون بتقديم الاغذية لهم واللف لدوابهم

ولا يفوت القارى ان ما كان يتناوله يعقوب من الرشوة كان يصل خزائن

التعاشي بحيث لا ينتفع يعقوب منه الا بالطفيف  
وكثير من كبار أمراء البقارة يرسون المال رأساً الي التعاشي بدون  
وساطة يعقوب وللأسباب التي سردناها تحولت ثروة السودان الي خزان  
التعاشي وأخيه وابنه وقبيلته ويات الاهلون يقاسون الفقر للدمع ليس  
لديهم من المال غير ما يحرثونه وليت المهدوية كانت تترك لهم من ثمار أرضهم  
ما يقوم بمخوانهم الضرورية ولا حول ولا قوة الا بالله

### ذكر المختئين

يوجد في بلاد السودان غثثون يتشبهون بالنساء في ملابسهم وربما  
سدلوا شعورهم مثلهن وهم يأوون الى اماكن المومسات ليقوموا بمهنة القيادة  
اليهن ولا تخلو بلد من بلاد السودان من مومسات اكثرهن من الجوارى  
التي يفرض عليهن موالين ضريبة يقمن بادائها في كل شهر وقد جاء في كتاب  
(السيف والنار) ذكر أولئك البنايا وموالين الذين هم وجوه أهل السودان  
واغنياؤهم ولا عيب عندهم في ارتكاب البنايا هذا الفعل الشنيع لما ان هذه  
العادة قديمة متأصلة عند أهالي السودان ولذا لا يأنفون من أخذ المشاهدة  
من هؤلاء الجوارى

ولما ظهرت المهدوية وأقيمت الحدود الشرعية على الزاني والزانية مد  
المهديون أيديهم الى البنايا فاغتصبوهن من ملاكهن بصفة سببا وبقي أمر  
المختئين على ما هو عليه حيث ظلوا قائمين بحرفهم في أمكنة التجور السرية  
وفي سنة ١٣٠٤ قبض التعاشي على مئات منهم وزجهم في ظلمات السجون  
وعذبهم بالاشغال حتى اشفروا على الهلاك ثم استلبهم وجعل عليهم حراساً

ورقباء وأسرهم بمواظبة العداوات الخس في المساجد فتركوا التشبه بالنساء وصاروا في وجل شديد ثم انه قبض على كثيرين منهم أيضا ونفاهم الى خط الاستواء فلقوا حنقهم في الطريق قبل أن يبلغوها

ولكن مالم يثنا بضع سنوات حتى رأينا لرقباء والموكلين بالخنثين قد تركوهم وشأنهم وصارنا نرى أولئك الخنثين قد عادوا الى ما كانوا فيه من التشبه بالنساء وارتداء الشمور وصار عدد ليس بقليل منهم يسكن دور عثمان شيخ الدين واضرابه من شبيبة البقارة ومنهم محمود احمد اسير وقمة ابيه وأخوه ابراهيم الحليل فتعلق الناس بالخنثين وبعد ان كانوا لا يسكنون في غير محلات الباغيات وأحياء المومسات صار مأواهم دور الامراء ومنازل القواد ولا غرو فالناس على دين ملوكهم وكان محمود احمد قد تمالي في تملقه بالخنثين الذين جمع منهم في منزله اكثر من عشرين واحدا منهم يرافقونه في الشخوص الى دارفور ويهودون معه لدى قفوله واجعا الى أم درمان

والبقارة يطلقون على الخنث اسم (عقريط) ومن ثم صار الخنثون أصحاب الكلمة النافذة عند عثمان شيخ الدين ومحمود احمد وسائر الامراء وبالجملة انهم صاروا شفعا لا ترد شفاعتهم عند عثمان وسائر الامراء حتى صار أولئك الامراء المفتونون يناظرون بعضهم بأولئك الخنثين

وقد بلغ من تقريب عثمان شيخ الدين للخنثين والانتصار لهم ان أحد الرقباء الذين كانوا موكلين بمراقبة الخنثين وكان شديد الوطأة عليهم حتى كان من أسرهم ما ذكرناه رماه بعضهم عنده بتهمة أنه يود اعادة المراقبة عليهم قبض عليه وسجنه ولم يطلقه الا بعد عتاه شديد

وبزعم أولئك الامراء انهم لم يأووا الخنثين في منازلهم الا ليوكلا اليهم

أمر تطيب نساءهم وتدريبهن على أساليب الفج والذلال لانهم على زعمهم  
أعرف من نساءهم بهذه الاشياء وهو عذر ان صح نقله عنهم أقبح من الذنب  
لانه لا يبعد أن يتمتع أولئك المختشون بالنساء ويشاطرون هؤلاء الامراء المفضلين  
الخطوة بهم كما ان العقل يستبعد سلامة أولئك الامراء من التلطيخ باوضاعهم  
الراطا أأذن الله منها

### حوادث دنقلة وقتل ابن النجومي

لم نذكر من حوادث دنقلة غير وصول عبدالرحمن النجومي وهنا نذكر  
بقية حوادثها الي سفره منها ومهلكه بهدائن اجتاز حلقا فنقول  
لما غادر عبد الرحمن النجومي ام درمان قاصدا بربر ومنها الى دنقلة كان عدد  
مقاتله سبعين ألفا ولكنه لما وصل الي بربر تفرقوا عنه ولحقوا ببلادهم  
ولم يبق معه منهم الا عشرون ألف مقاتل عدا الجهادية الذين يبلغ عددهم نحو  
عشرة آلاف مقاتل وكان قد ارسلهم من بربر الى دنقلة تحت قيادة مصطفى  
جبارة وكيل الجيش وكان قواد أولئك الجهادية آدم كرامة وسرور أباعنجة اللذين  
كانا في جنديفة المحكومة في الايام السالفة ولما وطئت أقدامها أرض دنقلة  
ورأوا أنفسهم قريين من حدود المحكومة اشتد ميلهما الي اللحاق بها  
فتشاوروا علي اضرار نار الثورة وشق عصا الطاعة على المهديين فاجتمعوا بصغار القواد  
المرؤسين بهما وتحالفوا علي أن يباغتوا الدراويش يأخذوهم على غرة وعينوا  
آدم كرامة قومنداناً عاما عليهم لقبوه بآدم (باشا) كرامة ومنحوه رتبة  
أمير اللواء ومنحوا سرور أباعنجة رتبة (أمير آلاي) وسموا لواءهم اللواء

الرابع وأحسن أمير اللواء على بقية الضباط بالرتب ومن بينهم واحد اسمه عبد الله محمد كان حائزاً لرتبة ملازم ثان من الحكومة الحديوية منحه رتبة الملازم فاستاء من ذلك وعده إهانة كبرى لشخصه ولكنه لم يخبرهم باستيائه . على أنه لو أخبرهم بما داخله من الغيظ لمنحوه ما يشتميه من الرتب ولكنه سكت فقالوا سكوتهم رضاه

وأجمع آدم كرامة وأخوانه على الوثبة على الدراويش في النلس ورسوموا كيفية الهجوم وانصرفوا الى منازلهم على ان يجتمعوا في وقت عينوه ولكن لم يتم لهم ما اردوا فقد ذهب عبد الله محمد الى مصطفى جباريه واخبره بما دبره الجهادية فقمص الجند وجمع حوله ألفاً وخمسمائة فارس وارسل خمسمائة مقاتل قبضوا على آدم كرامة وسرور أبي عنجة وبعد ان سئلوا فأنكروا استشهاد بعبد الله محمد الذي قال لها انكما دبرتما كيت وكيت ثم ضربت اعناقهما وأعناق نحو عشرين من التواد الذين معهم وأرسل مصطفى جباريه يخبر عبد الرحمن النجوى بهذه الحادثة وكان عبد الرحمن ينفذه فأتخذ هذه المسألة ذريعة الى الانتقام منه فكتب الى التمايشي يبري الجهادية بما رماهم به مصطفى جباريه وادعى انه ماقتلهم الا قصد سيء فرد التمايشي على عبد الرحمن النجوى قائلاً ان الحضرة النبوية أخبرته بصحة ما قاله مصطفى جباريه وان ما فعله لم يكن عن سوء قصد كما قال عبد الرحمن النجوى الذي غادر بربر على أثر هذه الحادثة ولحق بدقلة وتكاملت جيوشه بها

هذا وقد أُلغنا الى ان النجوى كان من حزب الخليفة شريف الذي كان التمايشي يسمى في تلاشي أسرهم واضمحلاله وقد كان من أسر النجوى انه رغب عن الخليفة شريف واحتقره ومال الى التمايشي الذي قابل ميله بالتور وعده

خيانة توجب الازدراء بمرتكبها وكان ابن النجومي ذا بساطة فطرية مع به فلم يظن لهفوته هذه وبقي منزلاً للتعايشي  
وبعد أن وصل ابن النجومي الى دنقلة انتدب التعايشي مساعد قيدوم  
البقاري في بضعة آلاف مقاتل كلهم من البقارة وارسله الى دنقلة ليكون  
وكيلاً لمبد الرحمن النجومي

ولما وصل مساعد الى دنقلة زاره النجومي ذات يوم بمنزله فقدم له  
شراباً من المسلدس له فيه زرنيتاً فتناول منه النجومي جانباً فابتدأت فيه  
اعراض التسمم ولزم داره واشتدت به العلة حتى اشرف على الهلاك  
وبعد مدة عوفي وزال عنه الخطر واشتد النفور بينه وبين مساعد الذي كان  
يطالب أمين بيت المال بنقعات باهظة تمدل نفقات الجيش كله فشكاه ابن النجومي  
الى التعايشي الذي كان لا يجاوبه بشير العبارات المهمة مثل أنت قائد  
الجيش ومساعد اثماً هو وكيلا والامر مشترك بينكما فاستحكم النفور بين  
مساعد وابن النجومي حتى خيف انتشار الحرب بينهما وتفرقت كلمتهما وصار  
كل واحد منهما يستعرض جنوده على حدة

وفي ابان ذلك نفي الى ابن النجومي ان السير غرانفيل باشا سردار الجيش  
المصري ينوي الهجوم على معسكر الدراويش في جنوب حلفا وهو معسكر  
( صرص ) فارسل يبلغ التعايشي الخبر ويستأذنه في التقدم الى صرص فكتب  
له التعايشي يقول انك لن تزال في دور النفاة فابيت مساعداً بجميع فرسان  
الجيش وهم زهاء ثلاثة آلاف فارس فانفذ النجومي مساعداً الى صرص  
فالتقي قبل وصوله اليها بجواسيس المهديونية قادمين من حلفا فاخبروه بان  
السير غرانفيل معه قوة كبيرة وانه ربما كن لكم في الطريق قارتاع مساعد وكان

جباناً وعديداً ثم تقدم الى صرص فلقية جواسيس أخر اخبروه بمثل ماخبره به الاولون فترك الجيش وعاد الى دقلة واستخلف أحد أقاربه على الجيش فتابع سيره الى صرص ولم يصادف كيداً في طريقه ثم قفل راجعاً الى دقلة ولم يلتق بالجيش المصرية التي قصدت صحراء (المرات) لاكتشاف آبارها

وفي سنة ١٣٠٥ استدعى التمايشي عبد الرحمن النجومي الى أم درمان واكثر من تأنيبه وتحقيره أمام الملائح حتى قال له انتك رجل مغفل لا تصلح للولاية على اسرأتك وأولادك فضلاً عن ولايتك على جيش جرار ولقد ذكرنا فيما مضى ان ابن النجومي كان من أعظم قواد المهدي الذين لهم عنده اكبر منزلة وقد كتب اليه مرات عديدة يقول ان الحضرة النبوية تقرأ عليك السلام وقال له يوم سقوط الخرطوم مفسراً للآية الشريفة (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) ان الذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور الذي ذكرنا خبر قتله في واقعة (الجريف) وان الذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي فانظر كيف كانت منزلة عبد الرحمن بن النجومي عند المهدي وكيف سقطت الي الحضيض عند التمايشي الذي أنبأت أفعاله انه لم يكن مصداقاً بشيء من دعوى المهدي وتغرصاته وانه كان واقعاً على كنهه اكاذيبه بل كان مشاركاً له في وضعها واختلاقها

ثم أعيد ابن النجومي الى دقلة في أواخر سنة ١٣٠٥ وأمر باخذ الالهبة لتفتح مصرف دخلت عليه سنة ١٣٠٦ ولم يتقدم اليها بل أخذ في بماطلة التمايشي وود الاستقالة من عمله

وفي أواسط سنة ١٣٠٦ فشحت الجحاعة في السودان واشتدت وطأتها



على أهل دنقلة فأصدر التمايشي أمراً بمنزل ابن النجومي وتبيين يونس الدكيم  
التمايشي بدله وأمر يونس المذكور بإكرام ابن النجومي على مفادرة دنقلة  
لفتح مصر

هذا وقد كان من الاسباب التي بعثت التمايشي لافاد عبد الرحمن النجومي  
الى فتح مصر أن بعض الجغافة سكان مديرية أسوان كانوا يبحثون الكتب  
تباعا الى التمايشي يظهرون فيها ولاءهم له وانهم ينتظرون بفروغ صبر تقدم  
جيش المهدوية الى بلادهم وانهم سيلة ونة في عدد عظيم من المقاتلة وقد همون  
له ما يحتاجه من الاقوات وتغشى المجاعة في السودان كله مع ما ظهر له من ان  
الاهلين يودون الخلاص من ظلمه سبياً وقد تفرقت دراويشه من حوله  
وأسيى وليس معه منهم في أم درمان اكثر من بضعة آلاف فأشار عليه  
بعضهم بانفاذ جيش ابن النجومي الى حدود مصر ليظهر من الضعف قوة  
ومن جهة أخرى كان هلاك جيش النجومي مما يسمي اليه التمايشي لانه كما  
تقدم لنا من القول كان من حزب الخليفة شريف وكان ابن النجومي بعد ان هاد  
من أم درمان قد عاوده المرض وانتكست صحته فكتب يونس الدكيم الى  
التمايشي يخبره بان ابن النجومي ملازم للقراش وان حالته منذرة بالخطر فاجابه  
بان يحمله على نفس ويسيروا به امام الجيش لان الحضرة النبوية اخبرته بان  
فتح مصر سيكون على يده فدخل ابن النجومي على نفس سيروه امام الجيش  
كانه تابوت بني اسرائيل وشخص من دنقلة ومعه اثنا عشر الف مقاتل  
وعشرون الفا من النساء والصبيان وأعطى لكل مقاتل من مقاتله كيلتين  
من الذرة وهو قادر لا يكفيه بضعة أيام  
ولما اقتربت الدراويش من حدود الحكومة عند مكان اسمه (ارغين)

هاجمته الحامية هجوما عنيفاً فسقط في ساحة القتال نحو نصف مقاتليه الذين صاروا لشدة فتك المجاعة بهم كغنم تساق الى الذبح

ومن المضحك ان أحد قبيلة السكنوز الذين كانوا مع ابن النجومي أرسل كتابا الي بعض أقاربه في أم درمان قبل مذبحه (أرغين) جاء فيه ما يأتي  
انني ذبحت فرسي في هذه الليلة وتمشيت من لحما أنا ومن ممي  
وادخرت الباقي للتزود به حيث صرنا على مقربة من حدود الكفار واما  
قريب يأتيكم بأفتح مصر اه فالنظر هذه النباوة واغجب لسخانة عقل من  
تمشى من لحم فرسه وتزود بالباقي كيف يفتح مصر

وبعد واقعة (أرغين) سار ابن النجومي بجيشه حتى التقى بالسير غراقليل  
باشا قائد الجيش في (طوشكي) حيث قتل ابن النجومي وتمزق جيشه  
كل ممزق

ولما كانت هذه الواقعة معلومة عند المصريين وقد وقفوا على تفاصيلها  
فلا حاجة لاراد شيء عنها زيادة عن هذا  
اما تأثير هذا الخذلان على التماشي فكان سيئاً وامكنه اظهر عدم  
الاكثرات به

### ذكر زواج المؤلف باحدى نساء التعايشي

بعد أن أسلخني التماشي للبقاري الذي وكل اليه مراقبتي في الصلاة  
ببضعة شهور جلس في محراب المسجد بعد اداء صلاة الظهر وأخذ يكلم الناس  
بامور زعم انه أخبره بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن جلتها انه قال لهم سيقاظر  
كذاب يدعى انه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وان أوصافه

كيت وكيت فقال لمن حوله ان ذلك الكذاب مصري وكنت مصنيا لاقواله  
 فسمعته يقول انه أبض اللون قصير القامة ضخم الجثة مستدير الوجه فقال  
 لي بعض الحضور سرا يمازحني ان هذه الاوصاف تنطبق عليك فداخنتي  
 وجل شديد وقلت في نفسي رب واش أبلغ هذا الطاغية عني أنني مز مع  
 على ادعاء هذه الاكذوبة وانه قال مقاتله هذه ليمهد بها طريقا للقبض عليّ  
 والايقاع بي . فتجنيت من موقعي وجلست في المسجد واستندت ظهري  
 الي حائط وأنا غارق في بحار الافكار فسمعت مناديا يقول يا فوزى فعلت  
 ان التماسي يدعوني فذهب عقلي وقت وأنا لأشك في تحقق ما وقع في روحي  
 واني مدعو الآن للتكيسل بي فشيت مسرعا حتى بلغت متصورة التماسي  
 فلما رأيته قام على قدميه وخرج منها وأمسك يدي ومشينا الى باب داره فقال  
 الناس لا ريب ان الذي أمسكه الخليفة هو الذي قال عنه انه سيدي ان المسيح  
 عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلامه

ولما وصلنا عند الباب وقف معي وقال مخاطبا لي يا فوزى فقلت نعم  
 يا سيدي خليفة المهدي عليه السلام فقال اني أريد ان أزوجه امرأة مؤدبة  
 مهيبة حسنة التربية حسنة الخلق متديعة متورعة وهي احدي نسائي فقلت له  
 يا سيدي انني متزوج فقال اليس لك زوجة واحدة فقلت بلى فقال وما المانع من  
 ان يكون لك ثلاث زوجات أو أربع فقلت لا مانع سوى أنني فقير مدقع وليس  
 لي كسب يماوتي على القيام بواجبات زوجتين فقال لا تلتفت الى ذلك لان الله  
 متكفل بارزاق العباد ثم قال لي ما قولك قلت انا لا أرغب عما يختاره لي مولاى  
 فقال بارك الله لك فيها ثم قال لي لا تخبر أحدا بشيء من هذا الحديث ثم  
 تركني ودخل منزله فتكاثر الناس على يسألوني فكنت أصرفهم بالجملة

وأقول لهم لم يقل لي الخليفة شيئاً تخشى مغيبته

وبعد بضعة أيام استدعاني التمايشي إلى داره فوجدته جالسا ومعه  
 القاضي أحمد علي وقاضيان آخران وبمدان قبلت يده أمرني بالجلوس  
 جلست على الأرض بجانب هؤلاء الثلاثة ثم قال لاحد غلمانہ أحضر الطعام  
 فجاء بقصعة مملوءة بخبر الذرة ادامها من الطبخ الذي يصنع من البامية  
 الجففة (الويكه) وعلى وجه القصعة خمس قطع من اللحم يبلغ وزن القطعة  
 منها رطلا فتناول التمايشي قطعة منها وقال خذ هذه يافوزي ثم دفع لكل  
 واحد من القضاة الثلاثة قطعة وأبقي لنفسه قطعة فامسكت قطعتي بيدي  
 اليمنى ونهشت جزءاً منها فوجدتها غير ناضجة وعلمت انها من لحم الابل  
 فامسكتها بيدي اليسرى واخذت أكل بيدي اليمنى ولما فرغنا من الأكل وجدت  
 ملاسي ملوثة بالطبخ فصاح بي التمايشي ماهذه القطعة التي تحملها يافوزي  
 فقلت له اني اكلت منها كفايتي واريد أن حمل الباقي إلى آل بيتي ليتبركوا بقطعة  
 اللحم التي صنعت في بيت مولاي وناولني إياها بيده الشريفة فقبسم والتفت إلى  
 القضاة وقال لهم لا ريب أن فوزي صار من خيرة انصار المهدي وأنه نبذ  
 الرقاهية ولم يلتفت إلى شيء من الدنيا والتفت إلى وبلغ في الثناء على ثم  
 تناول من القضاة ما بأيديهم من قطع اللحم وضمها إلى قطعتي وناولني الا ربع  
 قطع وقال اذهب بها إلى آل بيتك فحملها في جيتي وخرجت من الدار  
 حتى اذا صرت في طريق خالية من المارين طرحت اللحم من جيتي على الأرض  
 وذهبت إلى منزلي واخبرتهم بما اتفق لي فاخذوا الجبة وغسلوها ومكثت  
 حتى خفت إذ لم يكن لي غيرها ثم لبستها وذهبت إلى المسجد

وكان للتمايشي منزل في الجهة الجنوبية لام درمان عند حصن الحكومة

القديم فركب اليه ذات يوم بعد الظهر واستدعاني بعد وصوله اليه فقال اني  
 ذاهب الي معسكر خارج المدينة وقد أسرت الخليفة على حلو بمباشرة عقد  
 زواجك بالمرأة التي أخبرتك بأمرها وقد أسرت الحصيان ان يتقلوها الى  
 دارك في هذه الليلة فشكرته ودعوت له وبعد غروب الشمس أرسل الخليفة  
 على خلوصيا الى داخل الحرم لیسأل المرأة عن توكله فماد قائلا له انت وكيها  
 وكنت انظر ان تجري صيغة المقد طبق الشرع فلم يفعل الخليفة على شيئا غير  
 انه رفع يديه وقرأ فاتحة الكتاب ثم قال لي بارك الله لك فيها وانصرف فدهشت  
 لهذا المقد الذي لم يكن فيه ايجاب ولا قبول ولا ذكر للمهر البتة ثم قال لي احد  
 الحصيان أرسل حمالين لحمل متاع السيدة فاحضرت عشرة حمالين ليحملوا  
 متاعها ولما اخرجوه اذا هو عبارة عن (عنقرب) وحصير من الخوص (برش)  
 وصندوق من الخشب فيه ملاءتان من القماش فتعجبت من هذا المتاع وانصرفت  
 مع حمال واحد حمله وقصدنا منزلي

على اني اقول انني كنت خائفا من هذه الزوجة حاسبا لها الف حساب اذ  
 كنت اظن انها ستكون عينا للخليفة في بيتي ورقيا على أعمال في داخل منزلي  
 ولذا أسرت آل منزلي باخراج الدخان الذي أستعمله سرا في منزلي وايداعه بمنزلي  
 احد أصدقائي وبعد هنية جاءت العروس راكبة على حمار التمايشي يحيط  
 بها خصيان وبعد دخولها في الدار استدعيت اربعة من جيران المصريين وقد رنا  
 المهر وجدنا عقد النكاح بما يطابق الشرع الشريف سرا

وقد اتفق ان منزلي كان في تلك الليلة خلوا من الطعام فقدم لي احد جيران  
 المصريين أطباقا مملوءة اداما وخبزا من الذرة فقدمته للخصيين فامتثما من  
 الاكل حيث كانا يريدان عطية من الدراهم التي لم أكن املك منها شيئا اعطيهما اياه

فتأما وشماني وقال ( يا ولد الريف ) اعلم ان هذه السيدة كانت حرم خليفة  
المهدي فافتح دينك هكذا وحلقت بأصبعيها الإبهام والسبابة إشارة إلى الريال  
فكنت أجوابهما بأنني عارف بذلك ومقدر هذه النعمة حق قدرها وأخيراً  
انصرفا غاضبين وبعد نصف الليل دخلت منزلي كائنني أساق إلى الموت  
لشدة ما تولاني من الفزع من هذه الزوجة التي مكثت معي بضعة أيام  
لم أعرف شيئاً من أسرها ومعلمتي لها كانت بالحذر الشديد ولم أسألها عن  
عائلتها ولا عن بلدها

وفي ذات يوم جلست لتناول الطعام معها وكان ردياً من خبز الذرة وإدامه  
من ورق اللوبية فرأيت الدموع تتساقط من عينيها فقلت لها ماذا يبكيك  
فاشارت إلى الطعام قائلة أما ترى هذا الطعام فقلت لها هذا طعام انصار  
المهدي فغتمتها العبرة ورفعت صوتها قائلة لمن الله المهدي وخليفته  
الظالمين الباغين أليساهما اللذان هتكا عرضي وقتلا أهلي وسلبا نعمتي فاندعشت  
من كلامها ورفعت هي صوتها بالمويل والنحيب اللذين فتأكبدى فسألتهما  
من هم أهلك وأين كان مقامك فقالت أنا بنت حسن أنا أرناؤد وكان مقامي  
في الخرطوم فنجبت من ذكرها هذا الاسم لأنني أعرف أباهما وأنه  
تركي من قواد الأتراك في الخرطوم استوطن بها وصار من وجهائها  
وكان له ابن اسمه علي كان موظفاً معي في خط الاستواء بوظيفة سامية فقلت  
لها ثم ماذا صار فقالت من يوم سقوط الخرطوم إلى هذه الساعة ماريت أهلي  
ولأعلم هل هم أحياء أو أموات فداخلى الريب في أسرها وظننت أنها كاذبة  
في دعواها حيث أنني أعرف والدها وأخاها ومعلمها من الوجهة وأعرف أن  
من أهلها من هم على قيد الحياة ومن حسن الحظ أنهم كانوا يسكنون بالقرب

منا فارسلت اليهم في الحال فجاءوا وما وقع نظرهم عليها حتى عاتقوها وارفعت  
أصواتهم بالبكاء والنحيب ثم قصوا عليّ حديثها وأنها أخذت منهم مسيبة بعد  
سقوط الخرطوم فلم يقفوا لها على أثر ولم يلبسوا إلى أين طوحت بها المقادير  
وقد قالت هي أنها أخذت إلى بيت الطاغية التماشي وما زالت فيه حتى أراد  
الله خلاصها منه وقد رزقت منها بنت وهي في عصمتي إلى الآن

على انني كنت اخاف مستقبلا ربما كان مما يزيد في شقائي ويضاعف على  
أنواع الدل وعذاب الاسر حيث انه كان لي كما تقدم زوجة غيرها وكنت أخشي  
ان يتسع نطاق الحلف بينهما بسبب النفرة فاقع بينهما في شقاء لا يذكر في  
جانبه ما أنا واقع فيه من شظف العيش وذل الاسر الذي سيأتى وصف كثير من  
ضروبه ولكن الله من فضله كفاني ما مكنت اغشاه اذ صارت زوجتي  
كأبها أختان لا أثر للنفرة عندهما ولا م لها غير تخفيف ويلات حزني وتسليّة  
خاطري من الاكدار التي تساورني فكانتا تقضيان النهار وشطراً من الليل  
في خياطة بعض الملابس للدراويش بأجرة طفيفة

وقد كانت حالتي المعيشية تقتل من ردى إلى أردأ حتى سجت ومع  
ذلك بقيتا على ما كانتا عليه من الصفاء والوفاء إلى أن من الله عليّ بالخروج من  
السجن الذي سيأتي الكلام عليه في مكانه

### ذكر الميرالاي حسن البنساوي بك

كان الميرالاي حسن البنساوي بك ميرالاي اللواء المصري الخامس  
وأصله ضابط مصري قضى من عمره زهاء عشرين سنة في السودان وكان  
لواؤه قائماً بحراسة الخندق الجنوبي جهة المكان الذي دخل منه المدويوم

سقوط المدينة وقد شرحنا كيفية دخوله وان الذين اطلما المهدي على عورات  
 الخندق هما الصنجان الخائنات عمر ابراهيم والمطالدود ولم نعلم شيئاً  
 يدعو الى اتهم الميرالاي حسن بك الهنساوى بأنه تواطأ مع المهدي على انخال  
 دراويشه من جهة الخندق الجنوبي اذ يستحيل وقوع مثل ذلك من مثل حسن  
 بك الهنساوى حيث هو من خلاصة من صدقوا في ولاء الحكومة

وبعد سقوط المدينة وقع حسن بك في الاسر وعذب عذاباً شديداً  
 وصودرت أمواله وأخذت بنته مسبية وقدمها أمين بيت المال للمهدي وكانت  
 له زوجة هي بنت رجل من مشاهير التجار اسمه عبد السلام أصله من  
 مدينة حلب قدم السودان مشغلاً بالتجارة فأثرى وكنت أنا متزوجاً بابنتها  
 فاخذنا مسبيتين وماتت زوجتي غماً بعد ايام قلائل مضت بعد أخذها

وقد ذهبت يوماً مع حسن بك الهنساوى الى المهدي وكنائه في أمر  
 زوجتنا فامر أحد نوابه بردتيك الزوجتين فشكرناه وانصرفنا من حضرته  
 وما كدنا نخرج من باب الدار حتى استدنا جماعة من الدراويش الذين  
 اغتصبوا هاتين المرأتين بالضرب والاهانة وتوعدونا بما نخشاه اذا عدنا الى  
 الشكوى فانصرفنا واقنعنا النائب باستخالة رد المرأتين ثم ذهب الى المهدي  
 وكله بما جري لنا فلم يكن لكلامه أثر ومكث الهنساوى بك في الاسر  
 زهاء سنة ثم فر الى بلاد الحبشة ماشياً على قدميه وما بلغها الا بعد ان نادت روحه  
 ترهق لشدة ما ناله من المشقة ثم غادر بلاد الحبشة ولحق بمصر وعلى أثر  
 وصوله سمعنا خبراً ادهشنا وهو أن الحكومة اتهمت حسن بك الهنساوى  
 بالخيانة وأنه ادخا الدراويش مدينة الخرطوم في حين اننا نعلم الحقيقة دون  
 السكثيرين وقد كان الطبيب الذكركر غردون باشا الى الساعة الاخيرة من



اجتماعنا يقولون ان عورات الخندق لا بد ان يكون المهدي عليها من عمر ابراهيم والعلماء الدود وأنهما هما اللذان اطمأنا في الهجوم على الخرطوم بعد ان كان يتأهب للتمهق الى كردفان على أثر ما أصاب دراويشه من الهزيمة والانكسار في واقعة (أبو طليح)

وبعد ان سقطت الخرطوم ووقفنا في الاسر تحققتنا من نفس قواد المهدي ومستشاريه انهم كانوا على وشك الزحف الى كردفان لو لم يقيض الله عمر ابراهيم والعلماء الدود لاطلاعهم على عورات المدينة. وجملة القول ان حسن بك البهناوي براء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وقد ظهرت براءته امام المجلس العسكري المالي الذي عقد لها كته وكفى بذلك حجة على ان الذين رموه بالخيانة كانوا ذوي قصد سيء به

وقد يحار الانسان من اقدام الحكومة على محاكمة البهناوي بك مع أنها عاملت كثيرا من الخوان الذين لا يختلف اثنان في صحة ما نسب اليهم من الخيانة بالاعزاز والاكرام حتى أنها قد اغدقت النماء على عمر ابراهيم ولم تترك وسيلة لاسترضائه الا فعلتها وقد أعجز الناس فهم مقاصدها ولم يفسره كثير من السودانيين الا بأنه من كرامات المهدي الذي تكافىء الحكومة الذين صدقوا في ولائه ولقد قال لي واحد من السودانيين انظر الى عمل حكومتكم كيف تصنع الجليل مع الذين ادوا خدما جلية للمهدي مما يدل على صدق مديته وكيف عاملتكم انتم الذين بقيتم على ولائها وناوآتم المهدي فأغفني هذا القائل ولم أحر جوابا أقنعه به لاني لم أفتحه كنه مقاصدها فلعلها أقصي نظرا مني

على ان الحكومة التي هدمت قبة المهدي لتفضي على الاعتقاد بمهديته

قد أحسنت معاملة جميع الذين والوه ولم تقم ببعض من كل للذين والوها  
وبهذا التصرف القريب مهدت كرامة جديدة للمهدي يتمسك بها السفهاء  
الذين يقولون ان جثة المهدي رقت الى السماء من قبره قبل أن ينشئ ببضع  
سنوات وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر ما لقيه المؤلف في مقابلته بعض الأمراء

من أنواع الذل التي قاسيناها وضروب الاهانة التي كنا نعامل بها من  
أتباع المهدي ما أورده هنا

وذلك اني كنت ذات يوم ماشيا مع يوسف منصور في الخرطوم فررنا بمنزل  
أحد أتباع المهدي المسمى الحاج خالد العمراني الذي أصله من تجار الأبيض  
فدعاني يوسف منصور للدخول إليه لاجل زيارته فدخلنا عليه فأنقذه  
جالسا على فروة فقام واقفا على قدميه واستقبل يوسف منصور بكل  
احترام وفرش له فروة أيضا أجلسه عليها فتقدمت للسلام عليه فانهرنى وقال لي  
اجلس هناك وأشار بيده الى أقصى مكان منه فجلست على الأرض فجاء  
بالقهوة فقدمها للغلام الى يوسف منصور فقال له قدمها لتعوزي فقال له الحاج  
خالد ولما إذا تقدمه الى نفسك فقال لانه ضابط عظيم وكان ضابطاً علي ولأنه  
عزيز قوم يجب اكرامه فقال كان عزيز قوم كفرة وأنت سيده وأفضل منه  
وهو رفيق بل من يخرج من صلبه من الاولاد أرقاء الى يوم القيامة وانه  
كافر يجب على كل مؤمن ومؤمنة اهانة واحتقاره واظهار كراهيته فقلت له  
يا سيدي الحاج خالد اذا كنت كافراً فنيا مضي من عمري فقد أسلمت على يد  
المهدي فأجاني بالشتم وقال بل لا تزال كافراً يحل بيمك واسترقاؤك أنت

وأولادك فقال له يوسف منصور مهلاً أن هذا الكلام غير لائق بك وإن  
 المهدي عليه السلام أوصانا بمراعاة الأسرى وعدم كسر خاطرهم واشتد  
 اللجاج بينهما فمقت من بينهما وانصرفت لسبيل  
 ومن النوادر المضحكة أنني كنت يوماً بمحضرة محمد بن البصير الحلاوي  
 داعية المهدي في (الحلاوين) وكان معي أيضاً يوسف منصور فقال ابن البصير إن  
 أصحاب المهدي أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك  
 أن نبي الله الحضر شرب من هذه (الركوة) وهي إناء يصنع من الجلد ولم  
 يشرب من ركوة أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا إلى تلك  
 الركوة وقبلناها وضمنناها إلى صدورنا ووضعناها على رؤسنا الخاسا لبركتها  
 فقلت لأحد الحاضرين هل أنت مصدق بهذه لا كذوبة فالتفت إلي وقال  
 يزعم التماسي أن الحضر جاسوس له وهذا يقول أنه شرب من ركوة ونحن  
 نقول لهما صدقنا مادامنا لا نقدر على تكذيبهما ثم قال لي وهل نستطيع  
 تكذيبهما لو ادعيا على جبريل أمين الوحي بأضعاف ما ادعياه على الحضر فقلت  
 وإني لنا القدرة على تكذيبهما فقال قبل وضع واسكت والسلام

### ذكر نفي عبد القادر بن أم مريوم

ذكرنا ماجري بين عبد القادر بن أم مريوم والمأسوف عليه غردون باشا  
 ولما أفضت خلافة المهديين إلى عبد الله التماسي قرب إليه عبد القادر  
 المذكور وأدخله في عداد النواب الذين يماونون القاضي في نظر القضاة  
 التي ترفع إليه مع بقائه في وظيفة قائد لرب (الكلالة) الذين هم أقاربه  
 فازداد نفوذه بين أولئك الاعراب حتي صاروا يحكمونه فيما شجر بينهم

وكانوا يقصدون داره زرافات لهذا النرض ويقدمون له الهدايا وكانت أخباره  
تصل الى التمايشي الذي كان يكره تزلف الناس الى غيره فيغض الطرف عنها  
ولا يبدي لبس القادر شيأ يكرهه

وفي ذات يوم جاء رجل يحمل البريد للتمايشي من احدي الجهات  
فقال له عبد القادر سلني المظروف الذي باسم التمايشي لاسلمه له فدفعه له  
فاخذه وذهب الى المسجد ووضعه أمامه مما يلي مقصورة التمايشي حتى اذا  
فرغ من الصلاة ناوله له فتركه وذهب الى منزله بعد ان قضيت الصلاة فعر  
به احد حراس الخليفة وقرأ عنوانه وسلمه له فاستغرب التمايشي وجود ذلك  
المظروف فاستدعى الذي جاء به فاخبره ان عبد القادر بن أم مريوم استلمه منه  
ليدفعه اليه فاستاء من ذلك ولم يكشف عبد القادر بشئ من أمر المظروف  
ولكنه أعرض عنه كل الاعراض واقصاه من قربه فبعد عبد القادر الى طريقته  
يستجلب بها رضي التمايشي فاشار عليه احد اصدقائه بتقديم ابنته هدية للخليفة  
فقدمها له وكانت بارعة في الجمال فالت حظوة عظيمة عند التمايشي ففرج  
من منزله واستدعى عبد القادر واثى عليه وزاد في تقريبه والاحتفاء به بما أدهش  
الناس اذ لم يكونوا عالمين بسبب الجفاء والابعاد الاولين كما انهم كانوا يجهلون  
اسباب هذا التقريب العجائى ولكن ظهرت الحقيقة بعد ايام قلائل وصار  
عبد القادر بن أم مريوم أقرب مقربى الخليفة الذي آس هو منه شدة الميل الى  
قضاء شهواته من التفتيات الحسان فاخبره بوجود فتاة جميلة هي بنت رجل من  
أهالي (الكلاكله) أقاربه فارسله الى ذويها يطلبها منهم فبعثوا بها اليه فראה  
جمالها ولكنه لما اقترب منها وجد خفاضها ليس على طريق خفاض النساء  
في السودان فسألها عن سبب ذلك فقالت ان عبد القادر بن أم مريوم أشار

على أهلها ان يملوا بها هذا العمل فاحتدم التماشي غيظاً وخرج من غرفته ليلاً وأمر عشرة من رجاله أن يحضروا قطعة من جلد بقر فيء ويقبضوا على عبد القادر ويضعوا قطعة الجلد على عينيه ويتركوها عليها حتى تجف ويلقوا يديه ويسافروا به الى الايض عاصمة كردفان واعطاهم أمرا الى عامل كردفان باستلام عبد القادر منهم وزجه في السجن فذهب الرجال الى منزله ليلاً وهدجوا عليه بصورة مزعجة وساقوه من بين أهله واولاده وانفذوا ما اشار به التماشي وسافروا به ليلاً قاصدين كردفان واصبح الخبر شائفاً في المدينة والناس لا يملكون ان يذهب به الذين قبضوا عليه وخرج التماشي علينا لعلة الظهر والغضب ظاهر على وجهه والشر يقدر من عينيه وبمداقضاء الصلاة عاد فدخل الى منزله ولم يتكلم بشيء يختص بابن أم مريوم ولا بغيره ثم لم يلبث السكوت ولم يتكلم بشيء ماعن هذه المسألة وبعد نحو ثمانية عشر شهرا جاء عبد القادر بن أم مريوم الذي ظل في سجن كردفان وعيناه معصوبتان لا يعرف في أى بلد هو ثم بعد ثمانية أشهر أمر التماشي بازالة الجلد عن عينيه فازيل واكنه مكث اياما لا تبصر عيناه شيأ ومكث بعد ذلك نحو عشرة شهور في سجن كردفان ثم اعيد الي ام درمان وأطلق سراحه ولم يمهده التماشي الى سابق قره

ولما اعاد التماشي عبد القادر بن أم مريوم اعاده بيته مزعجة حيث بلغت اغفاره منتهى الطول وشعر رأسه وجليته يكاد يستر جسده وكان مسجوناً في غرفة ليس فيها غير نافذة صغيرة يناولونه الماء والخبز منها ومن أكان ظالماً ساط عليه



## ذكر قصتي المراتين

المرأتان هما حمّة عبد المولى صابون أمير الجهادية وشقيق حمدان أبي عنجة.  
وقصة الاولى هي انها كانت امرأة أحد صناعي الشايكية ولها منه بنت ذات  
جمال بارع أخذها المهديون سبية فأعطاهم التمايشي لعبد المولى صابون الذي  
تفاني في حبها وأقبل عليها وترك نساءه ولم يلتفت اليهن

وفي سنة ١٣٠٥ أصيب عبد المولى صابون بداء الجدّام ولزم الفراش  
فخرج التمايشي عليه اذ كانت يحبه وأخذ يتردد على داره ليموده فاعتنم نساؤه  
فرصة وجود التمايشي عنده للايقاع بالمرأة التي حازت منزلة عند سيدها اكثر  
منهن حيث تركن كما قلنا ولم يلتفت اليهن فاجتمعن وقلن للتمايشي ان مرض  
عبد المولى صابون مسبب من كثرة أعمال السحر والشعوذة التي تعملها له المرأة  
الشايكية للاستئثار بحبته فصدقهن التمايشي لانه كان يعتقد السحر والشعوذة  
ويخاف على نفسه كثيرا منهما فسأل المرأة فانكرت وقالت انها لا تخرج من  
دارها وأني لها بالدجالين والمشعوذين الذين يملكون هذه الاعمال فلم يصدقها  
وعزم على القبض عليها فالح عليه زوجها وتضرع له ان يتركها فقبيل له ان  
إما هي التي تذهب الى خارج الدار وتروح الى الدجالين فاستنطقها فانكرت  
وقالت له انني لم أصنع شيئا من الاسحار والشعوذة ألبتة فقال لها ولماذا  
أصيب عبد المولى بهذا المرض اليس ذلك نتيجة أعمالك السحرية وأمر بقطع  
يدها فقطعت وتوفيت بعد بضعة ليال

ولشدة جبن التمايشي خاف على نفسه من مثل ما أصيب به عبد المولى  
معتقدا ان ذلك المرض لا يحدث الا من الشعوذة والاسحار وكانت له حمّة من

أهل دارفور بنّها من نسائه الأول وقد رزقت منه بولد وكان يمنع أقارب  
 نسائه من رؤيتهن حتى ان المرأة كانت تظل عامين أو ثلاثة لا يؤذن لها بالدخول في  
 بيته لرؤية بنّها وكان خصيان التمايشي يعظمون هذه المرأة ويكرهونها نظرا  
 لاحفادها أولاد التمايشي ولذا كانوا يدخلونها خلسة لرؤية بنّها وفي ذات يوم  
 رأها التمايشي لابسة تمائم كالألف عادة نساء السودان اللواتي يلبسن  
 أحجية كبيرة فامر بالقبض عليها وتمزيق أحجيتها التي جعل يتأمل فيها كأنه  
 يقرأ ما فيها بادية عليه علامات الدهشة والاستغراب وبعد أن أمر بسجنها  
 نفاهها الى خط الاستواء فمات جوعا في الطريق وعاقب الخصيان أشد  
 العقاب وقطع يد الذي اذن لها منهم في الدخول فتأمل

### ذكر رسالة محمد ماهر باشا للمؤلف

كنت قد عرفت محمد ماهر باشا محافظ القاهرة الآن منذ كنا تلميذين في  
 المدارس واتصلت المحبة بيننا من ذلك العهد  
 ولما وليت على مديريات خط الاستواء كان هو وكيلًا لبراوت بك  
 الامريكاني الذي كان حاكمًا على تلك الاقاليم قبلي. وفي أوائل سنة ١٣٠٦  
 أمر التمايشي بهدم منزلي ومنازل جيراني لتوسيع ماردة أم درمان فوقمت  
 في حيرة شديدة لما كنت فيه من الاعسار وزيادة علي ذلك اتني كرهت المقام  
 بجوار يوسف منصور فزمت على الإقامة بجوار السوق في حي المسلمين  
 واستكنني كنت غير قادر على انفاذ هذا العزم لما كنت فيه من الفقر المدقع  
 وبينما أنا في هذه الشدة طرقت باب دارني طارق بعد العشاء فسألته عن اسمه  
 فلم يجابني فداخلى الخوف وظننت أنه جاسوس وامتنعت من فتح الباب له

وأخيراً خفض صوته وقال لي اني آت اليك برضالة من مصر فطار عتلي ولم أشك في أنه عين عليّ فانهرت من داخل الباب وقلت له اذهب أيها الكاذب فاسرع الرجل بالانصراف خوفاً على نفسه أيضاً وبت ليلي وأنا خائف أترقب وفي ضحوة الفد جلست أمام بابي فجاءني رجل بزي التجار المصريين فسلم عليّ وقال لي انني جئتك البارحة لأدفع لك نقوداً وكتاباً من أخ لك في أسوان فقلت له اني أخاف أن تكون عيناً عليّ فإن كنت صادقاً فأقسم لي علي المصحف الشريف أنك صادق فيما تقول وانك لست بجاسوس فخلف لي علي المصحف فاطمأنت وسكن روعي ثم دفع الي كتاباً نقصضت خلافه فرأيت فيه توقيع محمد ماهر باشا فقرأته فاذا فيه السؤال عن صحتي وانه مرسل اليّ بأربعين جنبها انكليزيا ورجاني أن أخبره عن كل ما يلمني ثم دفع اليّ الرسول الاربعين جنبها فأحببت مكاناته باعطائه خمسة جنيهات فلم يقبل وقال لي ان الذي أرجوه منك هو أن تكتب لي كتاباً الي أخيك محمد ماهر محافظ أسوان بانني أسلمت اليك الاربعين جنبها تامة لتظهر أمانتي عنده فوعده بذلك ثم انصرف وعاد اليّ في المساء بهدية من السكر والصابون والبن والملابس فكتبت له الكتاب بما أراد وأودعته ذكر الهدية التي قدسها لي الرجل من نفسه. فجزى الله عنى الشهم الهمام محمد ماهر باشا خير الجزاء وبلته مأموله في الدنيا والآخرة آمين

وعلى اثر ذلك ذهبت الي حيّ المسلمين وبنت فيه منزلاً انفتحت عليه اكثر من مائة ريال فذهب يوسف منصور وأخبر الخليفة بانني سكنت في حي المسلمين وطلب منه اخلاءه عن المسؤولية اذا فورت فاستدعاني التماشي وأمرني بالعودة الي جوار يوسف منصور فبعت المنزل بربع قيمته



وعدت الى جوار يوسف المذكور

ومن الحوادث التي اتفقت لي بعد عودتي انه كان لي ابن اسمه محمد ولد بعد سقوط الخرطوم ببضعة شهور وكان عمره وقتئذ ثلاث سنوات وكان يراني اختبئ في قمر بيتي وأدخن السجائر وفي ذات يوم أخذ الورق الذي ألف فيه الدخان وقعد امام المنزل ولف فيه وملا على هيئة السجائر وانفق ان حسن ابن حسين أمير المصريين جاء لزيارتي وكان شديد التعلق بالمهدوية لكنه كان يحب بني جلدته المصريين ويفار عليهم ويدفع عنهم كثيراً من المصائب فخرجت للقاءه فرأى ابني محمداً وبين يديه سجائر الرمل فسأله قائلاً ما هذه يا بني فقال له انا أبي يصنع مثل هذه ويشعلها بالنار فيخرج الدخان من انفه وفيه قطن حسن حسين اكلامه وادرك اني أدخن في منزلي فقال لي ذلك وانتهرت ابني فقال لي أأذهب الى داخل البيت وآتي بالسجائر التي تدخنها فاسكتته حسن حسين والثقت الي يحذرنى من وخامة المراقبة اذا شاع عني ذلك ولم يثنني منه أقل مكروه لانه كان كما قدمنا مصر يا لا يرضى لقومه ان ينالهم سوء من المهدوية بالرغم عن تعلقه بها وبعد انصراف الزائر أمسكت النعلام وأوجعته ضرباً كيلا يعود الى مثلها

### ذكر مسألة الشيخ محمد عبد الماجد وصلبه

كان في أحد أحياء أم درمان القريبة من سوقها رجل من اهالي مديرية بربر وكان ذا تدين وورع وكان ناقداً على المهدوية منكر آكل أموالها وكان الخليفة كما تقدم قد حذر الناس من الاجتماع لجمعة أو جماعة في غير مسجده وكان الشيخ محمد عبد الماجد ملازماً لمنزله منقطعاً عن شهود الجمعة مع المهديين

وجامعهم وكان حيرانه وجلهم مصريون يجتمعون في منزله فيصلي بهم جماعة ثم يخطبهم ويبين لهم فساد دعوي المهدوية وخالفه مدعيها للشرعية المهدية القراء حتى أفتى بوجوب قتال هذه الفئة الضالة فنبى خبره الى التماسي الذي أرسل اثنين من خاصته حضرا مجلسه وسمعا ما يقوله وعادا اليه فاخبراه به فأرسل اليه مائة رجل قبضوا عليه وعلى جارين له احدهما مصري وطرحوه في السجن وكان الوقت ليلا وفي الغد عقد مجلس اجتمع فيه القضاة كلهم برئاسة الخليفة على حلو وقدم الرجل وجاراه للاستنطاق وكان المجلس هائلا اذ كانت القضاة والرئيس محاطين بألوف من الفرسان والمشاة والسيوف مسلوطة على رؤسهم فلم يهب الشيخ محمد عبد الماجد هذا المنظر الهائل بل جلس ثابت الجنان ولما سئل اعترف بكل ما اسند اليه من التهم وسردها معززة بالأدلة الشرعية وقال لهم هذا هو الحق واتم في ضلال وأنا أدعوكم الى التوبة والعدول عنه أما صاحباه فانكرا انهما يرفانه وادعيا ان ليس بينهما وبينه علاقة وهما في ذلك صادقان اذ أحدهما لم يكن ساكنا في هذا الحي بل جاء لزيارة الثاني الذي هو تاجر مشغول بتجارته لاعلاقة له مع هذا الرجل الذي أغم من في المجلس بادلته حتى احتدم من فيه بالنيظ والحنق عليه فأمروا بالرجل وصاحبيه ان يصلبا فسيقوا يحيط بهم بضعة آلاف رجل حتي قدموا الى المشنقة فصاب الشيخ محمد عبد الماجد الذي كان من أمره انه لما اقترب من المشنقة صعد الى الكرسي ساكن الجلاش وفاه بكلام يدل على انه آثر الموت دفاعاً عن الحق وانتصاراً للملة الخيفية فرحمه الله رحمة واسعة واكرمه بكرامة الشهادة أما صاحباه وهما عبيد الحيد حسن ومحمد نور فأعيدا الى السجن وعوفا من الصلب

## ذكر تشييد قبة المهدي

سردنا كثيراً من أعمال التماشي بعد وفاة سلفه المهدي ولما كان بعضها يدل دلالة صريحة على أنه إنما كان يظهر اعتقاد دعوي المهدي حرساً على سلطانه الذي ورثه من وراء هذه الدعوى ويدل على ذلك أنه صادر أموال أقارب المهدي واضطهد أولاده وصار يحقرهم في مجالسه الخصوصية ويميزهم بأنهم ذقليون لا يصلحون الحراسة الابواب والاشتغال بمهنة ملاحاة السفن وتداولت الاسن هذه الاقوال وعدها الناس دليلاً ساطعاً على أنه لم يكن مصداقاً بالمهدي وإنما كان يرادى الناس عزم على تشييد قبة على قبر المهدي ليبرهن للناس على عكس ما خال صدورهم فكلف مهندساً مصرياً اسمه اسماعيل افندي فوضع رسماً لهذه القبة ذا أربع زوايا يبلغ طول كل زاوية منها سبعة عشر ذراعاً وجعل عرض الاساس اكثر من مترين وبمسد رفع البناء نحو خمسة امتار جعلوه مشنائم مستديراً وفي يوم وضع الاساس اقيم احتفال كبير وذبجت البدن والثيران والحرفان وقدمت الاطعمة للالوف من الحاضرين وامسك التماشي بيده معولاً وبدأ بحفر الاساس

أما الاحجار فانهم كانوا يجلبونها من اتقاض منازل الخراطوم التي كانوا يهدمونها ومن اتقاض ديوان الحكمندارية والمديرية والارصفة التي على ضفة نهر المرقن وأتقاض ما هدم من الكنيسة الكاثوليكية. وجميع البنائين الذين بنوها مصريون أما القلة فهم متطوعون من الدراويش والامراء وكان البنائون يقعون اياماً عديدة في العمل ولا يمتطون شيئاً ما وفي بعض الايام جلس التماشي وكلم من حوله قائلاً ان الذين يباشرون بناء قبة المهدي في الحقيقة هم الملائكة اما الذين

تروهم من البنائين والله فلا عمل لهم في الحقيقة بل هم متحركون بإرادة  
 الملائكة قتال المهندس اسماعيل أفندي للبنائين أسمعتهم ما قاله الخليفة فتالوا  
 بلى فقال لهم ان الخليفة اعتبركم ملائكة في الحقيقة وهذا الاعتبار هو الذي  
 حال دون اعطائكم شيئاً من الاجرة لان الملائكة في غنى عن الطعام والشراب  
 الذين من كان منزلها فيها لا يمطي شيئاً من أجرته فضحكوا وتمجبوا من  
 وقاحة الخليفة وبعد سنة تم تشييد القبة ووضعت في داخلها المصابيح وفُرشت  
 بالابسة وأحيط القبر بمقصورة من النحاس ووضع عليه تابوت من الخشب  
 صنمه نجارون مصريون ووضع على التابوت كسوة من الجوخ وثرىات من  
 الفضة والذهب وصار الناس يقصدونها للزيارة في كل يوم

### ذكر المجاعة في سنتي ١٢٠٦ و ١٢٠٧

لما كانت هذه المجاعة قد لحقت السودان كله وكانت أسبابها مختلفة رأينا  
 ان نذكر تأثيرها في كل إقليم على حدة مبتدئين بذكرها في أم درمان فنقول

#### المجاعة في أم درمان والجزيرة

من عادة أهل الجزيرة انهم يخزنون محصولاتهم من الذرة اتقاء  
 شر الجاعات التي تتاب البلاد بسبب انحباس المطر عنهم  
 وقد ذكرنا ان التمايشي لما أصدر الاوامر لأهل الجزيرة بمناذرتها  
 وسكني أم درمان عادوا الى بلادهم فوجدوا المخزون من محصولاتهم قد نهبه  
 الجهادية وفي سنة ١٣٠٦ لم تجد السماء عليهم بمطر فانتدب التمايشي ابراهيم  
 عدلان أمين بيت المال ومعه عشرة من الامناء ووجههم الى الجزيرة لاغتصاب

ما يابدي الاهلين من الحبوب وأخيرا أصدر التماشي أمره بمصادرة  
 نصفها وترك النصف الآخر لهم فارتفع ثمن الذرة حتى بلغ ثمن الاردب  
 منه أربعين ريالاً عبيداً أي نحو سبع جنيهات انكليزية واقتال ابراهيم عدلان  
 ومن معه من المندوبين عشرة آلاف أردب تقدر قيمتها بأربعمائة ألف ريال  
 وكانت بلاد المييد الواقعة جنوب الخرطوم قد هطل فيها المطر بكثرة  
 فخرج التجار اليها لطلب الفلال منها فأصدر التماشي أمراً باخذ نصف جميع  
 الفلال التي تجلب من خارج أم درمان بسعر ست ريات من الريال المسمي المقبول  
 تباع لأقاربه التماشة الذين تقدم لنا ذكر وصولهم لام درمان فارتفعت الاسعار  
 وعز وجود القوت وهلك أهالي القرى الواقعة جنوب سنار وبادوا حتى  
 صرنا ندخل القرية فلا نجد فيها دياراً والناس أموات على أسرة نومهم  
 وداخل حجراتهم هم وأولادهم ولم تصب كردفان بشيء من هذا القحط اذ كانوا  
 أمطروا بمطر غزير أحيى موات الارض وأبنت الزرع فسرع التجار  
 اليها ليجلبوا فقلتها كما هرعوا الي بلاد المييد وكان ثمن الاردب من دخن كردفان  
 لا يتجاوز ريالين ولكن لا توجد جمال للحمل وانى توجد وقد قصصنا عليك  
 فيما تقدم ما حاق بالابل والقبائل الرحالة فكانت أجرة حمل الاردب من كردفان  
 الى أم درمان أخذ نصفه ثم كانت النتيجة صعود الاسعار في (كردفان وفشوده)  
 اللتين هرع الناس اليهما لطلب الاقوات منهما واشتدت وطأة المجاعة وقصصنا عليك  
 ويلاتها وزاد الطين بلة تفشي الطاعون البقري في ماشية السودان تفشي مريعاً  
 حتى هلك جل البقر ولم يبق منه في انحاء السودان كله الا شيء قليل  
 جداً فارتفعت أسعار اللحوم وساءت الاحوال وفي أواخر السنة هطلت الامطار  
 فتعالم الناس خيراً وجات الارض بمحصول وافر ولكن قبل اوان الحصاد

ببضعة أسابيع نزل الجراد على المحصول فأنتم به ولم يبق منه شيئاً  
ودخلت سنة ١٣٠٧ والمجاعة لا تزال في أم درمان والجزيرة ولكن الاسعار  
هبطت الى النصف حيث بيع الاردب بعشرين ريالاً مجيداً وليس لذلك من  
سبب غير فناء الناس ويقول الحيريون ان الذين هلكوا بالمجاعة لا يتقصون  
عن ثلاثة أرباع السكان

### المجاعة في اقليم بربر

ذكرنا ماكان من أمر هنزل محمد الخير عن بربر وتولية عثمان الديك عليها  
وفي أوائل سنة ١٣٠٦ حين بدأ القحط بام درمان والجزيرة أصدر  
العثماني مشوراً بمنع ارسال الاقوات الى بربر وتوعد من حملها اليها بالقتل ووضع  
حراساً على ضفة النهر لمنع السفن التي تحاول الوصول الى شمال أم درمان  
ثم أصدر أمراً الى عثمان الديك حاكم بربر يثب الرجال في انحاء البلاد لاتلطف  
الزروع قبل استوائه قلع الزرع وطوله نحو شبرين وبعد ذلك أمر بقطع  
السبل ومنع أهالي بربر من مفادرة ديارهم وخطب على المنبر خطبة عدد  
فيها سيئات الجليلين سكان ذلك الاقليم ولم يترك وصية الا نسبها اليهم وقال  
انهم اغتالوا المال يوم فتح بربر ولما أرسل لهم المهدي المنشورات وأمرهم برد  
مافلوه من الثنائم كادوا يتورون على المهدي ويخرجون عن طاعته وكان  
الانكليز وقتئذ زاحفين على (بربر وابوطليح) ثم أمر أن لا يترك زرع لهؤلاء  
النافقين وأن يحجر عليهم ليموتوا جوعاً في بلادهم فنفذت اوامره وهلك  
الجليون وماتوا في مضاجع نومهم ولم ينج منهم الا نحو المشر وبلغ ثمن الكيلة  
من الذرة عشرين ريالاً وقد القوت بالكيلة

### المجاعة في دنقلا

اما المجاعة في دنقلا فمن أهم أسبابها انخفاض النيل في تلك الديرة لان ري مزارعها مثل ري اطيان صعيد مصر يتوقف على زيادة النيل وزد على ذلك ان المهدوية منذ حلولها في دنقلا حافت على النفوس وصادرت الاموال وبلغ ثمن الكيلة من الذرة عشرين ريالاً ولكن ساعد على تخفيف وطأة المجاعة وجود القمح بكثرة في دنقلا من محاصيل النخيل

### المجاعة في كسلة

ذكرنا ان التمايشي فصل مديرية كسلة عن سلطنة عمان دنقلا وولى عليها قريبه حامدين على الذي حكمها بصرامة وصادر أموال قبائلها وقطع السبل عليهم فهلكت القبائل ونزح اكثرها الى بلاد الحبشة وهلكت قبيلة المسندوة التي كان عدد نفوسها نحو مليون نسمة . وبما يجب ذكره هنا ان حامدين على أرسل الى التمايشي نحو مائتي ألف ريال عدا الذهب والفضة اللذين سلّهما من الاهلين

### المجاعة في القصارف

ذكرنا القصارف وخصوبة تربتها وكثرة حاصلاتها ولما تفشت المجاعة في السودان في أوائل سنة ١٣٠٦ لم تكن وطأة القحط شديدة على تلك الجهة وفي بداية سنة ١٣٠٧ زحف الزاكي حامل من القلايات بمد ان تركها حامية لا تتجاوز ألف مقاتل الى القصارف ووزع جنده في القرى فأنهبوا ما بأيدي الناس من الللال وجمعوا في بيت المال وأمر أن لا يباع الا ردب منها الا بمائتي ريال

فهلك الناس واكلوا الميتة والجلود واكل بعضهم أولادهم وقد حكى لى من كان بالقضارف وقتشد ان احدى نساء الامراء توفيت بشنة وكانت ضخمة الجلثة فتآمر أناس ممن عرفوها ونبشوا قبرها فى الليل وقطعوا لحمها وانضجوه فى القدور واكلوه قبل ان يسفر الفجر وفى القدر وجد القبر منبوشا ففتشوا المنازل فوجدوا فيها لحوم الآدميين وعظامهم مما يدل على ان أهالى القضارف كانوا يقتاتون بلحوم بعضهم ولذلك لم يعرف من نبش قبر تلك المرأة

ولم ينبج من مغالب المجاعة فى القضارف غير أولى اليسار ولقد رأيت فى ام درمان رجلا من اهل القضارف متسولا وقد كان رأس مال تجارته لا يقل عن مائة الف ريال وكان له نحو اللى مملوك يشتغلون بحراثة أراضيه الواسعة فذهب رأس ماله وأراضيه ومماليكه فى شراء الفلة حتى خرج من تلك السنة لا يملك شروى نقيير. والحاصل ان القضارف لم يبق فيها من السكان اكثر من بضعة آلاف نسمة وهلكت قبيلة (الضباينة) ايضا وهي قبيلة رحالة كبيرة تفوق قبيلة الشكرية التى تقدم ذكر فنائها ماشية ونفوسا

وأما كردفان فقد قلنا ان المطر هطل فيها بكثرة فرويت ارضها ونبتت حاصلاتها من الجراد وبالرغم عن ذلك كله وقعت فى المجاعة لان الثمايشي جمع اكثر من عشرة آلاف فارس من أقاربه وانفذهم اليها فنزلوا القرى ونهبوا ما بأيدي سكانها من الجبوب وفجحوا ماشيتهم فارتفعت أسعار الجبوب وفشت المجاعة فى البلاد حتى تجاوز ثمن الارذب عشرين ريالا أما مظالم المهديوية فى كردفان فحدث عنها ولا حرج اذ قد تجاوزت حد المقول وبعد ان كان أهاليها اغني أهالى السودان لان الصبغ وريش النعام من اكثر محصولات بلادهم صاروا فى نهاية القتر المدقع وخربت قري عديدة



وهجرها سكانها ولحقوا بالجلال التي حوالى كردفان وسكنوا بها لیسعدوا عن  
المهدوبين وظلمهم الفاحش

وأما دارفور فقد اجتاحت الحروب بلادها وفشى القحط فى أرجائها  
وخربت بلادها ونزح أكثر سكانها الى الجهات الغربية واستوطنوها ومنهم  
من اعتصم بالجلال ولحق بها. والخلاصة ان البلاد السودانية كلها قد عصت  
بناب القحط وحل الحراب والدمار محل الممار حتى صارت تلك البلاد كلها  
ينطبق عليها قول الشاعر

أمسى غلام وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد  
وليس لذلك من سبب سوى قصد التمايشى حلول هذه المصائب بأهالى  
تلك البلاد ليضمهم ويأمن عاقبة ثورتهم عليه فانه لو لم يرسل الجماهير  
ويوزع اليهم بنهب محمولات الجزيرة لما وصل حال المجاعة الى الدرجة التي  
وصفناها لان أهالى السودان يخزنون الغلال بكثرة حتى ان الواحد منهم ليخزن  
فى السنة غلة تقوم بقوته عدة سنوات آتقاء شر المجاعات التي تقتابهم فى  
أكثر السنين وقد علمت ان مجاعة الجزيرة لم تصل الى الحد الذى تقدم لنا  
ذكره الا بعد ان صودرت غلات أهلها ومجاعات بربر لم يقصد بها التمايشى  
غير هلاك أهلها وكذلك مجاعات كسله والقضارف قد علمت أسبابها وكل  
ذلك لم يقصد به التمايشى الا اضعاف الالهين فانه لما أحس بامتصاصهم منه  
وخشى عاقبة ثورتهم عليه لم يغير سياسته الموجاء التي أوجبت امتصاصهم  
منه بل عمد الى اهلاكهم وفنائهم ليصبح آمناً على مركزه وببيت مطمئناً على  
ملكه فصار مثله مثل اليوم يسر بالحراب أكثر من العمران

ونقل لى ثقة أن احد مقربى التمايشى قال له يوما ان الكلب اذا جاع

لزم سيده فقال له التمايشي ان قتل الكلب وعو أثره من الارض خير من اجاعته وكان قصد ذلك المقرب من كلامه أن يصادر التمايشي غلات رعاياه فتكون فتيحة ذلك الجوع فاجابه بان موتهم خير من هذه الطريقة أما ما اصاب المؤلف من هذه المجاعة فانه يفوق الوصف فن ذلك أني ذهبت يوما الى دور البقارة لانتقاط الحبوب المبعثرة حول اسطبلات الخيول وبعد ان جمعت نحو مدين منها جاءني اعرابي فاخذه مني فيست من الحياة وكدت أهلك انا واولادي لو لم تصل الي تقود رسالة من صديق الوفي محمد ماهر باشا محافظ مصر الآن اذ بها امكنت أن اخلص من غالب المجاعة الاولى حتى دخلت سنة ١٣٠٧ وهبطت أسعار القوت الى النصف والذين استطاعوا الخروج من هذه السنة من أولي اليسار لم يخرجوا الا فقراء لا يملكون شروى تغير أما الفقراء فقد ماتوا رحمة الله عليهم

وقد نك التمايشي كثيرا من اقاربه البقارة لأراضى التي مات اهلها في سني المجاعة فانطلقت ايديهم في البلاد بالسلب والنهب وما بقي في ايدي الاهلين من مواد الحياة اصبح عرضة لعبث البقارة ومع ذلك كله كانوا نافرين عليه غير راضين باحكامه حتى أنهم كانوا يمنون الى ديارهم ويودون العودة اليها

### ذكر فرار الغزالي وقتله

الغزالي بن احمد خوف زعيم قبيلة التمايشه وكان ذا ثروة واسعة من الماشية ونفوذ عظيم في قبيلته وكان فارسا صنديدا تهابه القبائل وتسي بأسه الاعداء

ولما استقدم التمايشى قبيلة التمايشة ليشدها عضده وعند زعيمها  
الغزالي بان بجملة وزيره وبذلك تمكن من استمالته  
وكان الغزالي بعد وصوله أم درمان يستنجر التمايشى الوعد فلا يجد منه  
غير المماطلة والتسويق وكان من سياسة التمايشى ان يسند الوظائف الى  
ضمناء البقارة وزعائنهم ممن تؤمن غائلته لا الى من يكون فارسا قوى الشكيمة  
مثل الغزالي خوفا من استمالته الناس بقوته وحزمه

ولما يش الغزالي من نيل ما تنوق نفسه اليه من الرئاسة وشاهد مظلما  
التمايشى وسوء تصرفه وطن عزمه على الفرار من أم درمان والحقا ببلاد  
التمايشة في دارفور حيث يلحق بالذين تخلقوا عن مرافقته الى أم درمان من  
قبيلته وكان يظن ان اكثر قومه الذين جاؤا معه يرافقونه ولا يتقاعدون عنه  
ولكن خاب ظنه ولم يبقه الا أحد مواليه وابن أخته فنادر الثلاثة أم درمان في  
أول الليل وساروا متجهين الى جهة الغرب وفي التند نجي خبرهم الى عبد الله  
التمايشى فامر نحو سبعمائة رجل ان يتأثروهم ويهدم مسيرة بضع ليال ادركوهم في  
الطريق وقد بلغوا جهة يقال لها (كجدر) بالقرب من بلاد كردفان الشمالية  
فوقف الغزالي وقفه من لا يحسب للدوت حسابا وأطلق على رجال التمايشى  
النيران من بندقيته حتى طرأ عليها خلل أوقف متابعه الاطلاق فامتشق  
حسامه حتى أحاطت به الخيل وقتلوه وحملوا رأسه الى التمايشى اما رفاقه  
فقد وقعا أسيرين وقتل القوم راجعين الى أم درمان ، وقد ساء وقع هذه  
الفاجعة في قلوب التمايشة واشتد حنقهم على عبد الله التمايشى وسيأتى ذكر  
شيء من نتائج هذه المسألة

هذا وقد تقدم لنا ان نحو النصف من قبيلة التمايشة كرهوا ان يرجعوا

الى أم درمان فسادروا ديارهم ولحقوا ببلاد ( ونداي ) ولولم يغتر النزالى  
بسراب وعود التمايشي ويجب دعونه لما جاء الى أم درمان أحد من قبيلة التمايشي  
التي كان يحيا شؤما وويل على البلاد وعلى كل حال فان النزالى ذهب كما ذهب  
غيره من الذين ساعدوا المهديونية وماونوا المهدي وخليفته على المظالم ولا غرو  
فن أمان ظلما سلب عليه

وكان يعقوب شقيق التمايشي يضمر السوء للنزالى ويخاف على مركزه  
منه لزماعته على قبيلة التمايشة ولذا سعى بينه وبين أخيه التمايشي حتى أوقع  
الثرة بينهما لينام مطمئنا في منصبه الذي كان حريصا على بقائه فيه

### ذكر صلب ابراهيم عدلان أمين بيت المال

ذكرنا ما كان من أمر عزل أحمد سليمان أمين بيت المال واستناد منصبه الى

ابراهيم عدلان الذي كان صنيعة وأحد احواله في بيت المال

ولما مات المهدي وظهر ما يضمره التمايشي لأحمد سليمان مال ابراهيم  
عدلان عنه وصار يشي به عند التمايشي حتى بواه منصبه وقربه منه وصيره  
من ذوى شؤواه فاستخدم هذا المنصب وجمع بسببه أموالا طائلة وقد أشرنا  
الى ما اغتاله من التلأل في سنة المجاعة الاولى والحاصل انه أصبح ذا ثروة  
كبيرة تمتد بمئات الالوف وتمكن الثرور منه حتى صار ينازع يعقوب  
في النفوذ ويسعى به عند أخيه التمايشي الذي كان يشدهش من جرأته  
ويخفي تأثره من وقاحته التي دفعته الى منازعة أخيه وقد آيت ابراهيم المذكور  
جالسا بمحضرة يعقوب غير مكترث به ولا جاث على ركبتيه كما يفعله  
الدرأويش

وصار إبراهيم المذكور ذاق عظيم وشاد لنفسه داراً واسعة ملاها بالمخيمات من الفتيات الحسان وجمع حوله عدداً كبيراً من النملان وتغالي في اظهار الابهة وتمحادي في التروور حتى حسده القريب والبعيد واكثروا من السماية به عند التمايشي وتأن يعقوب في طليعة أولئك الواشين

وفي أواخر سنة ١٣٠٥ قبض عليه التمايشي وزجه في السجن وصادر ما ظهر من أمواله حيث لم يهتد الى جميعها ثم أطلقه وأعادته الى منصبه

وفي جمادي الثانية سنة ١٣٠٦ فددت الاقوات التي كان إبراهيم عدلان صادرها من أهالي الجزيرة كما ذكرناه فيما تقدم ثم دخلت سنة ١٣٠٧ وقد اتهم الجراد محصولات البلاد قبل زمن الحصاد وقتل ورود النلة الى أم درمان حيث لم يجد الحباة محصولاً جديداً يأخذونه ليت المال وهلك الناس من مجاعة السنة الماضية ولم يبق غير أولي الثروة الذين نفذ منظم ثروتهم ولم يبق لديهم من المحصول غير قليل من الذرة استبقوه لقوتهم وأصبح التمايشي عاجزاً عن تقديم الاقوات الى أقاربه البقارة فعزم على مصادرة ثلاثة ارباع ما بقى من الفلال في ايدي أهل الجزيرة فاستدعي إبراهيم عدلان وعرض عليه انفاذ هذا الامر فامتنع من قبوله وقال للتمايشي ان ما بقى بايدي الاهلين لا يقوم بحاجتهم وان مصادرة هذا القدر منهم ضربة قاضية على من في الجزيرة من السكان فاجابه هكذا أضرت وعليك ان تسافر بنفسك لانفاذ هذا الامر فامتنع وغادر أم درمان وأقام بالجزيرة زهاء ثلاثة أشهر فتكت في خلالها المجاعة فتكا ذريماً بالتمارة وظل التمايشي ينتظر من وقت لآخر مجيء الاقوات من إبراهيم عدلان الذي لم يوافه بشيء ما وأخيراً عاد الى أم درمان وطلق ينجبر التمايشي بما استعقب المجاعة من تدمير البلاد وهلاك

السكان ظنا منه ان هذه الاقوال تكون اعظم شفيع له لدي التمايشي الذي كان لا يجهل صدق قوله ولكنه لما كان يقصد خراب البلاد وهلاك سكانها أظهر تكذبه واستدعى القضاة فاستنطقوا ابراهيم عدلان عن سبب عدم ارساله النبال من الجزيرة فاعتذر لهم بما تقدم فاستدعى التمايشي رجلا اسمه (أحمد السني) من عمال بيت المال فتمهد له باعضرار النبال من الجزيرة فزوده بالاموال وذهب اليها وبعد ايام قلائل أرسل له السفن مملوءة بالنبال ويحيى فيما بعد ذكر بقية أخبار أحمد السني وما آل اليه أمره من الرئاسة على الجزيرة كلها ولا يميزب عن القاري انه قام بانفاذ رغبة التمايشي حيث صادر ما بقى بيد الاهلين من اسباب الحياة . على ان امتناع ابراهيم عدلان من انفاذ ما أراداه التمايشي عاد بفائدة هي قرب موسم الزراعة حيث كان ما بيد الناس من النبال يقوم ببعض ضرورياتهم ديثا يحيى زمن هطول الامطار ثم ان التمايشي قبض على ابراهيم وكبله بالحديد وفي التمدد شكل مجلسا لحاكمه تحت رئاسة الخليفة على حاله فحكم عليه بالاعدام شنقا ونفذ ذلك الحكم بعد ساعتين من صدوره

وابراهيم عدلان هذا أصله من قبيلة حقيرة في الجزيرة اسمها (الحوالة) وأمه من قبيلة تسكن (ولد مدني) يقال لها (المدنيين) وكان يغير في كردفان بأموال بعض تجار الاسرائيليين المصريين ثم لحق بالمهدى حينما حاصر الايض ومن ثم اصطلحه احمد سليمان أمين بيت المال وولل اليه بيع الاوقاف والمماشية التي لبيت المال ثم جوزي كما جوزى سنار وسيلاني ان أحمد السني سعي بابراهيم عدلان عند التمايشي فكان من أمره ما كان

ذكر بقية اخبار ابراهيم عدلان ومسألة مصادر العاج  
لما أتى التنايشي القبض على ابراهيم عدلان انتدب الزاكي عثمان  
البقاري واحمد دى أحد كتبه لمراجعة دفاتر بيت المال وابداء رأيهم في أعماله  
فقبضوا على كاتب أسرار ابراهيم عدلان وأودعوه السجن وقتشوا بيته فوجدوا  
ضمن أوراقه وريقة فيها رسم من نوع الرسوم التي يسميها جماعة المشوذين  
(الافاق) أو (الحواتم) مكتوباً فيها « الملك عبد الله » أي التنايشي  
وفيها أيضاً اسم ابراهيم عدلان فاستنتجوا من ذلك ان تلك الورقة صنعت  
لاستماله قلب التنايشي لمحبة ابراهيم عدلان فمرضت تلك الورقة ضمن  
أوجه الاتهام التي اتهم بها ابراهيم المذكور فقال قضاة الجمل والظلم ما يأتي  
« ان تسمية الخليفة بالملك تدل على ان فاعلها غير مصدق بالمهدية ومن كان كذلك  
فهو كافر ودمه هدر وماله وأولاده غنيمة للمسلمين »

ومنذ استوات المهدوية على أقاليم بحر النزال وخط الاستواء صار عملها  
يجلبون لها العاج وفي آخر عهد ابراهيم عدلان جاءت ارسالية من العاج  
فاصدر التنايشي أمراً ببيعها من التجار الذين أذن لهم بحملها الي سواكن  
ليبيعها هناك فغلب ابراهيم عدلان في تقدير قيمتها حتي انه كان يبيعها  
للتجار بنصفها وبشرهم في الربح وأثبت كاتب أسراراه انه أعطى أحد أولئك  
التجار أربعة آلاف ريال وكتب صكاً بينهما على أن يكون رأس المال ديناً  
على التاجر والارباح مناصفة بينهما فاشترى التاجر بالاربعة آلاف ريال عاجاً  
من بيت المال تقدر قيمته الحقيقية بمائة آلاف ريال فمقد التنايشي مجلساً  
من القضاة وقال لهم انه لم يأذن لابراهيم عدلان في بيع العاج وقد باعوه وأثق

ثمّنه في مصارف بيت المال العامة مع ان العاج فيء والفيء من نصيبه الخاص به واستدعى أعوان بيت المال ووجههم على ما فعله رئيسهم ابراهيم عدلان فلم يكن منهم غير الاستغفار والتضرع بطلب الدفء وهم لا يجهلون ان الأمر ببيع العاج هو التعايش وفي بيت المال الأمر الصادر منه ببيعه ثم أفتى القضاة بإبطال بيع العاج وجواز مصادرته من التجار فأرسل مندوبين خلقهم الى سواكن أخذوا ما بأيدي التجار من العاج قبل أن يتصرفوا فيه وكتب التعايش بدفع العاج المصادر الى تاجر سواكني اسمه (عمر كشه) ليبيعه بمرفته ويشتري منه بعض أدوات كياوية تحتاج لها معامل الخرطوش

وبلغت قيمة ما صودر من العاج أربعمائة ألف ريال مجيدي وقدأكثر من أربعمائة تاجر رأس مالهم وصاروا في حالة يرثى لها ولم يبق لديهم نفقة عودتهم من سواكن الى أوطانهم

وأكثر التعايش من البحث والتنقيب على ثروة ابراهيم عدلان فلم يثر على شيء منها والمرجح انه غيب أمواله في جوف الارض ولا يعرف موضعها غيره وستكون نصيب من يخدمه الحظ فينتهم تلك الحبيثة التي تقدر بثبات الالوف من الذهب

وخلف ابراهيم عدلان في وظيفة أمانة بيت المال النور ابراهيم الجريفاوي الذي كان أمين بيت مال بربر وقد ذكرنا فيما مضى طرفا من سيرته وأعماله

### ذكر حادثة العبادلة وابعادهم

العبادة قبيلة تسكن حوالي مدينة أصوان وهي تنقسم الى بطنين (المشاباب) و (الملكاب) وهؤلاء أقل عددا من الاولين وقوام معيشتهم



الماشية كسائر الاعراب ولكن بسبب عدم خصيب البلاد التي  
يسكنونها لا تقوم الماشية بمعيشتهم قياما يصرف وجههم عن غيرها من  
سبل الارتراق

ولما افتتح المنفور له محمد على باشا السودان اشتغل رجال قبيلة المبادنة بمهمة  
تسيير القوافل التجارية والحربية في طريق الصحراء بين (كروسكو وأبو حمد)  
وبالرغم عن قلة عدد المليكاب وكثرة سواد المشايب استأثر المليكاب بالزعامة  
على القوافل التي تسيير بين مصر والسودان وبالعكس ونج منهم رجال احرزوا  
الشهرة والنباهة في الازمان التي تقدمت ولاية ساكن الجنان محمد علي باشا  
على الديار المصرية

ولما قامت ثورة المهدي في السودان كان حسن ابو خليفة بن اخي حسين  
باشا خليفة قابضا على رئاسة تسيير القوافل بين مصر والسودان فانضم الى  
المهديين وكتب له المهدي أمرا بالرئاسة على قبيلة المبادنة والدعوة له حوالى  
مديرية اصوان وشهد بمض الوقائع التي انهم فيها دعاة المهدي في اقليم دنقلة  
وبسبب استبداد المليكاب بالرئاسة على القوافل دون المشايب تولدت  
بينهم العداوة واستحكمت الاحنة في صدورهم ونالوا من دماء بعضهم ما زاد  
الطين بلة والظنور نمة واستمرت العداوة بين تينك البطنين وتوارثها  
الحلف عن السلف

وقبض كثير من المشايب على وظائف بريد التماشي وبعض وظائف  
بيت المال فاشتدت المناظرة بينهم وبين المليكاب الذين ولي التماشي رئيسهم  
حسن ابا خليفة الامارة عليهم ووكل اليهم رئاسة القوافل ايضا وجعلهم مرابطين  
في (آبار المرات) بين كروسكو وأبو حمد

واستخدمت الحرية أيضا عدداً ليس قليل من رجال العبيادة ليجولوا في الصحاري وناطت ببعضهم مهنة التجسس للحكومة وصار آخرون منهم تجسسوا للتعايشي فاستحكم النفور بين المليكا والمشايا وصار جواسيس الحكومة من المشايي يسعون عند الحكومة بجواسيس المهدوية ويلحقون بهم المصائب اذا كانوا من المليكا أما اذا كانوا من المشايي فلا يتعرضون لهم وربما اعانهم على قضاء أوطارهم وبمثل هذه العمالة يامل المليكا جواسيس المهدوية فيتكونون بالمشايا ويتركون أقاليمهم

ولبت المشايي والمليكا يحاربون بعضهم في دائرتي نفوذ الحكومة والتعايشي ويتكون بعضهم أشد النكال وفي سنة ١٣٠٦ قوت خطوة محمد بشير كراو أحد المشايي عند التعايشي حتى جعله قائداً لدابته يأخذ بخطاها في المواب واقنع ان الحكومة ارسلت صالح بن حسين خليفة الى ابن عمه حسن خليفة للمخاطبة فنزل عليه ضيفاً في (أبار المرات) ثم قفل راجعاً الى اصوان فمضى خبره الى التعايشي فاستشاط غيظاً وكانت وشايات قائداً دابته قد تمكنت من قلبه وكتب جمع من الامراء الذين في بربر والمراطين في أبو حمد الى التعايشي يهمون حسن خليفة بالحياة والميل لجانب الحكومة فاستقدمه التعايشي الى أم درمان فلما قدمها قبض عليه فيها وسجنه وأصدر أيضاً أمراً بالقبض على سائر أفراد قبيلة المليكا من ذكر واثني وكان معظمهم يسكن حوالى بربر فقبض عليهم وصودرت أموالهم وسيقوا الى أم درمان يرسفون في القيود والاغلال وسييت نساؤهم وهم يلذون بضمة آلاف

وتوفي محمد خليفة والد حسن خليفة غمماً مما أصاب ابنه وقومه وكان

شيخا كبيرا وفي أوائل سنة ١٣٠٧ هـ هملوا إلى منغلم في خط الاستواء على السفن الشراعية بنير زاد فأت النساء والأطفال جوعا وهلك الرجال أيضا وعلى أثر ذلك خلا الجو للمشاباب واستأثروا بمنافع دولة التمايش وانضموا من أعدائهم شر انتقام وقطع دابر المليكاب من السودان فسبحان من ينير ولا يثير

ذكر غارة العباددة على أبو محمد وقتل سليمان نعان قمر  
ذكرنا ما كان من أمر الجماعة التي فشت في السودان وقد خلت  
الحدود من المرابطين فيها وقتل وجود المقاومة حتى صار عدد الموجودين بأم  
دومان من المقاومة لا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل وبات التمايش خائفا  
يتربق تقدم الجنود المصرية لمناجزة حيث لا يجدون من يدافع عن البلاد  
أقل دفاع

وزيادة على ذلك أن التمايش أيقن بانحراف الناس عنه وميلهم لجانب  
الحكومة على أثر ما أروه قههم به من المظالم والمغارم

قلنا أن الحكومة وكلت حراسة (آبار المرات) إلى صالح بن حسين خليفة  
الذي هاله ما أتاه الخليفة مع ابن عمه حسن أبي خليفة وقومه المليكاب فجمع  
نحو مائتي راكب من قبيلته وأغار بهم على معسكر (أبو محمد) وانتشيت الحرب  
بينه وبين من فيه من الدراويش ومعهم سليمان بن نمان قر قاتل الكولونيل  
ستيوارت فاقتحم سليمان صفوف العباددة وقاتل حتى سقط قتيلاً بينهم  
غزوا رأسه واحتملوها

وكانت الحكومة نشرت نشرة فخاها أن من يأتيها برأس

سليمان هذا فله جائزة عتية ثم ألقي امر هذه الجائزة قبل قتله ورجع  
 المنيرون من المباددة بعد ان قتل منهم وقتل من اعدائهم فكوني صالح  
 خليفة رئيسهم على قتل سليمان نعمان براتب خمسين جنيها شهر ياولد كان  
 اثر هذه الحادثة على التمايشي سيئا حيث وقع في روعه ان الحكومة تنوى  
 التقدم لفتح السودان واستبدل الناس على ذلك بانه خرج بعد ان قرأ  
 بريد (أبو محمد) ففعل بالناس صلاة العصر ست ركعات ثم سجد للسجود ففرف  
 الناس ارتباك اذ كانت عادته ان يسهى في الصلاة اذا فوجى بنبأ يفزع  
 ثم هدأ روعه بعد ايام حيث علم انها غارة بسيطة ليس وراها فتح

### ذكر موت الحاج علي سعد

الحاج علي سعد من قبيلة الجعليين وكان ضيماً خامل الذكر ذا مئة ذنية  
 ولما دخلت دعوة المهدي في بربر رفع محمد الخير منزلته حتى صير أميراً  
 على سكان القرى الواقعة جنوب نهر (اتبره) ثم كان من أمره مع محمد الخير  
 أمير بربر ما تقدم لنا ذكر طرف منه حيث سمي بمحمد الخير عند التمايشي  
 على أمل أن يخلصه في إمارة بربر وقد وعده التمايشي بالوصول إلى غايته  
 وقضاء لباته فبالغ في توجييه المطاعن إلى محمد الخير فمزله التمايشي وولي  
 بدله أحد أقاربه البقارة وقلب ظهر الحين لعل سعد ثم أمره بإحصاء عدد المقاتلة  
 الذين تحت امرته فبلغوا سبعة آلاف مقاتل فأمره بأن يصحبهم إلى دنقلة  
 في أوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا مع ابن النجومي فنادر على سعد بربر ولحق  
 بابن النجومي في دنقلة فأحصى من معه من المقاتلة فاذا هم ستمائة مقاتل فقط  
 فكتب ابن النجومي إلى التمايشي يخبره بأن مقاتلة على ستمائة رجل فقط

لاسبعة آلاف كما قال فاستاء التمايشي وأضر السوء لعل سعد الذي يش من  
نيل أمانة بربر وامتعض من التمايشي وإخيه يعقوب الذي خدعه  
وأغراء علي الطمن في محمد الخير توصلا إلى عزله وإقصائه عن الأمانة وأطمعه  
في تبوء ذلك المنصب ثم لم ير منه وفاء بل قلب له ظهر المجن

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدم التمايشي علي سعد من دنقلة وقدم  
له غذاء وضع فيه مادة سمية فأكاد يفرغ من تناوله حتى أحس  
بأنحراف شديد فلزم داره وتوفي بعد ليال قليلة بعد أن ظهرت عليه  
أعراض التسمم

وخلقه في وظيفته أخوه عبدالله سعد الذي خرج على التمايشي قبل فتح  
أم درمان قتلته الأمير محمود في من قتله ويحى ذكر ذلك فيما يلي والله الأمر  
من قبل ومن بعد

### ذكر موت عثمان آدم وتولية محمود أحمد بدله

ذكرنا ما كان من أمر عثمان آدم أمير دارفور وكيف جمع جيشاً جراراً  
هاجم به دارفور واستولي عليها بعد ثورة أهل سلطنتها القديمة ثم ما كان من أمر  
ظهوره على (أبو جيزه)

ولما فرغ عثمان من أمر أبو جيزه عم الدمار بلاد دارفور حيث إباد  
القطط البمض والبمض الآخر هجروا بلادهم ولحقوا بالبلاد التي في الغرب  
وكانت لم تخضع للمهدين مثل بلاد (أبو ريشه) وبلاد (وداي) وغيرها  
وأخذ عثمان يوالى الفارة على سكان الجبال ليتحصل على نفقات جنده حيث  
صارت البلاد خراباً لا تقوم ببعض نفقات وأقوات أولئك المقاتلة فتحصل

على شيء كثير من الاقارات والماشية ثم وجه عزيمته الى بلاد الغرب لفتح  
بلاد (مسلات) وبلاد (أبوريشه) وهما مملكتان واقعتان بين (برقو ودارفور)  
فظفر ببعض قرى في تخوم تلك البلاد وقصد التوغل لفتح البلاد كلها حتى  
يقف عند حدود (برقو) فاصيب بحمي خبيثة وقضى نحبه بعد ثلاث ليال فاحتمله  
جنده وشهقوا به راجعين الى دارفور وأخفوا وفاته على العامة واقاموا  
وكيله محمد بشارة مقامه وارسلوا بنبيه الى التمايشي الذي وقع عليه هذا الخبر  
وقع الصاعقة وسالت الدموع من عينيه لانه كان يحبه ويمتد فيه الكفاءة  
في دفع الملأ ومقدراً نجاحه في دارفور حق قدره

وبعد أيام يسيرة من وصول نبي عثمان آدم أعلن التمايشي نبأ تبيين ابن  
صه محمود أحمد بدله

وعلى ذكر محمود هذا نأتى هنا على ترجمته تيمناً للفائدة فنقول. انه ابن أحمد دى  
عم التمايشي وكان مولده ببلاد التمايشة بمجمة (الكلكة) وقد رأيناه بعد سقوط  
الخرطوم مع والده وكان عمره اذ ذاك لا يتجاوز خمسة عشر عاماً ووجهه  
مشوه بآثار الجدري والمتربة ظاهرة على اطواره البالية لا يأنف من مديد  
السؤال الى أولى اليسار من الامراء والوجوه حتى وصلت خلافة المهديين  
الى ابن عمه التمايشي. والحاصل أن المترجم كان مثل سائر أقاربه في النفاية القصوى  
من الثقافة وشطف الميث وأهالي السودان الاوسط يحترقون سائر البقارة  
الذين هم في الدرجة القصوى من الحمجية والبداوة الوحشية ولغتهم مع  
كونها شبه عربية تكاد تكون غير مفهومة. وبالجملة ان المترجم كان بقاربا  
في جميع أخلاقه وأطواره ولكنه مالبث بعد ان صار قريبه التمايشي ذا  
سلطان على السودان حتى غير أخلاقه وعوائده وتشبه بأهل السودان

الايوسط واسترسل كتمان ابن التعايشي في الدعارة وانهمك في حضور ليالي  
الرقص والفناء التي ذكرنا بعض اوصافها وتثالي في حب الموسسات وجمع  
حوله عددا ليس بقليل من المخشيين المتشبهين بالنساء وله أخ اسمه ابراهيم  
الخليل حذا حذوه وسار على وتيرته

وقيل توليته توفي والده وكان فيما يزعمون بارعا في معرفة علم الرمل  
ومعرفة البخت مثل ابن أخيه عبد الله التعايشي الذي كان خيرا بهذا الفن  
والحاصل ان ترجمة محمود أحمد لا تختلف كثيرا عن ترجمة عثمان ابن التعايشي  
وفي أوائل سنة ١٣٠٨ خرج التعايشي لتشجيع محمود وسار معه أيضا  
مندوبون من القضاة ليعانوا أمر توليته ويأمروا القواد بطاعته

ولما وصل الي دارفور امتعض القواد منه لانهما كه في الشهوات وعكوفه  
على المعاصي والدنات وظهر لمرؤسيه الفرق بينه وبين سلفه الذي كان على  
نهج كبار المهديين

والحاصل انه قبض على زمام دارفور وبقي بها حتى شغب الدنقلون أقارب  
المهدي على التعايشي وتحفز الاهلون كلهم للثورة عليه فاستدعاه من دارفور  
الي أم درمان بجيشه وسيأتي ذكر ذلك في مكانه

### ذكر صفة معيشة التعايشي

كان التعايشي قبل ان يفضى اليه الملك مثل سائر بني جلده البقارة في  
الدرجة القصوى من المشونة والبداوة لا يعرف شيأ من ضروب التتم في  
الاحوال المعيشية على طريقة المترفين من أهالي السودان الاوسط التي هي  
وان كانت عوائد بربرية غير مألوقة الا أنها تمد مدنية بالنسبة لحشونة البقارة

الذين لا يرفون من أنواع الاطعمة غير المصيدة وادم ( المندجية ) الذي سبق لنا تدميره ولحوم الصيد

وقد كان التماشي مريقاً في هذه العوائد وكان يطيب بكبريت العاود ذى الرائحة الكريهة التى تقبض النفس من شهما وكان احسن الطيب عنده وهذا بخلاف اهالى السودان الاوسط فانهم يطيبون بمعطور الصندل والحب وغيرها من انواع الطيب التى يتخذها المصريون ويثرون من رائحتها والحاصل أن عوائد التماشي وقومه تباين عوائد اهالى السودان الاوسط وتختلف عنها اختلافاً كبيراً وهى كما قلنا فى منتهى الحشونة والبداوة

وكان قبل افشاء الخلافة اليه نجيف الجسم مقوس الظهر كانه شيخ هرم طويل الوجه غائر الصدفين المنتشر بهما آثار الجدري وكان يلبس مرقمة بالية ممزقة يظهر جسمه من خلال خروقتها ويتمم على قلنسوة من ( الدمور )

ولم يلبث بعد ذلك حتى نبذ عوائده كلها ولبس المرقمات النظيفة وتشبه بالمهدى فى ملابسه واخذ يتطيب بمطر الحب والصندل وصار يأكل الاطعمة المصرية التى كان يقوم باقتنائها نسوة مصريات من أهل الخرطوم وجمع عنده نحو مائة وعشرين امرأة من أجمل نساء السودان وضخت جثته وتغيرت سحنة وجهه حتى انه يخيل للناظر اليه انه شخص آخر غير التماشي ولكن لم تمض عليه ثلاث سنوات حتى تنقص عيشه بما اعتراه من ضعف أعضاء تناسله وخمود شهوته فاستدعى طبيباً مصرياً اسمه حسن زكي من أطباء الحكومة السابقين وتاجرين اسم أحدهما محمد طه الشامي واسم الثاني بندليه اليوناني وشكاهم ما انتابه من الضعف وفقدان الشهوة وسألهم ان



يحثوا له عن الاشياء التي تقوي الباه وأكد عليهم في الكتمان فذهبوا ودار  
 المدولة قر رأيهم على ان يحضروا له شيأمن العنبر مضافا على نوع الخشيشة  
 المطبوخة المسماة (قراوش) فقصدوا محل رجل كان يبيع الخشيشة مرأا اسمه  
 بكناش أغا وحادوا بالقدر الكافي ثم طبخوه مع العنبر ووضعوه في حق  
 وذهبوا الى دار التمايشي الذي فنته رائحة العنبر فأصرهم ان يأكلوا منه  
 بحضرتة خشية ان يكونوا قد دسوا له فيه السم فاكلوا منه فشكروهم واجاز  
 كل واحد منهم بمشرايات وأكثر من أكل هذا النوع حتى نفذ فامرهم  
 بتجهيز غيره وصار ذلك عادة له لا يقدر على تركها

### ذكر حادثة البطاحين

البطاحين قبيلة بدوية تسكن شرق النيل الازرق غرب صحراء (بربر)  
 وماشيتها من الغنم والبقر وبمض الابل ورجالها مشهورون بالشجاعة والافتداف  
 مع قلة عددهم وكلهم لصوص وقطاع طرق ولا توجد عصاة سطو أو جمعية  
 سلب في سائر انحاء السودان الا من البطاحين وقد أمسكت الحكومة  
 كثيرا منهم قبل المهدوية وعاقبتهم على ما كانوا يأتونه من قتل النفوس  
 ونهب الاموال

ولما ظهرت دعوة المهدوية كانت قبيلة البطاحين في مقدمة القبائل  
 التي مالت اليها طمعا في النهب والسلب اللذين هما دينها. ولحق بالمهدي  
 في جبال (قدير) أحد رجال هذه القبيلة المدعو عثمان بن أحمد وكان  
 من حفظة القرآن وهو كقومه البطاحين الذين جيلوا على الفساد وسفك

الدماء وكان ذا دهاء تمكن به من الظهور بمظهر الزهادة والتضاني في حب المهديوية والاخلاص لها فجعله المهدي نائباً من النواب الموكول اليهم النظر في القضايا الكلية فاستخدم هذه الوظيفة في سبيل اطلاق يد قومه البطاحين في النهب والسلب ووقف وظيفته لدرأ كل عقوبة يراد عقابهم بها على ما يرتكبونه من جنائيات السطو والقتل وقطع الطرق فانطلقت ايديهم في النهب والسلب بلا خوف من طائلة عقاب حيث صار قريبهم نائباً من نواب المهديوية ومقرباً من مقربي التمايشي وارتفعت الشكوى منهم الى التمايشي الذي كان مع ظلمه لا يرضى بجولان يد في العبث والفساد غير يده وايدي قومه البقارة فكتب الى قبيلة البطاحين يأمرها بمغادرة ديارها والحق بابن النجومي في دنقلة وذلك في سنة ١٣٠٥ فسافر منهم نحو ألف رجل واختفى الباقون في قفار بلادهم وصحاريها حتى كانت سنة ١٣٠٦ وفشت المجاعة في السودان

وفي أواخر هذه السنة ازدادت مفاسد البطاحين وانتشروا في بلاد شرق النيل وقطعوا الطرق على القوافل التجارية والسابلة التي تجتاز الصحراء بين النيل الازرق ونهر (اتبره) وحذروا الحبيشة وأبادوا عدة قوافل بعد ما نهبوا وسعوا على أكثر القبائل النازلة في أنحاء تلك الصحراء وكلما رفع الهجن عليهم شكواهم وأحيلوا على القضاء الذي من اكبر رجاله قريبهم عثمان السالف الذكر خرجوا ظافرين برئين

وفي ذات يوم جلس التمايشي في محرابه وحوله القضاة والنواب فقال لهم لقد طغى البطاحون وزادت شروهم ومفسدكم فأجابه عثمان النائب بقوله يا مولاي انهم تركوا السطو وقطع الطرق منذ بايعوا المهدي ونصروا دعوته

فقال له التمايشي كلاً بل أخبرني الحضر عليه السلام لهم لم يتركوا شيئاً مما كانوا فيه بل زادوا جرأة واقداماً على السطو وقطع الطرق فسكت عثمان واذن لقول التمايشي

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ أنفذ إليهم التمايشي رسولا اسمه ابن جابر الذي فذهب إلى حبيهم وقرأ عليهم أمراً من التمايشي بمفارقة بلادهم والحقاق برباط دقتله فقابلوا الرسول بالضرب والاهانة وهو ما يقتله وألقوا به وبمن معه جروحاً خفيفة ففر من وجوههم وقفل راجعاً إلى أم درمان فلقى التمايشي خارجاً من داره لصلاة المغرب فأخبره بما أصابه فأمر في الحال بأعداد نحو عشرة آلاف مقاتل بين فرسان وجهادية مسلحين بالبنادق وإن ينادروا أم درمان بعد صلاة المشاء تحت قيادة قريبه عبد الباقي عبد الوكيل

وبعد صلاة المشاء ركب التمايشي والابواق حوله قاصدا ضفة النهر لتوديع الجيش وتزويد القائد بالوصايا التي يعمل بها وما انتصف الليل حتى اجتاز الجيش كله النيل على البواخر والسفن وتابع مسيره في الصحراء إلى المساء وبعد ثلاث ليال داهم حى البطاحين في الفلج وأمرهم النيران الحامية فسقط منهم نحو ألفي قتيل وسبق الباقيون أمرى بنسائهم وأطفالهم ونهبت ماشيتهم كلها وجيء بنحو ثلاثة آلاف أسير منهم إلى أم درمان عدا الصبيان والنساء فاختار التمايشي مائة وخمسين رجلاً من أعيانهم ومشايخهم وأصدر أمراً بجلب خمسين منهم في ميدان السوق وضرب أعناق خمسين أيضاً وقطع أيدي وأرجل الخمسين الآخرين

وركب التمايشي في ظهر ثاني يوم ووصلهم إلى ميدان السوق وشهد انفاذ هذه الأحكام القظيمة ومات أكثر الذين قطعت أيديهم وأرجلهم ونجا

الذين أدركتهم غيرة أولي الشبهة فصبوا على جراحهم الزيت المحمي بالنار  
لقطع زيف الدم وتدفال التعاشي وقتل من حوله اني لم أقبل ذلك الا باذن  
من النبي صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي فاتهم أمروني بالامس بهذا  
العمل فقال رجل من الدألة وهو نوتى ان صدقنا انهم أمروا بالصلب وضرب  
الاعناق وقطع الايدي والارجل فهل نصدق أنهم أمروا باخذ النساء الحسان  
ونكاحهن كوطوات بملك اليمين فسمعه بعض الحاضرين وأبلغ التعاشي مقالته  
فأمر باحاله على المحاكمة حيث ادعى عليه أنه لمن أبا المهدي فحكم القضاة بضرب  
عنته فضربت في اليوم التالي في محل استعراض الجيش

وأخذت نساء البطاحين مسيات ووزعن على البقارة والقواد وامتلأت  
أم درمان بالمتسولين منهم وكانوا كما قدمنا من أشد القبائل تشيماً للهدوية ومن  
شدوا أزرها فانتقم الله منهم بيدها ومن أعان ظالماً سلط عليه  
وبيعت ماشيتهم التي جلفها من الضأن والبقر في أم درمان فهبطت أثمان  
الماشية حتى بلغ ثمن الرأس من الضأن نصف ريال

### شان محمد خالد زقل بعد ذلك

ذكرنا ما كان من حوادث محمد خالد زقل في دارفور وما وقع له مع  
حمدان أبي منجه الى سجنه بام درمان بضعة شهور وخروجه من السجن حيث  
أمره التعاشي بملازمة الصلوات الخمس في المسجد معه وكان زقل هذا ذا دهاء  
شديد فأخذ يتظاهر بولاء التعاشي ومحبه حتى خدعه ما يتظاهر به الى أن  
دخلت سنة ١٣٠٦ وكثرت الاختلافات بين عثمان دقته وأبي قرجة الذي  
تولى على شرق السودان بدله

ولما استمطحت تلك الاختلافات أنفذ التماشي الشيخ الطاهر بن المجدوب  
ومعه محمد خالد زقل الى السودان الشرقي ليفصلا بين المختلفين فتوفي الشيخ  
الطاهر في (طوكر) وقفل محمد خالد زقل راجعا الى ام درمان ومعه عثمان دقنة  
ثم عزل التماشي أبا قرجة واعاد عثمان دقنة الى الامارة ثم ولي محمد خالد  
زقل على دقنة زهاء سنة حتى دس له يعقوب أخو التماشي الدسائس  
وكان في دقنة أميران من البقارة هما مساعد قيدوم الذي تقدم لنا ذكره  
مع ابن النجومي وكان قائد المقاومة من البقارة وعربي دفع الله وكان قائد الجهادية  
المسلمين بالبنادق

وعربي هذا كان خادما عند محمد خالد زقل تربي في منزله بدارفور  
ولما عين زقل أميراً على دقنة وصار عربي تحت إمرته حفظ لزقل  
حق التربية فكان يتواضع أمامه ويجلس متأدبا بحضرته ولم يكن  
في الحسبان ان يقلب حالهما ويتبدل صفاؤهما بالمداوة لولا مادسه يعقوب  
أخو التماشي لعربي حتى دفعه الى السبي بزقل عند التماشي . وفي ذات يوم  
جمع عربي رجاله وكانوا زهاء الثمين وأحاط بهم من منزل زقل ومنعه  
من الخروج فاتقدم جيش دقنة فريقيين فريقاً ينتصر لزقل والآخر  
يظهر عربي عليه وهذا مؤلف من الجهادية والبقارة وذلك من  
الدناقة والجليلين وكان قد وصل في غضون هذه الحوادث أحد أعداد  
جريدة مصرية فيه نبأ يشير الى أن زقل أمير دقنة اتفق مع الحكومة  
على ان يسامها دقنة بغير مقاومة وأن الحكومة الحديوية وعدته  
بالمكاناة الحسنة فلم يبق ريب لدى التماشي في صحة الخبر وخشى ان يكون  
زقل قد قرر ذلك مع من معه من القواد فانفذ اليه يونس الديكيم ومعه أمر

بانه عينه خادما يحمل نعل محمد خالد زقل. فادرك سر المسألة وكتب الى التعايشي يستأذنه في القدوم عليه. ويسأله ان يبين من ينوب عنه في دفقة فأجابته بتعيين يونس نائباً عنه وأمره بالقدوم عليه فاستقبله بالاكرام وبعد أيام يسيرة عقد مجلساً لمحاكمته لما جاء في الجريدة المصرية بخم المجلس باعدامه ولكن التعايشي أوقف التنفيذ وأمر بسجنه ومصادرة أمواله ووضع في رجليه من القيود ما أثقله حتى عجز عن المشي ونهبت أمواله وبقي في السجن بضع سنوات ثم نفي الى خط الاستواء في مستهل سنة ١٣١٩

وكان زقل شديد البغض للمصريين مع انه كان موظفاً أميرياً بدارفور كما قدمنا وحائزاً للرتبة الثالثة ولما استولى على دارفور ارسل الى المغفور له الخديو توفيق باشا كتاباً ينصحه فيه بالتسليم لاهدية واستهل كتابه بمقدمة مملوءة بالوقاحة والسفاهة والمطاعن الشخصية التي يتجافى اليراع عن رقها. ولما ولى على دفقة أرسل له كتاباً آخر لا يختلف عن الكتاب الاول مملواً بالمثالب والمطاعن وقد اتصل بنا ونحن نبض هذه السطور ان محمد خالد زقل فر من منفاه بخطط الاستواء بعد هزيمة التعايشي بأمر درمان ولحق بمملكة (برقو) فأمسكه سلطانها كأسير ولم يفلته حتى الآن ويقول الصارفون بمادات تلك البلاد انهم لا يسمحون لغيره من ديارهم أن يعود من حيث جاء مخافة أن يكون جاسوساً يجوس خلال الديار ويعود منها زوداً بالاسرار ومهما يكن من الحال فان زقل لم يتمتع بلذات الحكم على بلاد دارفور التي استخلصها من جنود الحكومة بالصفة التي تقدم لنا ذكرها الا زهاء سنتين كانت مغبتها السجن ونهب ما جمعه من الاموال في خلالها ولا غرابة في ذلك فكذا كانت معاملة المهدي لـ لكل من أطاعه الا من قبل ومن بعد

## ذكر استخراج الرصاص والنحاس

والكحل من معادن حفرة النحاس

تقدم لنا ان الطبيب الذكر غردون باشا افتتح جهة ( حفرة النحاس )  
المملوءة بمادن النحاس وشرع في استخراج النحاس منها ثم أهمل خلقه أمر  
هذه الحفرة ولم يحفل باستخراج النحاس منها حتى دخلت بلاد دارفور في  
حوزة المهدوية

وفي سنة ١٣٠٧ أنفذ التمايشي أناسا الى تلك الجهة فاستخرجوا شيئا  
كثيرا من الرصاص والنحاس والكحل فاستخدم الرصاص في تمبشة الخرطوش  
بعد ان حبطت مساعيه التي بذلها في استخراج هذا المصنف بسبب النش  
الذي قطعت يد ورجل المقدم عمر الجعلي من أجله  
وصنع من النحاس ظروف الخرطوش ثم لم يعد لاستخراج شيء  
من هذه المصنات بعد أن حصل على كفايته منها

## ذكر بنات الجميلين

الجميلين اسم قبيلة تقدم لنا تعريفها في حوادث بربر  
وفي أوائل سنة ١٣٠٨ أنفذ التمايشي رجلا اسمه محمد وهي بن حسين  
اداي المشهور بالرئيس وكان من موظفي الحكومة في بربر الى قرى الجميلين  
الواقعة بين بربر وأم درمان على احدى البواخر ليأخذ كل حسناء من بنات  
الجميلين ويحملها على الباخرة ويأتيه بها فكثرت بضعة شهور متجولا في شواطيء  
تلك القرى بباخرته ثم عاد بها وهي مكتظة بالنساء الحسنان وجلهن عذارى  
وسمعت من أحداهن ان التمايشي كان يأمر بنزع ثيابهن عنهن لدى وصولهن

اليه فكانت الواحدة منهن تدخل عليه في حجرته وهي عارية كيوم ولدتها أمها  
وبعد أن ينم نظره فيها وهي مقبلة يأمرها أن تدبر ثم يدينها منه فإذا أعجبته  
أبقاها في داره موطوءة بملك اليمين وإن لم تعجبه أمر بأخراجها واهدائها  
لأحد أقاربه البقارة

أما دخول النساء عليه وهن عاريات فكان لا يقصد به التمتع بالنظر اليهن فقط  
بل كان يخاف أن يحملن تحت ثيابهن سلاحاً أو مادة سامية وهو يامل كل نساءه  
بهذه المعاملة إلا من يشق باماتها وقل أن يأتمن واحدة منهن

### ذكر انسحاب الجيش من القلايات

تقدم لنا ذكر ما كان من أمر محاربة الدراويش والاحباش الى قتل  
النجاشي يوحنا

ويقولون أن النجاشي منليك الذي خلف يوحنا في سلطنة الحبشة  
عقد مهادنة مع الدراويش على أن يكفوا عن حربه والتعدي على حدوده  
لأنه لم يرغب أن المملكة الحبشية مشغولة بدفع غارة الايطاليين عليها من جهات  
(أسمره) وفتحها باباً للحرب مع الدراويش يضاعف مشغوليتها ويزيد خسارتها  
فداهن الدراويش بل صافاهم على أنه كان موقفاً بأن سوء تصرفات سلافه  
هي التي فتحت على المملكة هذا الباب الذي كانت في غنى عنه لكي تنفرغ  
لوقوف امام المغيرين على بلادها من الفاتحين الايطاليين

والتعاشي لم ينشر شيئاً يدل على وقوع هذه المهادنة إلا أن قرائن الاحوال  
تدل عليها لأن بعض مصادر الاخبار تؤكد أن غارة الدراويش على الاحباش  
لا تخلو من يد للايطاليين في تديرها. وفي نفس الوقت الذي كان منليك



يستعمل فيها المناجزة الايطاليين في الواقعة الاخيرة بينهما كانت جيوش  
الدراويش ايضا تحف من جهة أخرى لهاجمة مراكز الايطاليين مما يدل على ان  
الدراويش كانوا أولا على وفاء مع الايطاليين ضد الاحباش ثم انعكس الحال  
فصاروا مع هؤلاء على أولئك

والحاصل ان التماشي بعد ان ملأ القلايات خيلا ورجالا ونال جنده  
من الاحباش ما نالوه من الظفر حصن القلايات بسور من الحجارة وأصدر  
أسرا إلى الزاكي طبل قائد الجيش ان يترك القلايات ويوكل حراستها إلى ألف  
رجل تحت إمرة أحمد علي البقاري فصعد الزاكي بالامر وغادر القلايات  
وعسكر في القضايف وارهق أهلها نهبا وصار غلاتهم بالكيفية التي ذكرناها  
في الكلام على التحط الواقع في القضايف

وفي أواخر سنة ١٣٠٧ قدم الزاكي طبل على التماشي ودفع له مائة  
وثمانين ألف ريال وقناطير مقلعة من الذهب والفضة فأمره بالمودة  
إلى القضايف وأخذ الالهبة لاختراق الجزيرة والفارة على بلاد (الشلك)  
بأقليم فشودة

### ذكر غارة الزاكي طبل على الشلك

الشلك اسم لقبيلة من السبيد تسكن إقليم فشودة وهم حفاة عمراء يلبس  
الاغنياء والمظاء منهم قطعة من خرقة تستر أنصاف أعناقهم فإذا جلس احدهم  
طوي الحرقه ووضعها على كتفيه وبيت عورته بلاستر  
أما النساء فيأتررن بفروة من الجلد اذا كن متزوجات أما اللاتي لم  
يتزوجن فبن عاريات كيوم ولتهن أمهاتهن وهؤلاء النسوة يحلقن شعر

رؤسهن مما يزيد في تقييح مناظرهن وتشويه خلقهن والرجال يسلمون شعورهم ويدهنونها بالمواد النورية كالصمغ ويسلمون منها شكلا يخاله الرأى من بدم قبع الافرنج .

وم غلف لا يعرفون الختان يزعمون ان الختان هو كسر أربعة أسنان من اسنان الرجل أو المرأة من الفك الاسفل ليتمكن احدهم من اخراج اللسان بنير أن يقف شيء في طريقه

ويزين الرجال نحودهم وأذرعهم بكثير من الخرز وأجراس النحاس الصغيرة وقطع الماچ وزينة للمرأة شيء من الودع والخرز على خصرها وعلى كل حال تربو زينة الرجل وحليته على زينة للمرأة وحليها والرجال مع استئثارهم بالنصيب الأكبر من الزينة على ما ذكرنا تراهم مع سواد بشرتهم طوال القامات حسان الوجوه مفتول السواعد يبدو على وجوههم العجب والزهو ويحملون بأيديهم الأسلحة من المزاريق والحراب ولا يعرفون هم ولا نساءهم لبس نمل أو حذاء

وديانهم وثنية همجية لهم صنم من الخشب اسمه (النيكامه) بتعطيش النون وأما (الكجور) فهو كمال ديني يرجعون الى مشورته في أمور الدنيا والدين والطب وهو إن صح مانسه من قومه عنه لا يخلو من معرفة شيء من علم النجوم والانواء علما نظريا لانه كثيراً ما يخبرهم بأخبار المطر وغيره قبل الحصول

ومما يدل على ذلك ان وظيفة الكجور لا تكون الا وراثية من الاسلاف للأعقاب وبالجملة ان الكجور عند الشلك أشبه شيء بالكاهن والعراف في عهد الجاهلية

وأغذيتهم من لحوم الصيد ولبن الماشية والبوظة للسكرة وما شيتهم من  
الغنم والبقرة كثيرة جداً وهم يقدسون الضلع من البقر ويملقون على قرنيه  
الاجراس والحلرز وسائر أنواع الزينة ويسمونهم (مجوك) ويخرجونه في الحفلات  
والمواام حيث يكون موضع احترام الجميع

وإذا خرجوا يستسقون المطر يخرجون الفحل أمامهم متوسلين به  
والحاصل أن (مجوك) عند الشك يشبه العجل (أيس) عند قدماء المصريين  
وعادة الزواج عندهم أن الرجل يتزوج بما شاء من النساء بمعنى أنه يتزوج  
ما شاء من النساء بغير قيد ولا حد

ومهر الزواج لا يقل عن ستين رأساً من البقر للمتوسطة من النساء ومائة  
لاهل الطبقة المالية ولا يجزؤون أن يكون المهر أقل من أربعين رأساً من البقر  
والمهر حق لا قارب الزوجة يأخذ أبواها القسم الأكبر منه ويوزع الباقي على  
أقاربها من جهة الأب والام وهؤلاء ينالهم أكثر مما ينال أولئك

وإذا توفي الزوج خلفه أكبر أبنائه على جميع نساؤه عدا أمه والأولاد الذين  
يولدون له منهم يعتبرهم إخوته لأنه يرى نفسه نائباً عن والده واسم (مريم)  
علم لجنس النساء كما أن اسم (نور) علم لجنس الرجال كلهم وتخضع قبيلة الشلك  
كلها إلى ملك يسمونه (الملك) وحكمه نافذ فيهم وطاعتهم له عمياء وهم يعتبرونه  
متدسا يستمد سلطته من مبودهم (النكامه) كما كان قدماء المصريين  
يعتقدون شبه هذا الاعتقاد في فراعنتهم

وهذا الملك ماري الجسم مثاهم ولا يدنو منه أحد إلا بعد أن يخني  
ويرزح على ركبتيه ولا يرفع أحد عينه إليه بل يظنون جلوساً كأن الطير على  
رؤسهم ويجلس حواليه الشيوخ والكجور فإذا عقدت جلسة لمحاكة جلس

الملك وبين يديه أنواع السلاح كلها وانما يماقبون بالقتل وعند نهاية الجلسة يتناول الملك نوعاً من السلاح الذي بين يديه يومئ به نحو الجاني وينصرف فينمذ الحاضرون المقوبة عليه بنوع السلاح الذي أو مأبه

ومن فإبهم مع ما هم فيه من التوحش والهمجية حيث لا فرق بينهم وبين الانعام المحافظة على الآداب حتي يظن الانسان انهم في نهاية التسدين فلا توجد بينهم فاحشة ألبنة والزاني والزانية لا عقاب لهما الا القتل

ومما زاد في إعجابي بأولئك الاقوام ان المرأة منهم في نهاية الحرية تختلط مع الرجال وتجالسهم وهي عترمة عندهم كاحترامها عند الافرنج ومن عوائلهم ان الرجل اذا انتصب ذكره وهو جالس مع غيره عوقب بالقتل في الحال مع انهم يجلسون مرأة والنساء معهم

ومنازلهم اكواخ مستديرة واعاليها مستطيلة كالقبة والنظافة متوفرة فيها حتي ان أرض منازلهم مرصوفة بئىء من الحجارة يخالها الناظر لأول نظرة رخاماً وفي كل قرية مكان كبير يحرقون فيه روث البقر حتي يصير رماداً ينامون عليه ويترغون فيه

ويفسلون وجوههم ببول البقر ويتمضمضون به ويضمونه في اللبن والسنن وياكلون الميتة والدم ولا يذبحون الماشية الا اذا اشرفت على الهلاك فحينئذ يذبحونها بقصد الحصول على الدم اذ هو احسن غذاء عندهم وفي بعض الاحايين يحرقون البقر في شرايينها وينتفون الدم في آنية ثم يعضدون الجرح ويربطونه حتي يتندمل

ولهم مهارة غريبة في اقتناص الضواوى كالقنبل والسبع والفر وبقر الوحش والزرافة وسائر أنواع الوحوش . ولنذكر هنا عارقة صيد

الثيل وبقر الوحش وهى أن يجتمع اشبا عشر رجلا منهم بيد كل واحد منهم  
 حربة طويلة ويقتربون من الثيل أو بقر الوحش ثم يقرد واحد منهم دون  
 رفاقه فيقطع ما يريدون صيده في اقتراسه وتجه نحو مطارده فينب عليه الباقرن  
 ويطنونه بحراهم في دبره قبل ان يتمكن من اقتراس رفيقهم لان الطعن  
 لا يؤثر في بقية جسمه للملاسة جلده وصلابته. اما صيد بقية الوحوش فانه دون  
 هذا في العناء والملك نصيب من كل ما يصطاده الافراد فاذا كان من نوع الثيل  
 فله العاج وأطياب اللحم أما الغزالان فانهم يقدمون له أحسن نصيب من لحما  
 ومهارتهم في صيد دواب الماء تكاد تفوق تفننهم في صيد وحوش القلابة  
 وذلك انه يوجد في بلادهم فرس البحر بكثرة والتساح والاسماك الكبيرة الى  
 يزيد طولها عن مترين ولحم زوارق صغيرة مصنوعة من الحشب ومن  
 المعجب انهم يربطونها بالخيوط فقط اذ لا مسامير من الحديد عندهم واذا زوارق  
 المذكورة محكمة الصنع متساوية الاطراف يركبونها ويحملون بأيديهم  
 مزاريق صغيرة رؤسها كالصنارة يقذفون بها الاسماك في صمق الماء فلا تمود  
 بغير مصيد ويندر أن يخطئ المزدق وصيد التساح يقرب من هذه  
 الطريقة. أما طريقة صيد فرس البحر فهي انهم يربطون جبلا متينا في أسفل  
 حربة رأسها كالصنارة وفي آخر الجبل حزمة من نوع خشب اسمه ( المبيج )  
 يشبه ( الثلين ) في خفته وطفوه على وجه الماء ويتربصون على ضفاف النهر  
 بعد غروب الشمس حتي تخرج فرس البحر لتأكل الحشائش التي تبت على  
 الضفة فيرمونها بالحربة في دبرها فتولى عنهم وتمود الى اليم وقد  
 ضاقت الحربة في دبرها والجبل والمبيج خلفها وبعد أيام قلائل يتعفن الجرح  
 فيجتمع الصيادون في زوارقهم الصغيرة ويمسكون الجبل ويطاردون الفرس

التي تظهر على وجه الماء بعد جذب الجبل فيرشتونها بالسهام حتى يقضى عليها  
فيقتسمون لحمها بعد اخراج اطاييه للملك ويحفظون جلدها الذي يصنع منه  
السياط المروفة في مصر

وهم يسكنون الضفة الغربية للنهر ويسكن الضفة الشرقية أمة اسمها  
(الدينكة) لا تختلف في شيء من العادات عن الشلك الا انهم لم يبرزوا  
صفات الشجاعة التي للشلك ولا يعرفون صيد البر والبحر مثل الشلك  
ولا ملك عندهم بل لكل قرية رئيس مطلق ولذلك يضطهدهم الشلك  
وينيرون عليهم وينهبون ماشيتهم حتي ان الواحد من الشلك يطارد عشرة من  
الدينكة الذين لهم صنم من خشب كصنم الشلك يسمونه (دينديت) وعدد  
نفوس الدينكة يبلغ أضعاف الشلك وبسبب فرقة الدينكة صاروا عرضة لآفة  
جيرانهم الشلك الذين هم مع ما هم فيه من القوة والعزة تراهم ذلاء امام جيران  
لهم في الجنوب وهم أمة اسمها (نوير) حيث يوالون الفارة على الشلك وينهبون  
ماشيتهم مع ان عدد نفوس الشلك يبلغ أربعة أضعاف عدد نوير والحاصل  
ان نوير آفة الشلك كما ان الشلك آفة الدينكة

وعوائد نوير واخلاقهم مشابهة لعوائد الشلك الا انهم اكثر ثباتا من الشلك  
واجراؤا قدامتهم أطول منهم

وأرض الشلك والدينكة ونوير خصبة التربة ووربها بالامطار التي تهطل غزيرة  
جدا عندهم غير انهم كسالي لا يحرثون من الارض الا شيئا قليلا يقوم  
بضرورتهم

وحاصلاتهم القردة الرفية، والسهم والدخان الذي يستعمله رجالهم ونساؤهم  
صغارهم وكبارهم ويمتاز الدينكة عن الشلك بزيادة الحاصلات وكثرة الحرثة

ولما دخلت السودان تحت حوزة مصر لم يلتفت الحكام والولاة الى تنظيم حكومة للجهات الجنوبية على النبل الابيض التي منها فشودة بل كان الشك وغيره من سكان البلاد عرضة لاثارة عصابات النخاسين الذين يجلبونهم ارقاء ويهبون اصلااتهم وماشيهم

وفي سنة ١٧٨١ اعتنى المرحوم موسى باشا حمدي حاكم السودان بامر الجهات الجنوبية ونظم حكومة لها فكانت فشودة أول مديرية أسسها وولى عليها القائم مقام حلبي بك الذي طرد النخاسين عنها ولكن الشك قابله بالجفاء ونفروا منه وشهروا عليه الحرب حتى اضطر الى ان يتحصن منهم في نقطة فشودة الواقعة في وسط الاقليم واختارها عاصمة لمديرية وبعد ذلك هادنوه فقدم لهم كثيراً من الهدايا والملابس التي كان يفرغ جهده في اقتناعهم بقسوة لبسها فلم يفلح بل كان كباراؤهم يلبسون بعضها عند قدمهم الى مركز الحكومة فاذا عادوا الى قراهم خلعوها وبقوا عراة كما كانوا

ولما ولي المرحوم جعفر مظهر باشا حكم مديرية السودان اهتم بشأن مديرية فشودة وبذلت الحكومة الجهد في استئلافهم حتى صاروا يأدون لها بعض ضرائب لا تقوم بشئ معشار نفقات الحامية والادارة

ولدى تولية الطيب الذكر غردون باشا على جهات النيل الابيض أنشأ في فشودة عدة مراكز وشاد معاقل في الجهات الشمالية والجنوبية وكان اذ ذلك ملك الشك من عائلة اسمها (كيكون) فلخذ ذلك الملك في أسباب التمرد وصار يلبس الثياب ويأكل على الموائد. وقد اهدى له غردون باشا هدايا ومنعه لقب (بك) فزاد اخلاصاً للحكومة الا ان قومه امتنعوا منه وضموا مخالفته لمواندئهم وتشبهه بالترك واضروا له الشر فثاروا على الحكومة عدة

نورات قتل في احداها يوسف بك حسن المشهور بكرده مدير فشوده  
وتقدمت تلك المديرية في مدته تقدما عظيما. ولما ظهر المهدي على جند الحكومة  
في جزيرة (آبا) وخلق بجبال (قدير) وحمل عليه راشد ايمن بك مدير فشوده  
وكان من أسره ما تقدم لنا إرادته في مكانه كان (كيكون بك) ملك الشلك معه  
وقتل مع من قتل فقام أحد رؤساء الشلك وأخذ معه وفداً شخص  
به الي المهدي في جبال قدير فكتب له المهدي بالامارة على الشلك وسماه  
(ممر) واعطاه أبواقا من التي غنمها من الحكومة فماد الى الشلك وأخبرهم  
بان المهدي اله وانه أخو معبودهم (النيكامه) وانه ولاء ملاك عليهم فاتبعوه  
لأنهم كانوا يرفرن المهدي مذكان شـيخا في جزيرة (آبا) فجمع ممر قومه  
وشرع في مناوأة الحكومة وامتنع عن تأدية الضرائب وتوطد نفوذه بينهم  
وحافظ على عوائدهم التي تقموا على كيكون بك ملاكهم السابق من أجل نبذها  
ولما فكك المهدي بحملة الجنرال هيكس وقررت الحكومة جلالة  
حاميتها عن فشوده لتعزير حامية الخرطوم خلا الجو لعمرك ملك الشلك واستقل  
بالتصرف في البلاد كلها

ولما توفي المهدي أعلن ممر أن المهدي استخلفه على المييد واستخلف  
الحامية على العرب وهم يسمون العرب (بون) بتعطيش النون واستمر  
في بلاده مستبداً بالحكم فيها حتى دخلت سنة ١٣٠٦ هجرية وفشا القحط في  
السودان ونسل الناس من جميع القحاج الي فشوده جلب الغلة فارسل التمايشي  
باخرتين تقلان ألف مقاتل انتلوا فشوده وكتب الي الملك ممر بأمره بتأدية  
عشر محصولات بلاده منذ عودته من جبل قدير أي نحو ثمانى سنوات  
وأرسل له هدية من الجوارى الحسان والسكر وبعض الملابس فسألهم عن ثمة



السكر فاذا قوه طعمه فقال انه لذيث ثم قال ان الجوارمي اللاني أهداهن الي الخليفة يعني من قبولن أنهن متمدات يلبسن الثياب وكان يمكنني قبولن لو كنت أجدهن في بلادي ثياباً مثل التي يلبسها وأخشي ان يصبن بضرر اذا أؤمتن بان يظللن عاريات مثل نسائي وأما الملابس فلا أستحسن أخذها حيث اني لم أعود لبسها والاولى ان اردھا الى الخليفة ليهديھا الي من يلبسھا وأما السكر فان في بلادي حسل النحل بكثرة ويمكنني أن استعيض به عنه واني وان وجدته لذيداً واشتيت نفسي تناوله ولكني أمنعها عنه لانه غير موجود في بلادي اذ أخشي أن تتعلق نفسي به في وقت لا أجده فيه

واما الاعشار التي يطلب الخليفة مني تاديتها له فلا أدفعها اذ لست خاضعاً له لاني مولى من قبل المهدي الذي هو مثل ( النيكامه ) والخليفة ملك العرب وأنا ملك الشلك وأنا مثله فلا تلزمني طاعته ولا تلزمه طاعتي غير انني أدفع له انني اردب من الغلال على سبيل الهدية ومكافأة له على هديته التي رفضت قبولها لعدم صلاحيتها لي

وكتب الملك عمر كتاباً الي التمايشي ضمنه هذا المعنى وأنفذه مع رسولين من قبله فقدموا على التمايشي بام درمان فعجب من وجود من يحسن الكتابة عند الشلك وأخيراً علم أن الكاتب غلام ابوه مصري وأمه من الشلك وكان مع والده في الخرطوم حتي قتل يوم سقوطها ففر مع امه ولحق ببلاد الشلك اخواله وأمه قريبة احد رؤساء الشلك الكبار فجعله الملك كاتباً له وحدث في بعض الايام ان أحد الدراويش أراد نهب جدي من ماشية لرجل من الشلك فلم تكده فصل يد للمتعمدي الى لمس الجدي حتى

علمته صاحبه بحربة جندلته في الحلال ونار الشلك كلهم ورفعوا رايات  
الحرب التي من عادتهم رفعها بالليل بكيفية يفهم منها اخذ الالهة للحرب  
وهي ان ياخذوا قناة يدهنونها بالزيت ويشعلون النار فيها فيراها أهل القرية  
القرية منها فيرمعون مثلها لأهل القرية التي تليها وهكذا حتى يعلم أهل البلاد  
كلها بالحرب في ليلة واحدة ويحتشدوا في أسرع ما يمكن ويرسلوا وفودهم  
لتلقي الاوامر بالحرب .

وبعد عشاء شديد وأخذ ورد بين قائد الدراويش وملك الشلك ثاب  
التأثرون الى السكنية وعاد الامن الى مجراه

وكان مع الدراويش شلكي من رؤساء القري التي في الشمال ولكنه بالنسبة  
لقربه من بلاد العرب تشبه بهم وصار يلبس الثياب فأخذه قائد الدراويش  
معه بصفة دليل واسمه (ايك) بن (غري) وهو من أقارب عائلة (كيكون)  
التي منها الملك كيكون بك. وحدثني احد الحاضرين ان الملك عمر أرسل  
خمسين مقاتلا ومعهم عشرة من الشيوخ والكجور الي منزل (ايك)  
وكان بمجوار معسكر الدراويش بفلس العشرة معه ووقف الخمسون على بده  
واخذوا يوبخونه على مخالفتهم عوائد الشلك وتشبهه بالعرب وانه جاء مع  
العرب بصفة دليل وعدوا ذلك خيانة للملك يماقب عليها ثم ثبوا عليه وضربوا  
عنقه وحلوا راسه الى الملك فلم يحسر احد من الدراويش على مقاومتهم أو  
الذب عنه واخيراً استاء التمايشي من عصيان الشلك وغطرسة ملكهم  
فجهز اليهم في سنة ١٣٠٨ الزاكي طبل امير جيش السلاطات في نحو  
عشرين الف مقاتل جلهم فرسان ومسلحون بأسلحة رامنجنون فساد الزاكي  
من التضاريف ثم اجتاز النيل واخترق الجزيرة حتى وصل الي اطراف فشدوه

وهناك وجد البواخر التي انضدها له التمايشي وحشد الملك امر جيشه  
للذود عن بلاده فهاجمهم الدراويش هجوما عنيفا وقتل الملك عمرو حلت  
رأسه الى التمايشي

ومكث الزاكي نحو ثلاث سنوات في فشوده يعمل في الشك السيف  
والنار غربت القرى التي على ضفة النهر وسالت الدماء كالانهر وصادر  
ماشيتهم وارسلها الى الخليفة فكان يختار منها ما هو صالح للنتاج ويؤلف  
منه قطعانا ينتفع بنتاجها ويبيع الباقي بواسطة بيت المال هذا بعد الارقاء الذين  
جلبهم منهم حتى هبط ثمن الجارية الى بضع ريات وثمان الراس من البقر الى  
ريالين وبالجملة ان الزاكي طرد غرب بلاد الشك كلها ودمرها وجلب منها  
اهلها ارقاء اختار التمايشي نحو خمسة آلاف من غلمانهم جعلهم من ضمن  
الجهادية حراسا له وسيأتي ذكر بقية اخبار الزاكي وقته

### ذكر بقية اخبار عثمان دقنه

قلنا في ما تقدم ان التمايشي استدعى عثمان دقنه الى ام درمان وعزز  
قوته بشرة آلاف مقاتل مع أبي قرجة على أثر ما علمه من انحراف القبائل  
في السودان الشرقي ونفوذهم عنه  
ولما غادر عثمان دقنه طوكر اغارت عليها القبائل الخارجة عليه بمساعدة  
بعض جنود الحكومة ثم عادت عنها بنير جدوى اذ لا مقاتلة فيها ولا جنود  
تدفع غارتهم عنها

وفي منتصف سنة ١٣٠٤ وصل عثمان دقنه الى سواكن معززا بقوة أبي قرجة  
الذي ولاه التمايشي على السودان الشرقي بدله اتقاء ثورة الاهلين ونفوذهم

عن عثمان دقته الذي شق عليه العزل ومكث في كسلة هو وابو قرجة الذي سار في الناس سيرة حسنة فثاب اكثر الثائرين على عثمان دقته الى الطاعة وأمن أبو قرجة السبل واعاد الصلات التجارية بين مصوع وكسلة واخذ في مغارة القبائل التي حوالي طوكر وسواكن بلهجة سلمية وقصد بذلك ارجاعها الى الطاعة فلم تفلح مغاراته لان أنصار عثمان دقته كانوا يذيعون في الناس أن ولاية ابي قرجة اسم بلا مسمي وأن الغرض منها تسكين الثوار حتى يعودوا الى الطاعة فاذا عادوا صاروا تحت سلطة عثمان دقته الذي هو الأمر الناهي لا ابي قرجة في باطن الأمر فقتلت مسامى ابي قرجة وذهبت ادراج الرياح على أثر اذاعة انصار عثمان دقته هذه الاقوال التي لا تخلو عن الصحة

وأخذ أبو قرجة حملات متتابة الى بعض القبائل التي تسكن في المنطقة القريبة من حدود الاحباش حوالي جبلي (الييكوت والمناع) وأكثرها القبائل مجوس لادين لهم وهم من قبائل الزنوج القديمة واشهرها قبيلة (الباريه والباذه) وقوام مبيشة هذه القبائل لحوم الماشية والصيد والالبان ويندر بينهم من يعرف الحبز وهم مثل سائر اهالي شرق السودان من حيث الماديات حيث لا يعرفون اكل الحبز والخضراوات التي يعتبرونها غذاء الانعام يترفع عن اكلها الآدميون ويسكن معظم تلك القبائل فوق قم الجبال الشاهقة وفي سفوحها وكرونها التي يتخذونها معاقل اذا دهمهم عدو وهي متسعة بأوون اليها بماشيتهم التي هي الغنم والابل والبقر ورجال الباريه والباذه فرسان لا يشق لهم قبار ولا يصطلي لهم بنار يقطعون السبل ويعترضون القوافل للسلب والنهب

ولهم عادات ومراسم تقرب مما نسمة عن طوائف اليزيدية والدروز  
هذا وقد اتخذه أبو قرجة في هذه القبائل وأغار عليها إغارات كثيرة  
ونهب شيئاً لا يحصى من ماشيتها

وبعد سنة زحف إلى طوكرو واحتل (هندوب) وهي موقع يبعد من  
سواكن بضعة أميال وأغار على القبائل التي خلت الطاعة فظفر ببعضها وفر  
أكثرها ورجأ إلى الجبال واعتصم بالكهوف

وحصلت جملة مناوشات بين عثمان دقنة والارباب الموالية للحكومة وبينه  
وبين الحكومة من جهة أخرى وقد جرح كتشنر باشا جرحاً أخفياً في إحدى  
المناوشات وكان وقتئذ قرمدان حامية سواكن وكانت الحامية في غضون هذه  
المناوشات مشغلة ببناء الحصون وتشديد الاسوار على سواكن

ثم حصلت بعد ذلك واقعة بين عثمان دقنة وحامية سواكن قتل فيها  
ضابط إنكليزي اسمه الكابتن تاب

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٥ شفى كتشنر باشا وعاد إلى سواكن وفيه  
هاجم عثمان دقنة مقل (ردوت والجيزه) وأمد أبو قرجة عثمان دقنة  
بسبعة آلاف مقاتل وتمززت قوة الدراويش في هندوب ولكن خرق  
الحلاف اتسع بين عثمان دقنة وأبي قرجة فهذا يرى أن لا فائدة في مناوشة  
سواكن والمرابطة في هندوب وذلك يخالفه ويتمه بالجبن وعدم الاقدام بل  
بالحياسة والميل لجانب الحكومة وأذاع عثمان دقنة أن أبا قرجة كان يجتمع  
مع قواد الحكومة ليلاً فاستدعى التماشي أبا قرجة على أثر ما علمه من عثمان  
دقنة الذي أعيد للإمارة وخلال الجول في السودان الشرق  
وفي شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٥ اشتدت مضايقة عثمان دقنة لسواكن حتى

اقتربت متاريسه من الاسوار وصارت على بعد خمسمائة ( برده ) فقط  
وعين عثمان دقته رجلاً ذقناً اسمه عثمان النائب قائداً للمقاتلة الذين  
في المتاريس الامامية وواتوا اطلاق النيران على سواكن حتى خيف سقوطها  
في أيديهم ولم تدركها حماية السفن الانكليزية في البحر وأحرق حصن شانه  
الذي كان من الشوك وضويقت سواكن وافتقرت حاميها الى النجدة وكانت  
الحكومة ترى وقتئذ اجلاء الحماية وترك المدينة للدرأويش وبعد مداولات  
قررت حفظها

ثم دخلت سنة ١٣٠٦ وسواكن في حالة ضيق شديد وطم العدو اكثر  
الآبار التي تستقي الحماية منها اذ كانت خارج الاسوار  
وفي أوائل شهر صفر من السنة المذكورة وضع عثمان دقنة المدافع على  
حصونه وصار يطلقها على « حصون الحكومة » فاندش القواد من انتظام  
مقدوفاتها واصابتها المرمي

وفي ربيع الثاني من السنة المذكورة وصل الى سواكن الجنرال غرانفيل  
باشا سردار الجيش المصري وقتئذ فارسل اليه عثمان دقنه كتاباً يخبره فيه بان  
أمين باشا حاكم أقاليم خط الاستواء والمستر ستانلي السائح الانكليزي المبعوث  
لائقاً لحماية خط الاستواء قد وقفا في أسر المهدوية وكان مقصده من ذلك  
الارهاب والتضليل

وبعد أيام قلائل هاجم الجنرال غرانفيل معاقل عثمان دقنة بمدة طوابير  
من الجيش المصري فدمرها وقتل من فيها من المدافعين وكانوا لا يزيدون  
عن سبعمائة مقاتل ولكنهم ابلاوا بلاء حسناً ودافعوا عن موقعهم دفاع الابطال  
وكانت هذه الواقعة في أواخر شهر ربيع الثاني عام ١٣٠٦ هجرية

وعقب واقعة المناريس تهاجم عثمان دقنة الى طوكر وعسكر بها وكانت  
 الجماعة وقتئذ ضاربة اطنابها في انحاء السودان كله خلا طوكر فان الاقوات كانت  
 تجلب اليها من سواكن ومكث عثمان دقنة في طوكر بقية سنة ١٣٠٦ يوالي  
 النصارى على الاعراب الذين انحازوا الى الحكومة وشقوا عصا الطاعة  
 عليه لاشتداد وطأته عليهم حيث زاد المكوس زيادة فاحشة وصار  
 يقتل منهم في كل يوم عشرات فكانوا يهرعون الى الخليفة متظلمين منه فلا  
 يجدون لديه مايشفي غليلهم وكثيراً ماأمسك المتظلمين وجلدتم بالسياط  
 حتى أنه جلد واحداً منهم الفا وخمسمائة جلدة بسياط قد وضعت فيها حلقات  
 من الاسلاك الحديدية حتى مات

ولما علم الاهل ان لا انصاف من عثمان دقنة ولا راحة من مظالمه  
 قلبوا للمهدوية ظهر الجن ووالدا الحكومة وحالفوها على حربه فوزعت  
 عليهم الاسلحة النارية ومن ثم اشتغل عثمان دقنة بالنارة عليهم وكان في اكثرها  
 يرجع مدحوراً متكبداً خسائر جمة

وفي أوائل سنة ١٣٠٧ استقدمه التمايشي الى ام درمان من طريق بربر  
 ثم اذن له في العودة من طريق القضارف فكسلة فطوكر واعطاه أصرأ الى  
 جميع الامراء ان لا يعترضوا من رغب من الناس في مصاحبته

ولما وصل القضارف تبعه أناس كثيرون من أهلها فارين من الجماعة  
 التي أنأخت عليهم بكالكها ومنهم كثير من اسري المصريين الذين كانوا في كسلة  
 ثم لما وصل الى كسلة تبعه كثير من المصريين أيضا ولحقوا بطوكر فراراً من  
 الجماعة أيضا كمن تقدمهم

ووصل عثمان دقنة الى طوكر وجعل همه النارة على الاعراب

الموالين للحكومة وسنمود الى ذكر بقية أخباره وهزيمته في طوكر

ذكر هزيمة الدراويش من هندوب وأخباراً ماراً  
أما أراسم لقبيلة في أرباض سواكن وهي قبيلة رحالة ماشيتها من الأبل  
والنم ولتها أهجية مثل سائر سكان السودان الشرق وكانت هاته القبيلة  
أول من خلع طاعة الحكومة وظاهر عثمان دقنة عليها وزعيمها أحمد بن محمود  
كان أكبر انصار المهدي في أوائل الدعوة إليها ولم يكن لذلك من سبب سوى  
أنه كان من مریدی الشيخ الطاهر المذوب استاذ عثمان دقنة  
ثم ما لبث طويلاً حتى مج عثمان دقنة وبفضه بسبب ما رفق به (أما أراسم)  
قبيلته من المظالم والمغارم واشتد الحصار بينهما فتحفز عثمان دقنة للوثبة على  
على أحمد محمود شيخ أمارأ والبطش به ففر ولجأ إلى حكومة سواكن ثم فر منها  
ولحق بالتعايشي بام درمان وقدم مالا طائلاً إلى يعقوب أخى التعايشي وسأله  
أن يكون وسيطاً له عند أخيه ليكتب له بالامارة على قومه على أن لا تلزمه  
طاعة عثمان دقنة فأجاب التعايشي طلبه وكتب له بالامارة على قومه وإن  
يجعل معسكره في هندوب وفوض إليه أخذ العشور من التجار الذين  
يخرجون بضائعهم من سواكن فقادراً أحمد محمود أم درمان آتياً إلى سواكن  
في أواخر سنة ١٣٠٧ فتوفي في أحد المناهل التي بين بربر وسواكن وكتب  
التعايشي إلى أحد أخوته بأن ينوب عنه في محله

وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠٨ أرسل أحد جواسيس التعايشي في أصوان  
عددًا من اخدي الجرائد المصرية فيه أن عدة طواير من الجيش المصري  
ستبحر من السويس إلى سواكن لتأليف قوة حربية تهجم معسكر الدراويش



في هندوب ثم تعود تلك القوة الى - واكن حيث تبحر منها الى ثمر (ترب: كينات)  
ومنه الى طوكر برا

وبعد ليلتين مضتا على وصول هذا النبا - باء الى التمايشي خبر من هندوب ان  
ثلاثة طواوير زحفت من سواكن على هندوب فباغت الدراويش عند شروق  
الشمس وكان شيخ (أمارار) ومن معه من قومه كانوا على علم بهذه اللباغة  
فامتطوا دوابهم ولم يسدوا أقل مقاومة وولوا مدبرين من وجه الحامية  
المصرية التي كانت سائرة الى المعسكر بسكينة وانتظام كأنها داخلية الى  
احدي ثكناتها العسكرية ونجا رجال (أمارار) ووقع في أسر الحكومة بمض  
اعراب من الذين يجهلون ما بين الحكومة وشيخ أمارار الذي قيل ان ١٦٠  
أخوه احمد محمود كان بايواز من حكومة سواكن وان ما قدمه ليمقوب اسي  
التمايشي من المال كان من مصروفاتها السرية

وبدل على ذلك انهم بعد هزيمتهم من هندوب عادوا الى سواكن من  
طريق آخر فقبولوا بالاكرام واجريت عليهم المرتبات وبلغني أن موت أحمد  
محمود لم يكن الامن سم دسه له التمايشي في الدسم  
والحاصل ان قبائل السودان الشرق التي كانت موالية لعثمان دقنة  
على الحكومة رجعت بالعهاء عليه وصارت مع الحكومة عليه

### ذكر هزيمة عثمان دقنة من طوكر

ان من يتأمل في الحالة الاولى التي كان عليها عثمان دقنة في اوائل دعوته  
للمهدوية وما كان يصادفه في خطواته كلها من النجاح والظفر ثم ما آل اليه  
أمره من الفشل والهزيمة يرى انه قضى على نفوذه بنفس السلاح الذي كان

يضرب به هام رجال الحكومة

وذلك انك ترى فيما كتبناه عنه في ما تقدم من هذا الكتاب أنه أحرز شهرة تكاد تضارع شهرة المهدي نفسه لأنه قام بدعوة قبائل السودان الشرقي بالصفة التي تقدم ايرادها وكان في بداية أمره يتدرب بنفوذ استاذ الطاهر المذنب ولكنه مع هذا النفوذ أظهر سياسة تكفلت بالنفاق القبائل حوله واستيلائه على قلوبهم حتى بلغ من أمره أنه لو قال لهم غوضوا البحر الأحمر حتى تبلغوا الهند لبوا الى ذلك مسرعين

وتوجد مشابهة بين المهدي وعثمان دةثة وذلك أن المهدي عرف كيف يتمكن من التأثير على أهالي السودان بما يفتره من الدعاوي الطويلة المريضة وهي مهارة لا يتردد أحد في أن متوخيها عرف أن لا سبيل للتأثير على الامم الا من الجملة التي تميل اليها

وكان عثمان دقة متأثر المهدي الذي كان ذا طلاقة في اللسان وتصرف في البيان بقدر معه على التعبير عما يكنه فؤاده بمجمل عامية يفهمها الجهلاء ويملكون بحجرة بلاغتها من حيث تأديتها المعنى المقصود بالفاظ عامية توافق أذواق السامعين سيما أهالي السودان الشرقي الذين لا يتكلمون باللغة العربية بل لغتهم أهجية مهيجة وكان من الحال أن يبلغ المهدي غايته من التأثير عليهم فقام فيهم عثمان مقام المهدي وعرف طريقة استمالهم بما أوتيته من البراعة في لغتهم حتى أنه كان اذا قام فيهم واعظاً أو خطيباً يؤثر عليهم تأثيراً يجعلهم له أطوع من بناته

وكان يقرأ عليهم آيات القرآن الشريف ويتبها بتفسير معانيها . على أن أهالي السودان الشرقي كانوا لا يعرفون من الاسلام الا اسمه وكانوا في

حالة بدواة تكاد تكون قريبة من حالة الشك التي تقدم لنا وصفها  
فاجتذب عثمان بسذوبة الفاظه وبلاغة كلامه أثبتهم للإسلام حتى تمكن  
الايمن من قلوبهم وحكى لنا اكثر من واحد أنه جمع ذات ليلة نساء  
(المهذوبة) ووعظهن حاثاً لهن على الصدقة واتفاق المال في سبيل الله فإنا  
منهن واحدة الا ونزعت ما عليها من حلل ومصاغ وألقته بين يديه فاجتمع  
من هذه الصدقات مقدار وافر من الذهب والفضة وبلغ من حماس أولئك النسوة  
لهن كن يرافقن أزواجهن في الغزوات يحملن الماء والزاد لهنسأه للمقاتلين  
ويجهزن على المبروحين بما يحملنه في أيديهن من السلاح حتى صرن يمثلن  
باشلاء القتلى تمثيلاً شنيعاً وقد تقدم لنا ذكر ذلك

والحاصل ان عثمان دقته نال حظوة في السودان الشرقى كانت كافلة له  
أن يسبق بمسء موت المهدي في مركزه ولو كره ذلك التمايشي الذي كان  
يجهز عن مناوآته ولكنه مالبث أن انقض الناس من حوله وبأهروه  
بالمداوة ولا غر وفان الظلم مرتمه وخيم

هذا وقد أمد التمايشي عثمان دقته بالجوش الجرارة بقصد ارغام الاهالي  
على الطاعة فلم ترقن أعماله بالنجاح ولو فرض أنه نجح في اخضاع الناس فلا  
يكون خضوعهم الا مداراة حيث كانت القلوب منصرفة عنه كما بات التمايشي  
في أخريات أيامه تداريه الالسنه والقلوب تتربص به الدوائر لتخلص  
من وطأة ظلمه الذي أوهقهم به

وأصبح عثمان دقته أرف ذلك فريداً لا أنصار له من أهالي البلاد وكان جنده  
عبارة عن المقاتلة التي أمدّه التمايشي بهم وجعلهم من متآلة أبي قرجة الذين  
بنسبه ونسروا عنه لما كان بينهما وبين قائدهم أبي قرجة من المناقشة التي تقدم لنا

الامناع اليها وفر أذن هؤلاء المقاتلة ولحقوا بديارهم في الحرطوم لانه كان لايعطيهم ما يقوم بحوائجهم الضرورية

ويظن كثير من الناس ان عثمان دقنه قد ندم في أخريات أيامه على ما فرط منه من متابعة المهدي لما شاهده من أعمال التماشي التي تخالف أعمال المهدي على خط مستقيم ولكنه كان لا يامن جانب الحكومة بعد ان أتى ما أتاه معها

ولقد حكى لي أحد القواد الذين كانوا معه أنه ساهره في خلوة وقال له ان الحكومة تدعوني الى الطاعة وتمدني بكل خير ان أنا خضعت لها فاذا نظنها تفعل بي اذا أسلمت نفسي لها فقال القائد وقد ظننه يحتبر ما يضمره لاثمن جانب السكندر فاتي أرى أنهم اذا تمكنوا منك سجنوك وجعلوا غذاءك الثلاثة تمنعها كما تمنع الحيل العلوقة وربما فقتوا عينيك وتركوك في قعر السجن فاربته وجه عثمان وقال له ما قلت الا حقاً

وحكي آخر ما يفهم منه ان عثمان أدرك خشونة مركبه وأنه صار بلا سند في السودان الشرق ولذا أصبح في حاجة للاستمرار على ولاه التماشي الذي كان يخضه في السر وينسب الى سوء ادارته ومظالمه خراب السودان وأنه قال يوماً لبعض خاصته ما يأتي

أحلف بكتاب الله هذا (ووضع يده على المصحف الشريف) أنني لا أخاف الا من ثلاثة فقال جليسه ومن هؤلاء الثلاثة فقال هم الخالق عز وجل والمجذوب بن أستاذي الشيخ الطاهر والخليفة التماشي فقال له لم أنهم قصدك وأرجو أن تمصح لي عن مرادك فأجابه عثمان أنني أخشى الله تعالى لانه قادر على خذلاني في الدنيا وعذابي في الآخرة وأما خوفي من المجذوب فلانه رجل

قليل الأدب يضيق صدري من وقاحته وأخشي أن تعرط مني كلة تثير  
خاطره ولو تفرأ خفيها فأكون قد أسأت والده أستاذي الشيخ الطاهر  
الذي أجله وأحبه أكثر من حيي لنفسي وأفديه بأبوي وأنه كما علمت أهدي  
إليّ الامارة وبوأيّ منصبها واني أطلب من الله أن أخرج من الدنيا  
وتكون حياتي ومالي فداء لشراك نعل أي أحد من عترة أستاذي الشيخ  
الطاهر رحمة الله عليه. وأما خوفي من الخليفة التتايشي (وعندئذ تنهد شتان  
وخنقته المبررة وقال يضيق صدري ولا ينطلق لساني) فاني أخاف أن أنا  
خالقته أن يقبض عليّ ويغنيّني إلى خط الاستواء (ثم سكت طويلا) فقال  
واقسم لك على كتاب الله أنني لا أهاب الموت ولست جباناً ولكنتي أقتي  
شأنه الأعداء

ومن هذا الحديث يفهم القاريء ماوصلت إليه حالة عثمان دقنه من  
الارتباك في أيامه الأخيرة

ولما دخلت سنة ١٣٠٨ منعت الحكومة خروج القوات من سواكن  
فتصاعدت الاسعار ثم عز وجود المؤنة في معسكر طوكر ففر من المعسكر  
كل من قدر على الفرار من المقاتلة وتجهز عثمان فيمن بقى معه منهم للغزو كي  
يحصلوا من النهب مايقوم بم حاجتهم من القوت فاوغل في وسط الجبال ونازل  
الاعراب الموالين للحكومة ففاجأه نبال احتلال الجنود المصرية هندوب فاسرع  
الابوة إلى طوكر فبلغها قبل أن تهاجمها الجنود بضع ليال

وفي أواخر شهر رجب سنة ١٣٠٨ هاجم هو لدسميث بإشا طوكر  
بضعة طواير من الجيش المصري فخرج عثمان دقنه لقاؤه في بضعة آلاف  
مقاتل وانتشبت الحرب بين الفريقين وحاول الدراويش إقتحام المربع

فصد بهم المذوفات ووارى منهزمين لابلون على شيء وكان عثمان واقفا وراء مقاتلتهم بعيداً عنهم بمسافة ألى متر

وبعد الهزيمة اسلموا ماخف من امتهم ونساءهم وقصدوا كسلة وتخلف عن مرافقتهم عدد كبير من الاسريين ولم تقدم القوة الى طوكر وخاف المصريون ان يكر عليهم عثمان في الليل فحملوا الاسلحة واستعدوا لدفعه عنهم حتى تبلغ النسيح وسار أحد أسرى المصريين الى معسكر الجنود المصرية واخبر القائد بفرار عثمان دقته وتخلف المصريين عن مرافقته وانه ودرايشه حملوا متاعهم ونساءهم وغادروا طوكر قاصدين كسلة منذ صباح أمس ولم يبق في طوكر غير المصريين الذين كانوا مأسورين فتقدمت الحامية واحتلت طوكر ومن العجب ان الجنود مدوا ايديهم وسلبوا ممتلكات المصريين وعانوا في أعراضهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

### شان عثمان دقنة بعد ذلك

لما انهزم عثمان دقنة من طوكر سار فيمن بقي معه من المقاتلة خاشعين مذعورين يتعدون عن الفجاج التي تقرب من العمران ويختفون في الغابات خشية أن تشر بهم قبائل الاعراب النازلة بين تلك الغابات والجلال وجعلوا وجهة سيرهم كسلة فهلكت دوابهم ومات اكثر الضحفاء من الاطفال والنساء ونفذت اقواتهم حتى صاروا يقتاتون بوبرق الشجر وكان سيرهم بطيها لما هم فيه من الجوع وقعدان الدواب والخوف من الاعداء

ولما وصلت ابناء هزيمة الى التماشي أظهر غضبه على عثمان دقنة ونسب اليه سوء التصرف في الامور وان انصاره ما انفضوا من حوله وتركوه

وحيداً إلا بسبب فظاظته وسوء سيره

وكان عثمان دقته مدركاً لما أهدق به من الخطر بسبب غضب التمايشي الذي لا يظفره غير الرشا التي تدفع لآخيه يعقوب

ويحسن أن أورد هنا قصة تحتمت ثقة راويها وهي أن عثمان دقته كان قد خبأ قدراً عظيماً من المال في أحد الجبال القريبة من كسلة فرج في سيره إلى كسلة على ذلك الجبل وأخذ نحو مائتي ألف ريال وزع منها خمسين ألفاً على من كان معه من الاعوان وحمل الباقي معه إلى أم درمان حيث بلغها في أواخر شهر ذي القعدة فدفعت منه مائة ألف ريال ليعقوب أخى التمايشي الذي توسط له عند أخيه فنصفه عنه. وفي أواخر شهر ذي الحجة أمر التمايشي عثمان دقته أن يذهب إلى جمة (دارامه) على نهر اتيره بين بربر وكسلة وأن يجتهد هو وجنوده في زراعة الذرة ليحصلوا على قوتهم منها ودفع لهم نحو مائة رأس من البقر والنسج ليقتاتوا من نتائجها فصادر عثمان دقته أم درمان وعسكر في (دارامه) وأخذ ينسب على أطراف سواكن للسلب والنهب ولم تعد له أهمية تذكر

### حالة السودان بعد ذلك على الأجمال

ظهر لك مما تقدم كيف استبد التمايشي بالملك وكيف قدر على التغلب على من ناوأه وكيف أزهق البلاد بمظالم تنوء بحملها الجبال وقد ذكرنا ملاحق ببعض القبائل الكبيرة من الهلاك والدمار ولا يظن القاريء أن القبائل الصغيرة والشاثر التي تسكن القرى قد سلمت من ضرر هذا السيل الجارف فانها نالت نصيباً من الحيف لا يقل عما نالته القبائل الكبيرة

عدا المجاعة التي عمت السودان كله

ونحن لم نذكر تفاصيل ما أصاب القبائل الصغيرة والعشائر التي تسكن القرى لعلنا أن ذلك يستغرق مجلدين ضخمين لا يقبل حجمها عن حجم كتابنا هذا ولكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله. وهاتين موردون لك نردا من تلك المظالم ليكون لك دليلا على ما أصاب السودان ونبدأ بذكر حادثة « قري وادي شعير » فنقول

هذه القرى واقعة في جنوب شرقي الخرطوم بمسيرة بضعة مراحل وتبعد عن النيل الأزرق بنحو عشرة أميال وأرضها خصبة تجود بمحاصيل وافرة من الذرة والقطن ذهب اليها جماعة من الدراويش لجباية الضرائب ثم دخلوا إحدى القرى ومدوا أيديهم الى الماشية فذبحوا منها ما زاد على كفايتهم ثم نهبوا الاغذية من داخل البيوت فلم يمترضهم السكان ولا حركوا ساكنا لمنهم بل تركوهم وشأنهم فعدوا بعد ذلك أيديهم الى النساء وعجنوا بهن فهب الاهلون حينئذ ووقفوا في وجوههم وقفة المدافع عن عرضة الذئاب عن حريمه فلم يثن الدراويش عن الاعتداء ولجوا في الطغيان وضربوا الاهلين بالاسلحة فسقط منهم قتلى وجرح منهم كثيرون ونشبت الحرب بين الفريقين وسالت الدماء واستصرخ أهالي القرى بعضهم وتألّبوا على قتال الدراويش الذين فروا أمامهم مدحورين حتي بلغوا ضفة النهر وهناك بمشوا يخبرون التماشي فأرسل خمسة من النواب توجهوا الى محل الواقعة وعادوا فاخبروه بما وقفوا عليه فأصدر أمره بمصادرة أموال سكان تلك القرى وأخذ نسايتهم مسيات لانهم كفار حاربوا دراويش المهدي ولم يرضخوا لكل ما يأتونه من المنكرات



هنا ما وقع لاهالي (قرى وادي شعير) ولم توجد في بلاد السودان  
كلها قرية لم يقع لها مثل ما وقع لهاته القرى وانما أوردنا جادتها مثالا يقاس  
عليه ما حاق ببقية القرى لضيق المقام عن استيعابه

وكان من العوائد الوفرة عند الدراويش إنهم إذا سافروا من بلد الى خري  
لا يحملون زاداً ولا ميرة بل يذبحون ما يصادفهم في طريقهم من الماشية  
ويدخلون منازل السكان يأخذون ما يجدونه فيها من الاغذية يأخذون  
الحبوب لعلف دوابهم وينزل القواد في منازل الاكابر فيقدمون لهم الاغذية  
الفاخرة وليتهم يقفون عند ذلك بل لا بد من دفع الرشاهم فاذا تناولوا المال  
وأكلوا ماشاؤا من الاطعمة ورحلوا عن القرية أو البلد بدون أن يشتغلوا لها  
أسبابا يستعملون بها أخذ المال وسبي النساء عند ذلك من أكبر النعم على أهل  
تلك القرية وفي غالب الاحوال تكون نجاتهم هذه لاسباب منها ان لا تكون نساؤهم  
جيلات وأن لا تكون أموالهم الا قدر ما يقوم ببعض ضرورياتهم أما اذا كانت  
النساء حسانا والمال زائدا عن الضروريات فلا بد لهم من يوم يذوقون فيه  
المذاب الاليم

ونقل الي واحد من المصريين سافر مع احدى السرايا الى جهة النيل  
الابيض وكان الدراويش زهاء ألفي مقاتل أنهم بعد ان غادروا أم درمان بمائة  
ميل ذبحوا مائة وخمسين رأسا من البقر ومائتي رأس من النعم وهكذا كان  
فلهم بالماشية التي تقابلهم في الطريق أما الغلال فكانوا لا يأخذون منها غير كفايتهم  
وفي ذات يوم وصلوا الى أحد الاسواق وفيه أجران النلة فهبوها وكانت  
نحو ثلاثة آلاف أردب

وجلة القول ان بلاد السودان في أوائل سنة ١٣٠٨ أصبحت بسبب

الجماعة فاقدة تسعة اعشار سكانها وأصبحت البلاد قاما صنفما وكأن التماشي  
انما رضى بتلك النتيجة لانه بها أمني على ملكه من ثورة الاهالي عليه  
وأخذ في توزيع أقاربه البقارة واسكانهم في المقاطعات الحصينة  
أما بلاد كردفان فانها لم تصب بالجماعة في الستين الماضيتين لان الامطار  
هطلت فيها غزيرة ولكن التماشي أرسل لها نحو اثني عشر ألف فارس  
انتشروا في البلاد انتشار الجراد فالتهموا محاصيلها في أشهر قليلة وما جاء آخر  
سنة ١٣٠٧ حتى تصاعدت أسعار الاقوات ودخلت سنة ١٣٠٨ والجاعة فاشية  
في اقليم كردفان وانحبس المطر ضها وهلك من هلك من السكان وفر باقهم  
ولجؤا الى الجبال

ويرى الذين وقفوا على الحوادث السودانية منذ بدايتها ان المهدوية  
تلاشي أمرها منذ سنة ١٣٠٦ ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وأنهزمت جيوشها  
في أكثر الجهات ففي سنة ١٣٠٦ قتل ابن النجومي في حدود مصر وسبأني  
ان الايطاليين هزموا الدراويش شر هزيمة قبل أن يحتلوا كسلة في واقعة  
(غررت) ثم أخذت في التلاشي والهبوط

ومن الحقائق التي لامرأ فيها ان الحكومة المصرية لو قصدت فتح  
السودان في سنة ١٣٠٦ أو ما بعدها لتدبرت على الاستيلاء عليه بغير غناء يذكر  
بالنسبة لما صادفته في طريق فتحه فقد أرسل اليها في سنة ١٣٠٦ أكثر الامراء  
المرايطين في دفلة يعرضون خضوعهم لها ويسألونها المفوع جرائهم

أما التماشي وقومه البقارة فقد انتفوا في الترف وتسموا بالملاذوب بذلك  
فقدوا ما كان فيهم من صفات الشجاعة والبدادة ومع ذلك فقد كان  
لا يوجد بين الاهلين خمسة في المائة يخلصون لهم الولاء بل كان الكل يثبون

من ثقل وطأة مظلالمهم ويتأقنون من سوء سيرهم ولكن بقيت في قلوب  
الاهلين بقية من الاعتقاد بمهدوية المهدي وكانوا يلقون تبعه للظالم كلها على عاتق  
التمايشي ويسمون في الخلاص من ظلمه بمبايعة أحد الخليفين على حلو ومحمد  
شريف الا أن آمالهم في هذا الأخير كانت أوثق منها في ذلك نظرا لقرابته من  
المهدي ولان ذلك كان له بعض حظ في دولة التمايشي

ومن المضحكات ان الناس تفرط ما أصابهم من ظلم التمايشي قام أكثر  
منهم وكل يزعم أنه المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يرومون  
بذلك الوصول الي سلب الملك من التمايشي اذ ظهور المسيح يعقب المهدي فكان  
لا يمر يوم الا ويظهر فيه كثير منهم عدا الذي ذكرنا خبره في (القلابات)  
ولقد قام رجل مصري من أهالي الخرطوم اسمه ( خليل جامع ) مدعيا  
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة عثمان بن عفان عليه  
سحاب الرضوان وأمره بتوزيع مافي بيت المال من الاموال فقبط عليه  
وسيق الى التمايشي الذي كان يرفه حيث كان متزوجا ببنت عمه فقال له  
يا خليل ما هذا الذي تدعيه فانهره وقال له هذا أمر جاني من الله ورسوله  
وأنت لا تجهله فقال التمايشي انه مجنون وان الجنى الذي معه ساكن في بيت  
المال فاذهبوا به الى سجن بيت المال فكث فيه بضع سنوات ثم أطلق سبيله  
واستمر على حالة جنونه

وكان بمجوار بيت المال قبضي اسمه ( محروس ) يسكن مع قريبة له  
اسمها ( مصطفية ) وكلاهما من أهالي الخرطوم أصيب ذلك الرجل بمحنة فصعد  
علي رابية عالية وخطب في الناس قائلا انه ( ماري جرجس ) فدنت منه  
قريبته المذكورة وقالت له يا محروس انك بدعواك هذه تلمص بنا تهمة أننا

لأنزال نصاري فأرجوك أن تترك هذه الدعوى وتدعي غيرها كما يدعي المسلمون فأنهرها وقال لها اذهبي فقاتله انتظر الموت لأن أصحاب الدعاوي الملائمة لأذواق المسلمين يقتلون ويسجنون فكيف بمن يدعي مثل دعواك التي تدل على أنه نصراني ثم هرع أقاربه اليه وحملوه الى داره فقات بعد أيام بسيرة

والخاصل ان اهل البلاد صاروا في حالة غريبة وجل الناس تغيرت عقيدتهم في المهدوية وتبدلت أميالهم نحوها بالنفور عنها ولم يعد التماشي يتق بأحد من الاهالي غير أقاربه البقارة ولنا جمع ألوفا من الميسد (الجهادية) وسلحهم بالاسلحة النارية

وقد نفي الى خبر حادثة لأري بأسا بإرادها وان كنت لا أنجز بصحتها وهي أن رجلا من التماشي أقارب الغزالي الذي تقدم لنا ذكر قتله استأذن على التماشي فأذن له ولين معه وكانوا زهاء عشرين رجلا وبمدان أخذ الحراس مامهم من السلاح دخلوا عليه وأوجعوه ضربا (ولم يشمر بذلك غلانه لبعدهم عن غرفة جلوسه التي لا يؤذن لهم في الدخول منها الا اذا استدعي واحدا منهم) حتى أغشي عليه ثم تركوه وانصرفوا وكانت هذه التاديرة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٨ وفي الند قبض على الرجل والذين كانوا معه ونفوا الى خط الاستواء واشتد مرض التماشي حتى أرجف الناس بموته ومكث مريضا الى الشهر الاول من شهر ذي الحجة. وقد تضاربت أقوال الناس في اسباب نفي أولئك الرجال فمنهم من يرى ان السبب فيه هذه الحادثة ومنهم من يقول ان التماشي أسر اليهم كلاما فافشوه في ليثهم فقبض عليهم في الند والذين رووا الحكاية الاولى يخالفونهم ويؤيدون قولهم بمرض

التماشي والله أعلم بالحقيقة

وقد حدث في خلال السبع سنوات التي مضت على ولاية التماشي كثير من الحوادث التي لو اوردناها لضاق بنا القلم وأخصها مصادرة أموال كثير من الاغنياء لاسباب تافهة ان لم نقل انها مختلفة يقصد بها الحصول على أموال الناس

وقد حور التماشي اكثر الاحكام التي وضعها المهدي في الحدود منها أن المهدي لما كان في جبال قدبر أصدر منشوراً بشأن الدخان قال فيه ما يأتي « من استعمل الدخان مضغاً في القم أو حرقاً بالنار أو وضعاً في الاف يجلد سبعا وعشرين جلدة بالسياط »

ثم بعد استيلائه على كردفان أصدر منشوراً آخر جعل فيه العقوبة ثمانين جلدة وحبس سبع ليال ويمثل هذه العقوبة يماقب شارب الخرد وما ولي التماشي قال للناس وهو على منبر الخطابة (من وجد في بيته ربع درهم من الدخان يجلد ثمانين جلدة ويؤخذ جميع ماله غنيمة للمسلمين) وذلك مخالف لما قاله المهدي وليست مخالفته من جهة العقوبة فقط بل ومن جهة ان المهدي اشترط ثبوت استعماله بالالوجه التي اوردناها وامتلأت البلاد بالجواسيس الذين يتجسسون على المنازل لضبط الدخان مع أنهم يحملونه معهم ويدعون أنهم ضبطوه في المنزل ليتذروا الى مصادرة أموال أولى اليسار ولهم في ذلك حكايات يطول شرحها

وتقل لي ثقة مارايت ايراده تفككة للقارى وذلك ان أحد أهل العلم من أهالي الخرطوم فقد كل ما يملكه وقتل كثير من ذوى قرابته فصار في حالة تقرب من حالة الجنون. ومن نكاته المضحكة انه كان يتشاهم من يوم الاثنين الذي كان فيه سقط الخرطوم فكان يتكف في داره لا يخرج

منها منذ عصر يوم الاحد ويصبح منقطعاً عن كل عمل كما يفعل اليهود في السبت  
ومكث على ذلك زهاء سنة ثم انه ذهب يوم الثلاثاء الى النهر للاستحمام فاخطفته  
الامواج وكان لا يحسن السباحة فانتشل بعد أن أشرف على الهلاك فخرج  
من النهر وهو يقول اللهم لا اعتراض على حكمك في يوم الاثنين عذبتنا بالقتل  
والنهب وفي يوم الثلاثاء عذبتنا بالفرق فتشاهم من يوم الثلاثاء أي بنا وصار يعتكف  
من عصر الاحد فلا يخرج الا صبيحة الاربعاء وبعد أشهر مضت وهو على  
هذه الحال دخل عليه في داره جماعة من الدراويش وأسموه ضرباً بدعوي انه  
يستعمل الدخان وبعد اثنتي والثي خلع منهم فقال اللهم ارفع غضبك عنا في  
يوم الاثنين عذبتنا بكذا وفي يوم الثلاثاء بكذا وفي يوم الاربعاء بالضرب  
بالسياط وتشاهم أيضاً من يوم الاربعاء وصار لا يخرج من داره الا في صبيحة  
يوم الخميس ثم توفي بعد ذلك رحمة الله عليه

هذا وقد انهمك التمايشي وبطائه في الترف اكثر من ذي قبل  
وصار في حالة من السمن بحيث يكاد الذي رآه حين افضاء الملك اليه  
أن لا يعرفه وقد تقدم لنا انه كان نحيف الجسم مشوه الحلقة بأثار الجدري  
التي تركت في وجهه كهوفاً صغيرة زادت في شناعة منظره أما في سنة ١٣٠٨  
قد عمت آثار تلك الكهوف من وجهه فصار مستديراً بعد ان كان قبيحاً  
مستطيلاً وصارت عيناه كأنهما عينا لث يظنهما الراى مصابئين برمد اشدة  
احمرار يباينهما

وقد فعل التمايشي أشياء كثيرة تخالف ما كان المهدي ينهي عنه ويحذر من  
استعماله بل كان يرى مستعملها بالمروق من جادة الحق وآداب الدين  
فقد كان المهدي يلبس حذاء شرقياً ويلبس نعلاناً عربياً سبق لنا تعريفها

وأما التنايشي فلا يوجد في بلاده الا الشمال العربية فكان في بداية أمره لا يلبس غيرها وقد رأيت بعيني شقوق قدميه التي تكاد تحتفي الحشرات الصغيرة فيها كل هذا ذهب وأصبح في خبر كان وصار يلبس الاحذية الشرقية والخف

وكان المهدي قد حذر من سكنى القصور وبالغ في ذلك حتى ألزم الذين يشيدون المنازل باللبين الننيء ان لا يتجاوزوا في ارتفاعها أكثر من ذراع أو ذراعين وكان التنايشي شديد البغض لمن يرى داره مرتفعة عن هذا الحد وكثيراً ما أمر بهدم بعض المنازل التي يزيد ارتفاعها عن ذلك

هذا ما يماثل به الناس أما هو فقد شاد داراً واسعة شرقي الجامع واحاطها بسور من اللبن المحروق ووقف بناءها حتى كانت يحالها الانسان حصناً أو معقلاً وشاد قصر آفياً بلى جدار المسجد وجعل نوافذه مطلة عليه وعلى ساحة الاستعراض «المرضة» الواقعة غربي المسجد ومنع الناس ان يقولوا انه «قصر» وكان القضاة يزورون من يقول ذلك وقال التنايشي للناس انه ما شيد له ليسكن فيه بل ليصعد عليه في كل غداة جمعة لينظر الى ساحة استعراض المقاتلة وأطلق عليه اسم «كشافة المرضة» مع ان نوافذ القصر كما قلنا مطلة على المسجد والناس يرون باعينهم المصاييح فيه وروائح العطر تفوح من نوافذه ولا يجسر أحد على القول بان التنايشي ساكن في ذلك القصر وهمد حمام سراي الحكمندارية ونقل اقتاضه وأدواته من الخرطوم الى أم درمان وشاد بها حماماً في داره يستحم فيه وتقل منبر مسجد الخرطوم ووضع في مسجد أم درمان وشاد فوّه بناء شاهقاً واحاطه بمقصورة من قضبان الحديد وخصه بالخطابة

في غير الجمعة فإذا صمد عليه احتشد الناس حوله فيبدأم بقوله « السلام عليكم يا أصحاب المهدي » فيردون تحيته ثم يكلمهم بما شاء ويأمرهم بما يريد ويمظهم ويحشهم على مواظبة الصلوات الخمس في المسجد  
وجلة القول ان التمايشي تثيرت عليه قلوب الناس وتبدل ولاؤهم له  
بنضاب وسرت روح الثورة في جميع انحاء البلاد وبتنا ننتظر انقلاباً نرجو  
من ورائه فرجا

ذكر تعيين المؤلف وجماعة من المصريين امرأه  
قلت اني لما رجعت من قرية ( ولد الزاكي ) في البحر الابيض اثر  
هروبي الى ( شركيله ) ورجوعي منها أسلمني التمايشي الى بقاري يقوم  
بحراستي في المسجد وقد ظلمت خمس سنوات في اسره وسياأتي بيان ماقلسته  
في تلك السنوات حتى دخلت سنة ١٣٠٩ هجرية وحالة السودان على الصفة  
التي بناها

وفي عصر أحد الايام سمعنا مناديا يقول ان الخليفة يدهو جميع أولاد  
الريف ( المصريين ) الى الاجتماع ضحوة الند في ساحة دار أخيه يعقوب قفزنا  
من هذا الخبر وبتنا بلبلة طويلة نتوقع في غداتها سوءاً يصيبنا وذلك ان التمايشي  
عودنا انه لا يدهونا الا لامر نكرهه وتقدم بيان بعض دعواته فيما مضى  
وفي ضحوة الند اجتمعنا في منزل أخيه يعقوب وكنت جالسا خلف  
المحتشدين من المصريين وكانوا زهاء خمسة آلاف رجل وبعد هنيهة جاء  
التمايشي فوقفنا اجلالاً له ورفعنا أصواتنا بكلمتي الشهادة فسلم على يوسف  
منصور رئيس الطوبجية المهدوية واليد جمعه الذي كان مدير الفاشر ثم صار



طوبجيا مع يوسف منصور وأتي هليهما وامتدخ اخلاصهما للمهدوية وقال  
ياحبنا لو صار المصريون كلهم مثلها في الاخلاص للمهدوية ثم التفت الى  
يمينه ويساره وقال مالي لأرى ابراهيم فوزي فأسرت بتلبية ندائه وخرجت  
من الصفوف فقال لي يا فوزي أما ترى الاخوين الصادقين المخلصين لنا يوسف  
منصور والسيد جمعه فهلا اقتديت بهما وفلت فعلهما ألم ترهما يقضيان أكثر  
الوقت في بابي ولا ترناح نفوسهم الى غير روثي فقلت يا مولاي اني أشد اخلاصا  
منهما ولكنك لا تقربني منك كما قربتهما فسكت وقال لقد أزممتي الحجة ثم  
جلسنا وقدموا لنا أربع زكائب مملوءة تمرا وتروها أمامنا على الارض  
فصرنا نأخذ التمر من التراب ونأكله فقلت له ياسيدي أريد أن أحل جزءا  
من التمر تبركا لآل بيتي فضحك وقال ليحل كل منكم ما شاء

وبعد الاكل استدعاني أنا واسكندر بك وأعطاني راية لاكون أميراً على  
جميع المصريين الذين كانوا من جند الحكومة النظاميين ودفع الى اسكندر بك  
راية وجعله أميراً على جماعة (الطبة) أي الرعاع الذين يقضون حياتهم رحالة  
وبحترفون بالتسول بمضهم بالقردة وبمضهم بالدفوف ويتحنون على  
نغماتها ويضحكون الناس وهم المروفون في مصر باسم (خجر الشام) ودفع  
الى رجل كردى الاصل اسمه (حسن قره شولي) راية وجعله أميراً على  
الذين كانوا من جند الحكومة الغير نظاميين (باشبوزق) وكان أيضا  
للمصريين أمير آخر اسمه (حسن حسين) مصري الاصل كردفاني المولد  
والنشأة عينه المهدي أميراً على جميع (الموالييد) وهم المصريون الذين ولدوا في  
انحاء السودان وكان حسن حسين هذا قتيلاً ورعاً صالحاً يتظاهر بالاخلاص  
للمهدوية فامرتة عليه عند المهدي والتماشي وسائر الامراء وموظفي المهديوية

وكان مع ما هو فيه من شدة التمسك بالمهدوية فاطورة حسنة لقومه المصريين فكان يدافع عنهم منذ التماشي الذي كان لا يرد له قولا وكثيراً ما دافع عنهم الاضرر وبالجملة انه كان يريد منهم أن يتظاهروا بولاء المهدوية ليتمكنوا من داخلتها ويقبضوا على كثير من وظائفها التي لا يمكن لنيرم القبض عليها وقد ذكرت فيما تقدم انه رأى ابني محمد يمثل تدخين السجارة فسأله من ذلك فأجابه بقوله هكذا يفعل أبي وأخيراً حذرني من اطلاع هذا العربي على مثل هذا العمل ولم يصنع معي شيئاً يكدرني مع ان مثل هذه المسألة لو وقف عليها فغيره جلبت علي ضرراً بليفاً

وعلى ذكر المصريين نذكر هنا حالتهم التي كانوا عليها في اسر المهدوية وهي لا تقل عن الحالة التي قاسيتها الا أن بعضهم نالوا وظائف كتابية في بيت المال وعند عمال الخراج ونال بعضهم وظائف صناعة البارود وتبئة الخرطوش وسائر الادوات الحربية وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم وفريق منهم وأكثرهم من الضباط وذوي المراتب السامية قبل الاسر احترقوا بمن نأفة وفتح كثير منهم حوائيت للاطعمة والجزوم مع ذلك كانوا كلهم في حالة الاضطهاد والتحقير من جميع السودانيين ولم يكن لذلك من سبب سوى بياض بشرتهم الذي يدل على جنسيتهم

ومن الفرائب المضحكة ان رجلاً كان جاوisha مصرياً ثم صار يبيع « الترمس » وكان يرفع صوته في السوق ويقول ( تفرج ) فأمسكه حاكم السوق وقال له انك تقصد بكلمة « تفرج » عودة حكم الترك وزوال المهدوية فتصل من هذا التأويل وحلف انه لا يقصده فأمر بجلده لخمسة مائة جلدة وفي أثناء الجلدة كان يصيح بقوله « لا تفرج » لا تفرج ثم انه ترك

كله فرح في ندائه على بيع الترمس واستبدلها بقوله «خطبنا على الله» فأمسكوه  
ثانيا وجلدوه بعد ان قالوا له انك تقصد بهذه الجملة مقصدك الاول ومثل  
هذه العبارة كثير يد بالالوف ومنها ان امام أحد المساجد في الجزيرة قال في  
خطبة الجمعة « اللهم حول حالنا الى أحسن منه » جلدوه وعزلوه وقالوا له انك  
تقصد عودة الحكومة السابقة فقال لهم ماذا أقول فقالوا قبل ( اللهم أدم علينا  
هذا الحال » فالتزم ذلك

على ان كثير من المصريين تقدموا عند المهديين ونالوا وظائف كتابية  
وصناعية جمة كانوا بواسطتها في رغد من العيش الا انهم كانوا عرضة للسخرية  
والازدراء من العامة حيث كانت ألوان بشرتهم يضاء وكانوا ممنوعين من السفر  
الى الجهات الشمالية كيلا يفروا الى مصر حتى ان التماشي كتب منشورا بأهدار  
دم أي مصري وجد في جمة ( خورشيدات ) شمال بلدة أم درمان بستة  
أميال تقريبا

هذا وقد فاتني ان اذكر ان التماشي لما مثلت بين يديه في هذه المقابلة  
قال يافوزي ان النصارى كتبوا لنا في شأنك وهم على ما ظنن يحبونك فقطعت  
عليه الكلام وقلت هم يحبونني لاني خدمتهم باخلاص فيما مضى واتى أقسم  
بأنه اتني اخذك باخلاص أشد مما خدمتهم به لاني اذا كنت خدمتهم  
بصدق وهم كفار فكيف لا اخذكم وأنت خليفة المهدي عليه السلام الذي  
هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وتمايل طربا من هذا  
المدح وقال لي جزاك الله خيرا وبارك فيك أيها الرجل الصادق  
هذا وقد فرحت بالامارة لاني رجوت بها خلاصا من ربة المولكين  
بحراستي في المسجد الذين سيحيى ذكر ما قاسيته من عذابهم بضع مدة سنوات

## ذكر ملازمي الصلوات في المسجد

قد تقدمتني لما فردت في أوائل سنة ١٣٠٥ هـ عدت إلى أم درمان بالكيفية التي مرّ الكلام عليها

وفي يوم عودتي إلى أم درمان اسلمني التمايشي إلى بقاري يقوم بحراستي في الصفوف التي خلف مقصورته ولما رأي ذلك البقاري قال (يا ولد الريف) لماذا أنت ضخم الجثة ولماذا وجهك أبيض مع أنك كافر فقلت هكذا خلقتي الخالق فقال احمل سلاحك وسر خلقي فحملت سلاحه وذهب معي إلى منزلي وتناول طعام العشاء معي

وفي اليوم التالي بدأت بأداء الصلوات بجانب ذلك البقاري الذي انضم إليه آخر ليكونا معاً في حراستي فكانا يمتنانني من الخروج من المسجد ولو لقضاء حاجة الوضوء كما يمتنانني من أخذ الراحة فلا أجلس إلا جالساً على ركبتي كما يجلس المصلّي وقال لي يوماً (يا ولد الريف) اعلم أنك كافر وإن الخليفة اسلمك إلينا لنملك الصلاة والصوم وضيقاً على حيث صرت لا أقدر على التخلف من الصلاة بالمسجد وكان منزلي يبعد عن المسجد جهة الجنوب بنحو أربعة أميال فكنت أخرج من منزلي قبل طلوع الفجر بنحو ساعتين وبعد أداء الصلاة أجلس لقراءة (وآب المهدي) حتى ترتفع الشمس ثم أعود للصلاة الظهر قبل نهاية الساعة الثامنة من النهار على الحساب العربي لأنهم إنما يصلون الظهر في بداية الساعة التاسعة وبعد نحو ساعتين يصلون العصر وفي بعض الأحيان لا يصلون العصر إلا قبل الغروب بنحو ساعة وصلاة المغرب في الثالب تكون بعد غروب الشمس بنحو ثلثي ساعة وبعد ذلك أذهب

الى منزلي الذي كنت لا أدرك فيه راحة اكثر من بضع ساعات حتى صرت في حالة يرثي لها من العذاب الاليم والحاجة الى الراحة فاتفقت مع البطارين الحارسين على ان أدفع لهما ريالين عن كل وقت أتخلف فيه عن حضور الصلاة فقبلا بعد رجاء شديد وعدا ذلك أنهما كانا يذهبان معي الى منزلي ويناولان معي الطعام ويكفاني بشراء ملابس لهما ولولادهما ونسائهما بعد كل شهرين أو ثلاثة وفي بعض الاحيان يأخذني احدهما الى الحى الذي تقيم فيه مشيرتهم فيجتمع حولي منهم نحو مائتى شخص أظل نهاري كله اكتب لهم الخطابات الى ذويهم في جهات مختلفة وقرأ لهم الخطابات التي تأتيهم منهم وكلهم يدعوني (التوبى الذى دفنه الخليفة رقيقاً لهم)

وتصنع نساؤهم آنية من سف (الدوم) محكمة الاطراف الى درجة ان الماء لا يقطر منها كانها من الاجسام الصلبة وتتخذها الناس آنية يشربون فيها الماء فكانا يأتاني بضع أواني منها في الاسبوع ويكفاني بيعها والويل ثم الويل لي اذا لم أجد من يشتريها فكنت أحملها واذهب الى مارفي واكلفهم بشرائها وأعود بئنها اليهما .

وفي ذات يوم قضيت نحو نصف النهار ولم أجد من يشتري تلك الآنية فعدت بها اليهما فاغتاظا وقال لي انك لا تزال كافراً يا منحوس وسنخبر الخليفة بذلك بجبد الدمق عروقي واسرعت الى حانوت أحد أصدقائي التجار وكان أوروبيا والدمع يسيل على خدي فاخبرته الخبر فاسرع باعطائي ثمن الاواني وأخذها لنفسه فعدت اليهما ودفنته لهما فقال لي الآن اسلمت .

وصرت بعد ذلك الخ عليهما واكثر الاعتذار حتى صارا يقبلان ربالا واحداً عن كل وقت من أوقات الصلاة أتخلف عن حضوري فيه ثم بعد بضعة شهور

أعدت الرجاء عليهما حتى رضيا بثلاثة أرباع الريال ثم بنصفه وهكذا حتى صرت ادفع عن كل وقت قرشين

والاشتدني، الجماعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كانا يقولان لي يظهر لنا انك في سعة من العيش فكنت أحلف لهم انني في نهاية الضنك وفقدان القوت وكنت في ذات يوم تناولت غذاء من اللحم وجئت المسجد فتجشيت فصاحاني هل تغذيت بلحم فقلت كلا فغضبوا وشماني وقالوا لي انك لا تزال مصرا على الكفر وكلما اعتقدنا فيك حسن الاسلام يبدو منك ما يثير هذا الاعتقاد لانك تاكل اللحم وحدك فاجتهدت في نفي هذه التهمة عنى وزدت لها الزائب وبمد عناء شديد تحصلت على رضاها وصرت أمانع التجشّي وأنا جالس معها

ومما يشبه هذه النادرة ان أحدهما قال لي يوما ان بنته مريضة وهي تشتهي السكر فقلت له انني ما ذقته منذ خرجت من الحرم لان المهدي أوصاني بالزهد في الدنيا والسكر ذو طعم حلو لا يليق بالزهاد تناوله فتعجبا من قولي وقالوا لي لا بد من احضار (عجل سكر) هكذا يسمون القمع من السكر فقلت لهما ان ثمنه مرتفع جداً ولا يمكنني دفعه وبعد اللتيا والتي تمكنت من إقناعهما بتركه وقلت في نفسي يكفي تقديم الملابس لهما ومعلوم الاوقات فاذا فتحت باب السكر واللحم اكون قد جنيت على نفسي جناية ربما كانت منبها سيئة على

ومكنت على مثل هذه الاحوال من سنة ١٣٠٥ هجرية الى أوائل سنة ١٣٠٩ حيث تيسرت اميراً كما مر

ولما تيسرت أميراً امتنعت من حضور الصلاة بجانب ذبك البقاريين

فاعلم التمايشي فاستدعاني وهو جالس في مقصورته بالمسجد وقال لما  
 ذا امتنعت من حضور الصلاة مع رفيقك قلت له يا مولاي انك عيتني  
 اميراً ولا ريب انك رايت في أهلية لان اكون مرشداً لمن وليتني عليهم فانا  
 أقوم اليوم بتربيتهم وحضور الصلاة معهم فضحك وقال لذيالك البقاريين  
 تركاه وبذلك خلصت من ربة ذلها وبت آمناً من وشائهما في اكثر أوقاتي  
 وفة الحمد من قبل ومن بعد

ويوجد مئات من الناس قضوا اكثر ايام المهديونية في مثل هذا الحال الذي  
 وصفناه وكثير منهم فقدوا ثروة طائلة في سبيل استرضاء المولىين  
 بحراستهم بمثل الطريقة التي تقدم الكلام عليها مما يدل على ان المقصود الحقيقي  
 من وضع الناس تحت المراقبة في الصلاة هو تسريب مافي جيوبهم من المال  
 الى جيوب ضغفاء البقارة وكذلك أمر السجن فان السجناء واعوانه يتناولون  
 من المسجونين أموالاً طائلة حتي أصبح السجناء وراب أموال كثيرة

### ذكر انتقاض الخليفة شريف واولاد المهدي

الخليفة شريف ابن مم المهدي وثالث الخلفاء كما مر الالماع الى ذلك وهو  
 الذي لقب ( بخليفة الكرار ) وكان قبل وفاة المهدي صاحب الخطوة عنده  
 بالرغم من تقدم التمايشي عليه

وقد ذكرنا انتقاضه على التمايشي بعد وفاة المهدي وكان للمهدي ثلاثة  
 أولاد هم القاضل ومحمد والبشرى وكانوا في سن الطفولة لما توفي أبوم  
 وفي أوائل سنة ١٣٠٧ زوج التمايشي محمد بن المهدي بنه واسكنه  
 معه في داره فكان يظهر لها الكراهة والنفور لان التمايشي اضطهد اخوته

وأقاربه ومنع عنهم المعطاء من بيت المال منذ وفاة المهدي فكان الخليفة شريف يعطى مرتباً شهرياً يبلغ مائتي ريال وهو قدر زهيد بالنسبة لما كان يتناوله في أيام المهدي ولبتهم كانوا يتقدونه إياه في كل شهر اذ الحقيقة أنه كان لا يقبضه الا مرتين أو ثلاثاً على الاكثر في السنة كلها وزد على ذلك أن التمايشي انتزع رايته من يده ووزع جيوشه التي أهمها الجيش الذي هلك مع ابن النجومي في الحدود المصرية

وكان للخليفة شريف حراس من ذوي قرابته يطلق عليهم اسم (اللازمة) يركبون الخيول الكريمة ويحملون الحراب الطويلة ويحيطون به كلما خرج من داره فانزعهم التمايشي منه واخلفهم بثمان دقنة في السودان الشرقي وبالجملة أصبح الخليفة شريف مجرداً عن كل مميزات الخلافة التي كان حائزاً أو فراً نصيب منها في أيام قربه المهدي وكذلك أولاد المهدي الذين ذكرناهم فاتهم صاروا في نهاية الاضطهاد الا محمداً الذي تزوج بنت التمايشي فانه كان معتنيا بشؤونها ويقدم الطعام لها ولصهره فقط

وكان للمهدي أولاد غير هؤلاء في سن الطفولية ونساء يزيد عددن على المائة وكان الكل في نهاية الضنك يتضورون جوعاً ولما فشت المجاعة في سنتي ١٣٠٦ و ١٣٠٧ كادوا يهلكون من الجوع ولم يتداركهم ذووم

ولما دخلت سنة ١٣٠٩ وصارت حالة السودان الى ماأثرنا اليه وتغيرت فلوب الاهلين وتحفروا للوثبة على التمايشي اغتم الخليفة شريف وأولاد المهدي والمضطهدون من أقاربهم هذه الفرصة وارسالوا الدعاة سرا الى بلاد الجزيرة يدعون الاهلين للاشتكاض على التمايشي ومبايعة الخليفة شريف



وعزبوا لذلك اجلا يجتمعون فيه بام درمان وهو السابع والعشرون من شهر رجب سنة ١٣٠٩ ودخل في هذه البيعة كثير من الوجوه والقواد واكثرهم من حزب التمايشى الذى لم يكن عالما مما دبروه حتى اذا كانت ليلة الثانى والعشرين من شهر ربيع الثانى دخل عليه أحد الجواسيس وأوقفه على المسألة فاستدعى رجلا من أهالي كردقان وهو دنقى الاصل اسمه السيد المسكى بن اسماعيل الولي وكان أول انسان بايحه يوم توفى سلفه المهدى وقال له اذهب الى الخليفة شريف وبايحه بما يريد على شرط ان تقف على مادبره وتحبىرني به فاطاعه وذهب الى شريف وعاهده على المصحف الشريف وعلم منه كل ما يريد التمايشى الوقوف عليه ثم عاد اليه واخبره به فجمع التمايشى أخاه يعقوب وذوى قرابته ليتداولوا في الامر فقر رأيهم على ان يهجم رجال التمايشى على الخليفة شريف وأولاد المهدى ويقبضوا عليهم قبل ان يحل الاجل المضروب وكان فوزي وأحمدى ابنا محمود باريه الدتليان كاتين للتمايشى فاعلما الخليفة شريفا بما أجمع عليه رأى التمايشى لانهما كانا ممن عاهدوه على اتحام أمره وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الثانى فشا الخبر بين الناس فاصدر التمايشى أمرا الى الجهادية بالزحف من معسكرهم الى داره فخرجت الجهادية مارة على (الموردة) وما حولها من السوق فهبوا كل ماصادفهم فى طريقهم حتى وصلوا الى دار التمايشى واجتمع حول منزل الخليفة شريف نحو عشرة آلاف مقاتل جلهم من الدناقلة وأهالى القرى التي حول أم درمان وكان منزل التمايشى لا يبعد عن منزل الخليفة شريف بأكثر من مائة متر واحتشد فى المسجد اكثر السكان الذين يظن التمايشى انهم مع عدوه فامر الجهادية بالوقوف على أبواب المسجد ومنع من به

من الخروج حتى لا ينضموا الى الخليفة شريف وحولت الازقة التي بين منزل الخليفة شريف ومنزل التمايشي الى متاريس وخطوط نار وكان التمايشي وقتئذ في بيته فلم يخرج حتى وثق من ان مقتوفات المنتقضين لا تصل اليه وأقيمت عدة متاريس على جدار منزل المهدي الملاصق لمنزل الخليفة شريف ووقع الرعب في قلوب البقارة وفر ثلاثمائة فارس منهم قاصدين كردفان وبلغ الحماس مبلغا عظيما من المنتقضين حتى ان النساء تسلحن مع الرجال وفي أصيل النهار هجمت مائة امرأة منهم على نحو خمسين فارسا من البقارة كانوا يسقون خيولهم على ضفة النهر فأسعوم ضربا بالهصى قفروا وتركوا خيولهم غنيمه للنساء المتحمسات

وبات الناس ليلتهم يحترس بعضهم من بعض والتمايشي يرسل الرسل الى الخليفة شريف ويلين له الكلام وفي منتصف الليل هجمت رجال الخليفة شريف على صفوف التمايشي حتى زحزحوم عن مواضعهم ونهبوا بعض أمتعتهم وانضم الى الخليفة شريف أحمد سليمان الذي كان أمينا لبيت مال المهدي وسميد محمد فرج من رؤساء القبائل في دنقلة وكان قد وفد على التمايشي في أم درمان متظلم من يونس الديكيم أمير دنقلة وانضم اليه أيضا شايب بن أحمد أحد أمراء الدناقلة المشهورين وكان مع عثمان دنقنة وأخبار فروسيته وإقدامه مرموقة يتحدث بها أهل سواكن

أما موقف الخليفة على حلو الملقب (بـخليفة الماروق) في هذا الانتقاض فكان موقف خديعة للخليفة شريف ومباينة للتمايشي لانه كان يظهر للخليفة شريف انه معه ويقال انه هو الذي أخبر التمايشي بأمر انتقاض الخليفة

شريف عليه

وقد جمع الخليفة على حلو مقاتلته وكانوا زهاء خمسة آلاف فارس ونحو عشرة آلاف من الرجال وكلهم من عشيرته (دغيم وكثانة) وهم الذين مرلنا الكلام على انهم اول من بايع المهدي يوم اجتاز النهر من جزيرة آبال الضفة الغربية وهم الذين نصروه في جبال (قدير)

وفي غداة اليوم التالي فرق التماشي مقاتلته فأحاطوا بمنزل الخليفة شريف من جميع الجهات وابتدأ إطلاق النيران من التريقين واستمر نحو ساعتين لم تظهر في خلالها نتيجة غلبة أحدهما وهجم شايب احمد شاهرا سيفه على مائتين من جهادية التماشي فولوا مذعورين

وفي ساعة وقوع القتال كان الخليفة على حلو مع الخليفة شريف يمرض عليه شروط الصلح وهي كما يأتي

أولاً تعاد للخليفة شريف رايته

ثانياً يدفع له مرتب ٢٠٠٠ ريال في كل شهر

ثالثاً يدفع لكل واحد من اولاد المهدي مرتب يكفي

رابعاً ينفو التماشي عن كل الذين بايسوا شريف على الانتفاض

خامساً يتعهد الخليفة على حلو بانفاذ هذه الشروط

سادساً يزل يعقوب أخو التماشي عن وزارة أخيه لانه مرتش

ولانه سبب جميع المظالم التي أغربت البلاد

سابعاً يزل قاضي الاسلام أحمد على

ثامناً لا يقطع التماشي أمراً دون مشاورة الخليفة شريف

تاسعاً يطلق سراح محمد خالد زقل (الذي تقدم لنا ذكر سجنه)

وقد تم الاتفاق شامهاً على هذه الأوجه وحلف الخليفة على حلو على  
المصنف الشريف أن يكون ظهراً للخليفة شريف ان لم تنفذ هذه  
الشروط ثم اصطحب الخليفة شريفاً معه الى منزل التماشي الذي قابله  
بالنجلة والاكرام وأخذ يبكي ويمائق الخليفة شريفاً ويقول له ان المهدي  
جاءه في الحضرة وأمره بإجابة مطالب الخليفة شريف وان النبي صلى  
الله عليه وسلم أوصاه به وحلف التماشي على المصنف أنه لا يبدل شرطاً  
من الشروط التي اشترطها عليه الخليفة شريف وانصرف الخليفة شريف الى  
داره وارسل له التماشي ثلاثة آلاف ريال وأمر الناس بالكف عن الحرب  
وأمر الرؤساء بالذهاب الى تجديدبيعة التماشي فوقع ذلك على الجميع موقع الصاعقة  
وعلموا ان ذلك خدمة وان التماشي سيقتنص منهم فلاموا الخليفة شريفاً  
على تسرعه في ابرام الصلح بدون مشورتهم فأخذ يؤكدهم استعالة  
اقدام التماشي على الانتقام منهم فجزوا بقوله ولكنهم لم يجدوا سبيلاً عن  
الكف عن الحرب والتوجه لمياعة التماشي الذي قابلهم بالبشاسة والاكرام  
وعفا عنهم وحلف لهم على الوفاء بما جاء في الشروط التي أوردناها فلم يصدقوه  
وايقنوا ان العاقبة وخيمة

ويقال ان الخليفة شريفاً عمداً الى المصالحة مضراً للنادر حيث كان  
موعد الاجتماع عليه في أواخر شهر رجب فصالح على ان يقوم بأمره عند حلول ذلك  
الاجل حيث يجتمع عليه الناس ولكن ساء قاله واتخذ التماشي الحيلة لاجباط  
ذلك كله

وفي اليوم التالي ركب التماشي في نحو ستة آلاف فارس واجتاز الاحياء  
التي يسكن فيها المنتفضون مع الخليفة شريف وأمر القراة بنهب ما في المنازل

من المتاع فعملوا وكانوا يجردون النساء من ملابسهن حتى المآزر  
وانفذ السرايا الى الجزيرة فقبضوا على رؤساء الذين بايعوا الخليفة شريفا  
ونهبوا أموالهم

على ان اكثر الناس كانوا مشايخين للخليفة شريف وكانوا على يقين بان  
قيامه سيأتي بفائدة الخلاص من نير البقارة وأنه لو لم يصالح على الشروط المتقدمة  
وشهر الحرب لظهر على التمايشي الذي لا قوة عنده غير الجهادية الذين اكثرهم  
يظاهرونه على التمايشي

والحاصل ان ثورة الخليفة شريف جاءت مغتبا سيئة عليه وعلى كثير من  
الذين مالوا اليه اذ يبلغ عدد من ذهبت دماؤهم هدوا بسببها بضمة آلاف شخص  
كلهم متوا في المنى وقتلوا بسيف انتقام التمايشي كما سيأتي ذكر ذلك كله في  
مكانه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر القبض على كبار حزب الخليفة شريف وقتلهم  
تقدم لنا الكلام على المعاهدة التي انحصت بها ثورة الخليفة شريف  
وقد مضت على هذه المعاهدة اثنتان وعشرون ليلة يبدى التمايشي في كل يوم  
منها من دلائل الاحترام للخليفة شريف ما جعله له أطوع من بنائه حتى  
أسلمه جميع الاسلحة النارية التي كانت عنده وكانت تبلغ زهاء التي بتدقية من طرز  
رامنجنون وكان التمايشي يركب في كل يوم والى جانبه الخليفة شريف الذي غمره  
بكررة عطايا حتى وردت دليه انباء من انفذهم للقبض على رؤساء القبائل الذين  
لهم صلح مع الخليفة شريف وحج بهم مقرنين في الاصفاة فقلب له ظهر  
الحجن وأرسل في اليوم الثالث والعشرين لتقرير المعاهدة من قبل على أحد

سليمان امين بيت مال المدي وفوزي واحمدي ابني محمود باريه وأخويهما  
 وسعيد محمد فرج من رؤساء قبائل دقنلة وادريس وريدي أحد قضاة  
 بيت المال وهو قريب فوزي وأخوته وخمسة عشر رجلا من أقارب  
 المهدي وبني عمومته وكلهم من الذين أسسوا دعوي المهدي وجمي  
 بهم الى منزل التماشي وكان جالسا ومعه القضاة والخليفتان على حلو ومحمد  
 شريف فلما مثلوا بين يديه رجب بهم وهش وبش في وجوههم كأنهم  
 مدعوون لولية عنده وأمرهم بالجلوس وبالن في اصكرامهم ثم قال لهم  
 يا اخواني ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرني في الحضرة ان اذبحكم في  
 السجن اياما فلائل ربنا يأمرني باطلاقكم فاقولكم فاجابه الخليفة  
 شريف بقوله لا يمكن سجنهم لان ذلك مخالف لما عهدنا عليه فسكت التماشي  
 وأجاب الخليفة على حلو الخليفة شريفا بمدة وغضب قائلا أنت تمارض  
 في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ووثب رجل من قواد (دغم) اسمه  
 ابن أبي بلال وانهر الخليفة شريفا وقال له كان المهدي قريبك يحكم في  
 الخزان بأمر الحضرة ولا يستطيع احدا ان ينكر عليه فلماذا أنتم اليوم تمارضون  
 على غيركم ما كان لكم حالا بالامس فسكت الخليفة شريف وعلم ان  
 الخدعة تمت عليه وترك الكلام في أمر مراضته في حبس رؤساء حربه  
 وأخذ يحتج على ما كان من اهانة ابن أبي بلال له مع ان ذلك لم يحصل  
 منذ قامت دعوة المهدي لانه لا عقاب لمن يتجاري على مخاطبة  
 أحد الخلفاء باقل شيء تشم منه رائحة الا هابة غير القتل فغير التماشي الكلام  
 وخاطب أحمد سليمان ببارات الحبة والتبجيل وذكر قربه من المهدي  
 وحظوته عنده ثم قال يا اخواني طوبوا نفسا ولا تظنوا سوا قوموا واذهبوا

الى السجن الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإدخالكم فيه وقال للخبراء  
الذين يحيطون بهم سربوا السجن ان لا يضع في رجل كل واحد منهم قيد  
صغير لانهم من أجل أصحاب المهدي عليه السلام وذوى قرابته ثم قال لهم  
هيا اذهبوا على بركة الله فودعوه وخرجوا من الباب فاحاط بهم نحو خمسمائة  
بقارى وضربهم الضرب الذي يسونونه (مطره صبت) وكيفيته ان يجتمع مائة  
نفر فاكثر ويضربوا بالعصى شخصاً واحداً أو عدة أشخاص

ثم سيقوا الى السجن وعاد الخبراء واخبروا التمايشى بانهم قد  
أودعهم السجن فامر الناس بالانصراف الا واحداً من أقاربه فلما انصرفوا  
قال لاحد الخبراء عد الى السجن وقبل له ضغ في كل واحد عشرة قيود  
وزن كل قيد عشرون رطلاً من الحديد ثم قال لقريبه اعلم اننى منذ ست  
وعشرين ليلة مازار النوم اجفاني أى من يوم سمعت بأمر الخليفة شريف  
الذي لم يكن في ظني ان مساعى ترقن في مسألته بالنجاح وتأتى بمثل هذه النتيجة  
المرضية ومنذ حبست أحمد سليمان ومن معه شعرت براحة في نفسى وهجم  
النوم على جنفى فاستودعك الله لاننى ذاهب الى حجرة نومي فودعه وانصرف  
ودخل التمايشى الى حجرة نومه فلم يستيقظ الا بعد ظهر اليوم التالي ومكث  
أحمد سليمان ومن معه ثلاثين ليلة في السجن ثم حملوا الى فشوده على إحدى  
البواخر النيلية وأرسل معهم التمايشى كتابا الى الزاكي طبل وكان مسكراً  
وقتشذ في فشوده لقتال (الشك) كما قدمنا

ولما وصلوا اليه استدعاهم في مجلس خاص بقواده وخاطبهم لماذا يامشرون  
الدناقلة تحاربون خليفة المهدي فردوا عليه أقبح رد وقالوا له ان المهدي الذي  
أورثكم الملك دقلى منا وانتم بقارة ارقاء فساء ذلك وقال لهم لا تقتلكم كما تقتل

الكلاب وأمر أن يضرب كل واحد منهم عشرة أشخاص بالمصى النليظة  
حتى يموت فكثروا على هذه الحالة بضع ساعات حتى تهشمت رؤوسهم  
وسحقت سحقاً

ولما شرعوا في ضربهم قال أحمد سليمان لقوزي نحن الآن على شفا الموت  
ولا مطمع لنا في الحياة فانا أناشدك الله هل المنشور الذي يتلى كل يوم في  
المسجد وفيه ان التمايشي أوتي الحكمة وفصل الخطاب مطابق للاصل الذي  
صدر من المهدي فقال فوزي اللهم لا بل التمايشي هو الذي أمرني بوضع الزيادة  
التي زيدت فيه فقال أحمد سليمان اعلموا ان المهدي كان ينوي التفتك  
ببسد الله التمايشي ولم يستخلفه الا لانه كان مطلقاً على كثير من اسراره  
وكان يظن انه ترك قوة عظيمة في يد الخليفة شريف تقدر على كبح جماح  
التمايشي متى أراد الخروج عن طوره ولكن بالأسف ان الخاتبة شريفنا خدع  
في بداية الامر وأسلم رايته للتمايشي وأصبح بلا قوة ثم خدع في هذه المرة  
وسيلاقى ما يجتنه يدها فالتفت اليهما سعيد محمد فرح وقال لهما كفا عن هذا  
الهديان واعلم يا أحمد بن سليمان ان مهديكم كاذب ظالم وعقله اسدق من عقل  
قريبه الخليفة شريف والدليل على ذلك انه لم يختر من جميع الناس الذين تبعوه  
ممن هو أهل لحلافته غير بقاري أجهل من الحمار وليته كان بقارياً ذا حيثة في  
قومه بل هو كما يعلم الكل ذكروري من أوباش البقارة ثم طرأ عليهم كلامهم  
مانعهم عن الكلام فأتوا وألقيت اسلاؤهم للكلاب والذئاب  
وكانوا كلام عدا سعيد محمد فرح من اكبر انصار المهدي ومن خيرة اعوانه  
وقد تقدم لنا كلام عن أحمد سليمان ومنزلته عند المهدي فلا حاجة لاحادته  
هنا وقد ذكرت أيضاً ما لحقني من تمذيبه لي



أما فوزي واخوته فأنهم كما قلنا دنقلون كان أبوم قاضيا في أحد مراكر  
 كردغان فلحق فوزي بكتبة التماشي حتى صار رئيسهم  
 وقد صودرت أموالهم وأخذت نساؤهم مسبيات وهدمت منازلهم  
 وأصبوا عبدة لمن يعتبر وإلى الله مصير كل شيء

### ذكر القبض على الخليفة شريف وحبسه

لما قبض التماشي على أحمد سليمان ومن معه لزم الخليفة شريف منزله  
 وامتنع من الذهاب إلى منزل التماشي الذي أمر بالقبض على نحو ألقى رجل  
 من حزب الخليفة شريف ونفاهم إلى النبل الأعلى وقتل أكثرهم في الطريق  
 وشاع بين الناس أن التماشي ظفر بالقائمة التي فيها أسماء من بايعوا  
 الخليفة شريفا وجلبهم من الأمراء ووجوه البلاد فخافوا المأقبة وأرسلوا  
 للخليفة شريف سرا يدعونه للقرار من أم درمات واللاحاق بالجزيرة  
 ليظهروا مبايعته ويقوموا بأمره وحيث لا يكون أحد الأمرين إما الموت  
 أو الظفر وهذا قريب من الصحة لما قدمناه من انحراف الناس عن التماشي  
 وسعيهم في الخلاص من يده

ولما كان الخليفة شريف هذا بلدا لم يلتفت لما أشار به أنصاره ولم يبيأ بما  
 عرضوه عليه من الآراء الحازمة وظل مقبيا في داره حتى شاع بين الناس  
 أن التماشي أوشك أن يقبض عليه فذهب واحد من خواصه وأخبره  
 بذلك فسخر منه وقال له أن ذلك لا يمكن أبدا لاني ثالث الخلقاء وإن  
 المهدي أخبرني في أحد منشوراته بأن المهدي لا تقوم قائمته ببيري  
 وعلى ذكر المنشور نقول أنه يوجد منشور منسوب للمهدي ولكنه لم يدرج

ضمن كتاب المنشورات التي تقدم لنا ايراد بعضها لان التمايشي منع من طبعه  
وفي المنشور معميات وألناز كالتى يستعملها بعض المتصوفة ومنها كتمان (دهودي  
بهمودي) وفيه أيضا عبارة تشبه اللغز وهي ( انه لن يصح انتقال من الدنيا  
حقيقية مادام الخليفة شريف موجوداً بها )

على ان بعض الناس ينكرون صدور هذا المنشور من المهدي والحاصل  
ان الخليفة شريفاً كان آمناً على نفسه اعتماداً على هذه الخزعبلات ولذلك لم  
يعبأ بمشورة الذين حثوه على الفرار

وتوجد مسألة خلاف قديمة بين التمايشي والخليفة شريف وهي ان  
المهدي زعم في أوائل دعواه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهداه سيفا  
قال له هذا سيف النصر وخاصيته أنه لا ينصر أحد على من كان حاملاً له وقد  
جمله من ضمن الكرامات التي خص بها وقد تقدم ذلك في كثير من  
المنشورات التي تقدم ايرادها

ولما توفي المهدي أمسك الخليفة شريف هذا السيف وامتنع من تسليمه  
للتمايشي الذي كان يلع في طلبه من الخليفة شريف لالاعتقاد بما يقال عنه  
بل لانه كان يرى ان بقاء هذا السيف في يد غيره يخفض من شأنه قليلاً في  
حقوق الخلافة اذ العامة من الدراويش تتحدث بشيء كثير عن كرامات هذا  
السيف فيقول بعضهم انه يضطرب ويسمع له صوت كمتصف الرعد اذا  
اقترب العدو من مدينة المهدي. ومنهم من يقول انه اذا اقترب منه الجنب  
ضرب عنقه بغير ضارب ولا يستطيع أحد حمله غير صاحبه المهدي الى غير  
ذلك من أقوال البسطاء. ونقل لي مصري كان مقرباً من المهدي انه سيف  
مثل سائر السيوف وليس فيه خاصية مما تتحدث به العامة ويصدق البسطاء

وشعراء المهديونية ينظفون فيه الموشحات ويذكرونه كثيرا في قصائدهم  
وكان الخليفة شريف متقلده في غضون ثورته

وفي اليوم الثالث من شهر رجب سنة ١٣٠٩ جمع التمايشي القضاة  
والامراء وطلب منهم ان يكتبوا محضرا يقولون فيه ان الخليفة شريفا  
اعتزل الجمعة والجماعة واصر على المعصيان وازم منزله فكتبوا ذلك ثم قال لهم اذهبوا  
مع الخليفة علي حلو وادعوه الى الحضور في داخل قبة المهدي ثم اقبضوا  
عليه فذهبوا وارسل اليه الخليفة على حلو يدعوه الى الحضور فامسكه محمد أحد  
أولاد المهدي وقال له لا تذهب واعتذرا بانك مريض فاذا أخرج الليل سدوله  
فاهرب الى الجزيرة فقال له لا تخف فانهم لا يستطيعون ايصال الاذي الى  
فذهب معهم وما كاد يستقر به المجلس حتي وثب عليه من حوله وقبضوا عليه  
واخذوا سيف النصر من يده وأوسموه ضربا وساقوه الى باب التمايشي  
وأسلموه للحراس الذين أخذوا يطمونه ويهينونه ودخل الخليفة على حلو  
والقضاة على التمايشي واخبروه بما صنعوا. ويقال ان التمايشي طالب منهم ان  
يوافقوه على صلبه وأخيرا أمر به فسيق الى السجن وما وصله الا بعد أن بلغت  
روحه التراق لكثرة ما لحقه من الضرب وهناك وضعوا في رجليه عشرة  
قيود من الحديد ووضعوا في عنقه جنزيرا وزنه خمسون رطلا وسنمود الي  
ذكر بقية أخباره

ذكر القبض على عبد القادر ساني علي

ومحمد عبد الكريم وقتلها

عبد القادر ساني علي ابن عم المهدي ومحمد بن عبد الكريم

ابن أخى عبد القادر ساني على وكان الاول فقيها شاعراً أديباً واد في الخرطوم  
وتربى فيها ولحق بقرية المهدي في كردفان فاكرم وقادته وعرف منزلته  
وصار مبعلاً عنده وعهد اليه برئاسة الامناء الذين ينوبون عنه في نظار المسائل  
العمومية وجعله أميناً على خاتمه

وكان عبد القادر ساني على شديد البغض للتعايشي يبيعه بالجلل ويرميه  
بالظلم وكثيراً ما طلب من المهدي اقصاءه من منصب الخلافة وكان يئامه في  
انفاذ كثير من مآربه وبزدرية ويحقره ولا يجلس بين يديه جاثياً على ركبتيه  
كما هي عادة الدراويش في آداب الجلوس عنده

ولما توفي المهدي كان أول عمل أتاه التعايشي عزل عبد القادر عن منصبه  
ثم بعد بضع سنوات صادر أمواله وحبس بضعة شهور. وكان لمهد القادر معرفة  
بالطب فاشتغل بهذه المهنة ليحصل منها على قوته حتى اتصل بالتعايشي ان  
مهد القادر أصبح ذا ثروة عظيمة من مهنة التطبيب فاستدعاه الى مجلس حافل  
بالفضة وقال له لا يليق بك وأنت عم الامام المهدي عليه السلام ان تشتغل  
بمهنة دنيسة كالتطبيب فقال له (نعم يليق بعم المهدي ان يموت جوعاً) فقال له  
اياك ثم اياك والتطبيب واعلم أنك ان لم تقته عن هذه الصناعة تكن قد  
عصيت أمرى وأنت عالم بمقوبة من يعصيني فذهب الى منزله وامتنع من  
التطبيب خوفاً على حياته حتى صار في حالة يرثى لها من الفقر وفقدان القوت

وأما محمد عبد الكريم فانه ابن عم المهدي وكان من اكبر قواده وهو  
الذي فتح سنار واغتال منها قناطير مقنطرة من الذهب كما سبق الكلام على ذلك  
وكانت طريقته في الازدراء بالتعايشي لا تختلف عن طريقة محمد عبد القادر  
وقد صادر التعايشي أمواله أيضاً جملة ممرات

ولما انتقض الخليفة شريف كان محمد عبد الكريم معه أما معه عبد القادر فكان ملتزماً بجانب الحياد

وبعد ان قبض التمايشي على الخليفة شريف وسجنه قبض على عبد القادر ساقى وابن أخيه محمد عبد الكريم وأرسلهما إلى الزاكي طرد في فشوده فقتلها ضرباً بالهصى كما قتل احمد سليمان ومن معه

وقد جرت بينهما وبين الزاكي طرد مكالمة تشبه التي جرت بينه وبين احمد سليمان ورفقائه وقد أظهر عبد القادر ساقى عليّ جلدًا وشجاعة بخلاف ابن أخيه محمد عبد الكريم فانه حين وخارت عزيمته وطمع في الحياة بالترلف للزاكي الذي كان لامندوحة له عن انفاذ ما أمر به التمايشي

هذا وقد جثنا بذكر قتل هذين لشهرتهما بين أقارب المهدي الذين يقدر عدد من قتل منهم ومن أقاربهم بسبب هذه الحادثة بنحو ثلاثة آلاف رجل عدا الشبان الذين كانوا حراساً للخليفة شريف فقد طرح عدد كبير منهم طعمة لاسماك النيل

وكان ل محمد عبد الكريم محظيات في نهاية الحسن والجمال فكان التمايشي يرسل إلى الواحدة منهم ويحلبها إلى منزله فإذا قضى منها وطره أخرجها وأعادها إلى منزلها

### ذكر شأن نساء المهدي مع التمايشي

ذكرنا ان المهدي مات عن نيف ومائة امرأة أكثرهن قد استحل وطأهن بملك العين على الطريقة التي تقدم الكلام عليها فلاحاجة لإعادتها ولما مات المهدي وأتمت النسوة عدة الموت جمع التمايشي الخلقاء

والتقضا وعرض عليهم اخلاء سبيل كل امرأة لم ترزق ولدًا من المهدي  
لاني كثيرا منهم لم يقترب منهم فعارض الخليفة شريف في هذا الامر وقال  
ان نساء المهدي كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وهن أمهات  
المؤمنين اللواتي أمرهن الله بعدم الخروج من بيوتهن وأورد الآيات التي  
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم كأنها نزلت في نساء المهدي فقبل  
الحاضرون قوله وأعرضوا عما أشار به التماشي

ومكث أولئك النسوة في داخل بيت يسكن كل خمس منهن في كوخ  
من البوص واجري التماشي على كل واحدة منهن راتباً شهرياً قدره خمس  
ريالات يتناولنه في السنة كلها مرتين أو ثلاثة وוכל حراستهم الي نحو خمسين  
من الحصيان الذين كانوا ملوكا لوجوه وأعيان المصريين في سائر مدن السودان  
وصارت حالة النساء والحصيان تتقل من سيء الى أسوأ وبالجملة لولم  
يكن لهاته النسوة أقارب يتداركوهن ببعض القوت لمتن من الجوع  
وكذلك الحصيان كان قوام معيشتهم من التسول ومد ايدي السؤال للامراء  
وأعيان البلاد

وفي سنتي الجماعة مات كثير من النساء اللواتي لم يكن لهن أقارب ومات  
كثير من أطفالهن أولاد المهدي

وكن كلما شكوا الي التماشي ما هن فيه من شظف العيش يبكي وينتحب  
ويقول لهن انكن آل بيت المهدي لانصيب لكن في الدنيا وليس لكن غير الآخرة  
حتى اذا كانت سنة ١٣٠٩ وانتقض الخليفة شريف على التماشي قام نساء  
المهدي بمظاهرة ولاء للخليفة شريف فاختاط التماشي وأمر باحاطة منزل  
المهدي بسور من الحجارة ليفصله عن ملاصقة منزل الخليفة شريف وبعد أن

قبض على الخليفة شريف جاء التماشي الى منزل المهدي ومعه ألف مقاتل  
 مهاجون بالاسلحة النارية فاحاطوا ببناء المهدي وهن داخل ستر وضع لهن  
 وقال لهن (انكن عصيتن الله ورسوله ومريه وكفرتن بهم وفدحكن القضاة  
 باعدنكمن رميا بالرصاص) فزمن رؤسهن فوجدن أفواه البنات موجهة  
 اليهن نصرخن ولطمن وجوههن ومنهن من هربن لتساق الجدران التي  
 كانت تناطح السحاب ومنهن من القت نفسها في بئر وبالجملة ان أولئك النساء  
 روعن روعا شديدا فظلا عما هن واقعات فيه من شظف العيش وسوء الحال  
 ولما رأي التماشي ما صارت اليه حالتهن وأن بعضهن تبتن وقن له انا  
 لا زهب الموت القدي تم دنا به لانك انما تقتل نسوة لا يشرفك قتلهن  
 ومع ذلك فان قتلنا شيء لا يذكر في جانب كفرانك بنعمة المهدي الذي أجلسك  
 على الملك فاذا كنت تنادي كل يوم و ليلة على رؤس الاشهاد بان المهدي  
 دنبل فان قتلنا لا يذكر في جانب هذه الشتائم  
 ويقال ان زنب اكبر بنات المهدي امرأة الخليفة شريف أغلظت  
 له القول واهاته بالشتائم فانصرف وقال لنساء المهدي اني عفوت عنكن وانما  
 قصدت بفلي هذا ارهاب اللواتي تظاهرن منكن بولاء الخليفة شريف  
 والحاصل ان نساء المهدي وخصيانه مكثوا في الذل والهوان يقاسون  
 من شظف العيش أشده حتى فتحت أم درمان وانتشع ظلم دولة الدراويش  
 عن السودان

### ذكر سجن اولاد المهدي

لم يكنف التماشي بمأفله بالخليفة شريف والذين بايعوه حتى أمسك أولاد

للمهدي الثلاثة وم الفضل ومحمد والبشرى وسجنهم في منزل جدم لامهم أحمد  
شرقي ومنهم من الخروج منه وكان محمد متزوجا بنت التمايشي فطلقها منه  
ومكث الثلاثة في الحبس ولم يخرجوا منه الا بعد استيلاء الجيش المصري  
على دنقلة

على ان اولاد المهدي لم يكونوا طامعين في الخلافة وانما كانوا متذمرين  
بما أصاب ذوي قرابتهم من الظلم والاضطهاد ثم القتل والنفي  
وكان محمد كاقلمنا متزوجا بنت التمايشي وكان ينفضا ويسب أباه بمحضرتها  
ويذكر كفرانه بنعمة أبيه وعدم وفائه بعهد فكانت تخبر أباه بذلك كله  
حتى آل الامر لطلاقها منه

وعلى ذكر اولاد المهدي نذكر الشيخ الحسين زهرا الذي أوردنا  
قصيدته الممزوجة التي امتدح بها المهدي ونصحه فحبسه التمايشي ثم انه بد وفاة  
المهدي قدم للتمايشي قصيدة ملامها بالنصح ومن ضمنها قوله له ان استغفأك  
باولاد المهدي واضطهادك لا قاربه يحملان الناس على الاعتقاد بانك غير مصدق  
بهديته فنفض عليه التمايشي وسجنه وبعد أيام أطلقه وأمره أن يسكن في  
قرية في جهات (المسلمية) على بعد ثمان مراحل من أم درمان جهة الجنوب  
والحاصل ان جميع أقارب المهدي أصبحوا بين قتلى ومسجونين  
وكذلك الامراء والقبائل الذين أسسوا دعوة المهديوية معه فقد فعل بهم  
التمايشي ما فعله بأقارب المهدي وأولاده ولا غرو فان المهدي سبب كل هذه  
المصائب التي حاقّت بأقاربه وقواده حيث استخفاف التمايشي عليهم وهو  
لا يدري ان عدوا عاقلا خير من صديق جاهل



## ذكر مؤامرة عبد المولي صابون علي قتل التمايشي

عبد المولى صابون اخو حمدان أبي عنجة فاتح بلاد الحبشة الذي تقدم لنا ذكره وكان عبد المولى هذا قائدا للجهادية في أم درمان وفي سنة ١٣٠٥ أصيب بمرض الجدnam وقد مر لنا الكلام على ان التمايشي كان يحبه وأنه قد نفى أم زوجته بعد أن قطع يدها لما قيل له ان مرض عبد المولى ناتج من كثرة ما تصنعه له من الشهوة والاسعار اللتين تقصدهما استمالته لحبة بنها ولما توفي حمدان أبو عنجة في القلايات كان أخوه عبد المولى يتوق لنيل منصبه فلم يفلح وولى التمايشي الزاكي طبل بدل أبي عنجة وعزل عبد المولى أخاه من قيادة الجهادية وولى بدله أحد أقاربه البقارة فاغتاظ عبد المولى من التمايشي وأضر له السوء وحالف الخليفة شريفا عليه لكنه لم يظهر مخالفته له وانضم اليه نفر من التمايشة فأقارب النزالي الذي تقدم لنا ان التمايشي قتله لما فر من أم درمان وتآمروا على قتل التمايشي غرة بين منزله ومنزل أخيه يعقوب حيث تمود التمايشي ان يسير بينهما بحراس قليلين ولكن المتآمرين في الطريق قبل الوقت الذي يخرج فيه التمايشي من داره الى دار أخيه يعقوب بنحو ساعة من الزمن ليفتكوا به اذ ذاك

وبينا كان التمايشي يتأهب للخروج استأذن عليه أحد المتآمرين فاذن له ولدي دخوله عليه ترامي عليه مظهراتوبته واخبره بما دبره له عبد المولى ومن معه فارس التمايشي من قبض عليهم وأودعهم السجن ثم نفوا الى خط الاستواء وهناك لقوا حشدهم

وكان عبد المولى هذا فظاظة وكبر ونال من الرقة والثروة في أيام التمايشي

ماله خطر مع انه عبد اسود من عبيد (البنضلة) لجاورين للتمايشة كما انه أخذ من حرار النساء نحو خمسين امرأة من بنات الاعيان كلهن موطوات بملك اليمين

وبعد مسعوط الحرطوم بامين كان لي عبد قد أبقى ولحق بمجاهدية أم درمان الذين بقوهم عبد المولى هذا فذهبت اليه أسأله ان يعطيني ذلك العبد أو ثمنه فكان أول كلمة قلني بها أن قال لماذا أنت ضخم يا ولد الزيف أم أنك مال محباً تخرج منه ما تنقته على نفسك فطار لي من هذا الكلام وقلت له لا ياسيدي بل أنا رجل فقير أعيش من هبات سادتي الامراء امثالك فقال وهل هبات الامراء تسمنك الى هذا الحد فقلت نعم وان مولاي خليفة المهدي عليه السلام يتماهني باحسانه في كثير من الاوقات فانكسرت شوكة حديثه وقال لي ماذا تطلب الآن فقلت أطلب عبيدي فقال أنت عبده فقلت له نعم انني عبده لانه صار عبداً فشفع لي عنده أحد الخاضعين فقال انني سمعت لك باخذ العبد اكراما لخاطر من شفيع فيك واحذر من ان تدود اليي بمنزل هذا الطلب فاني اذ ذك أضرب عنقك هذا المملوء لما فاخذت العبد وانصرفت به الى النخاس وبعته باول ثمن عرضه على فيه

### ذكر قدوم محمود احمد من دارفور

مر لنا الكلام على موت عثمان آدم أمير دارفور وتولية محمود احمد ابن عم التمايشي بدله وذلك في سنة ١٣٠٧ وقد سار محمود هذا سيرة عوجاء أوجبت انحراف القواد عنه ونفور الجنود عن ولائه واشتدت الحالة في إبان ثورة الخلافة شريف فتخوف التمايشي من هذه الحركة وكتب الى محمود

يستقدمه الى أم درمان بمن معه من المقاتلة وقصد بذلك ان يهرب أهالي الجزيرة الذين مالوا للخليفة شريف ويربهم قوة التي في دارفور وأن يفرق بين محمود والذين تقموا عليه من جنوده ومقاتلته فعاد محمود أحمد القاشر حاصمة دارفور ومعه نحو أربعين الف مقاتل منهم بضعة آلاف من الجهادية ومثلهم من الفرسان والبقية من المشاة

وبعد ان وصلوا الى جهة (الهود) وهي أول بلاد كردفان مما يلي دارفور ناز عليه قواد الجهادية واطلقوا عليه الرصاص وكادوا يقتلونه وكانت عدة اموار خمسة عشرة قائدا يقود كل واحد منهم مائة مقاتل كلهم مسلحون بالاسلحة النارية من طرز (رامجتون) وانفصل الثوار عن المعسكر وابتعدوا عنه فاسل اليهم محمود قاضي المعسكر يدعوهم الى الطاعة ويعدم بلغو من جريمتهم ثم دفع لكل واحد منهم الف ريال فاخذوا المال ولم يقبل العودة الى الطاعة غير ثلاثة منهم وأصر الباقون على عصيانهم وابتعدوا عن المعسكر ولحقوا بجبال (اب جنوب) وهي جبال واقعة في الجنوب الغربي لكردفان وسكنها من العبيد (النوبة) الذين تقدم لنا الكلام عنهم فلا حاجة لتكراره هنا ووصل محمود الى أم درمان في منتصف ذي القعدة سنة ١٣٠٧ أي بعد ان زالت مخاوف التماشي من الخليفة شريف والذين يابيه وخرج لاستقباله خارج البلدة وظهر سروراً عظيماً بتقدمه وبالغ في اكرامه الى درجة انه أمر بعمل ثعالب نارية اجريت امام محمود وجنوده وهي أول مرة صنعت فيها تلك الالاماب في ايام المهديوية

وارفعت أسمار الاقوات على أثر قدوم محمود أحمد ومقاتلته الذين قدموا بنحو مائة الف نسمة من الارقاء باعواها في أم درمان كما تباع البهايم

وقدم محمود هذا. والا طائلة للـايشى وأخيه يعقوب  
ثم انه تزوج براقصة شهيرة اسمها بنت بدوى كان الشعراء يتنزلون  
ببراءتها في الرقص وجاهر في حفلات الزواج بشرب الخمر وأحيى ليالى  
الرقص بما يخالف آداب المهدوية وصادر كثيرا من الجوارى المؤسسات  
وشهرهن جارية اسمها « السكات » وجمع حوله كثيرا من الخشنيين والمغنيين  
الذين تقدم لنا الكلام عليهم وسيأتي ذكر الجارية السكات وانها اباحت قرية  
( الجليباب ) للجهادية فنبوها وألقوا بها النار  
وأقام محمود بام درمان بضعة شهور ثم قفل راجعا بجنوده الى دارفور  
وستجيء بقية أخباره

### ذكر القبض على امرأاء الجعليين ونفيهم

ذكرنا ان جل تجار كردفان من قبيلة ( الجعليين ) التي تسكن بربر وقد سبق  
لنا شرح احوالهم فلاحاجة لاعادته هنا وقد استوطنوا كردفان منذ زمن مديد  
وكان من أمرهم انهم أعانوا المهدي على الاستيلاء على الابيض عاصمة كردفان  
وكان الياس باشا أم بربر في مقدمة أولئك التجار الذين تقدم لنا الكلام عليهم  
وقبيل ثورة الخليفة شريف باشا جمع التمايشي نحو أربعين من أسراء  
الجليين ودفع اسلح واحد منهم راية وكان من بينهم عمر بن الياس باشا الذي  
ذكرنا بعض ماأنه في دارفور لما ذهب اليها مع محمد خالد زقل  
وعين التمايشي قائدا عاما على الاربعين أميرا اسمه البدوى بن العريف  
كان أخوه محمد بن العريف سر تجار الابيض عاصمة كردفان ومن أكبر الذين

ساعدوا للمهدي على الاستيلاء عليها

ولما ثار الخليفة شريف كان هؤلاء الامراء في جلة من بايوه من الناس فوشى بهم الى التماشي أحد خصيان المهدي المسمى « شكر الله » ثم ذهب أولئك الامراء وأخبروا التماشي بأنهم ما فعلوا ذلك الا ليقنوا على سر المسألة كي يوففوه عليه فشكروهم وأظهر لهم عظيم الميل والانعطاف وبعد حبس الخليفة شريف بأيام دعاهم الى مجلسه وأخبرهم ان رباط كسله ذو أهبة لا تخفي وان الايطاليين يطعمون في التقدم الى كسله وان أميرها مساعد قيسوم البقاري ضعيف الرأي وانه ينوي انفاذهم الى كسله ليقوموا بحفظ الرباط فشكروه وانصرفوا بهد ان تعهدوا له بأن يجهزوا أنفسهم ومقاتلتهم من ملهم الخاص

وبعد أيام غادروا أم درمان وخرج التماشي لوداعهم وساروا الى قرية ( رفاعه ) التي تبعد عن الخرطوم بست مراحل في النيل الأزرق ليضمو اليهم المتفرقين من مقاتلتهم في قري الجزيرة وأقاموا فيها نحو شهر وبدلاً من أن يجمعوا الرجال ويسيروا الى وجهتهم ضربوا على كل مقاتل ضربة يقدحها كنفدية ليركوه فجهدوا من ذلك أموالاً طائلة والتماشي يكتب لهم في كل يوم يحثهم على مناداة رفاعه واللاحاق بكسله وهم يقدمون له الاعذار في كل مرة وفي ذات يوم أرسل لهم مندوبين قبضوا عليهم في رفاعه ونهبوا أمتعتهم وما جمعه من ضريبة الكنفدية وحي بهم الى أم درمان يرسفون في القيود والاذلال ونهب دورهم التي بأم درمان

ولما أدخلوا السجن ناداهم الخليفة شريف قائلاً « ان خيانتكم لم تدفع عنكم مكروها » ومكثوا في السجن نحو شهر ثم نفوا الى خط الاستواء

وقد رأيتهم وقت خروجهم من السجن يحيط بهم الحراس والاضلال في أعناقهم واثبتوهم أرجلهم فكان الحراس يحملون الواحد كما يحمل المتاع ويرمونهم في عنبر السفينة كما تربي الامتعة وهكذا ساروا الى خط الاستواء وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٠٩ هجرية

### ذكر نفي الأمير أبي قرجة

خدمت سنة ١٣٠٩ وحوادث السودان فيها تحاكي ما يجري على الخليفة شريف وحزبه وأقارب المهدي ودخلت سنة ١٣١٠ ولم يبق من الأمراء أو أصحاب المقامات من الذين تبعهم مع الخليفة شريف جامعة الحزب أو الجنسية غير أبي قرجة الذي تقدم لنا كلام كثير عنه حيث هو من أكبر أمراء المهدي الذين حاصروا الخرطوم وولى اقيادة العامة على جيش السودان الشرق بدل عثمان دقنه كما مر ذلك

ولما عزل أبو قرجة عن بربر أعيد الى السودان الشرق ولما ناز الخليفة شريف كان هو غائباً لم يحضر تلك الحوادث فاستدعاه النعاشي في أوائل سنة ١٣١٠ وأظهر له رغبته في توليته الامارة العامة على خط الاستواء لسابق خبرته بتلك الانحاء فجمع نحو ثلاثمائة مقاتل سافر بهم الى خط الاستواء على احدى البواخر وسافر معه قائد من قواد البقارة يحمل كتاباً من النعاشي يخواه التبض على أبي قرجة ومن معه وزجهم في السجن حينما يلغون خط الاستواء ودفع النعاشي الى أبي قرجة أمراً مضموناً انه أمير عام على سائر انحاء خط الاستواء

والحاصل ان أبا قرجة سافر من أم درمان أميراً على خط الاستواء ولكنه

كان موقناً بأنه ساع الى حنقه بظلمه لانه كان ذا ذكاء وعقل  
ولما وصل خط الاستواء أودع السجن هو ومن معه وقد بلغنا ونحن نهيم  
هنا الكتاب للطبع انه قد فر من سجن خط الاستواء ولحق بأحد  
معسكرات الباجيكا التي في جهات بحر الزل ثم لحق بمملكة بركة فكرم  
وفادته سلطانها وانزله على الرحب والسعة لكنه لم يسمح له بالعودة الى بلاده  
على ما لوف عادة اهل تلك البلاد خشية ان يكون رائداً يحوس خلال الديار  
هذا وان بأقرجة وان كان ماملاً بهما من عمال دعوة المهدي لكنه كان أقلمهم  
شراً واكثرهم خيراً واقربهم الى العدل والاحسان  
وانني بسبب ما ذكرته عنه واحسانه اليّ في يوم كنت أساقية لاثوث  
لايسمى الان اتني له نوال الخير في غربته والخلاص من رقة أسرته

### عود الى ذكر بيت المال

ذكرنا آنفاً ما كان من صلب ابراهيم عدلان أمين بيت المال السابق  
وتولية النور الحريفاوي بدله  
وقد كان النور هذا ذا ثروة عظيمة جمعها مما نهبه من تجار المصريين  
في بربر كما مر ذلك وقد تناول سبعة عشرة ألف ريال من الحكومة ليشتري  
بها غلالاً فاختارها وفر بها ولحق بالمهديين وبمسد ان مضى عليه طمان في  
بيت المال زادت في خلاصها ثروته زيادة عظيمة أخذ يفكر في وسيلة يتمكن  
بها من ترك وظيفة امانة بيت المال ليتاح له الانزواء بعيداً عن نظرات العايشي  
الذي كان يطمح الى ثروته فنظاها في أواخر سنة ١٣٠٩ بالجنون على أثر وقوعه  
بن جواده وأخذ يخطط في الكلام بحضرة التعايشي

وقد روى لي ثقة ان النور هذا كان سائراً من المسجد الى منزله في ليلة  
حالة الظلام منفرداً وكان الراوي متأثره وهو لا يراه فسمعه يحدث نفسه  
ويقول « أحلف بالطلاق ان التمايش سيصلبني كما صلب ابراهيم عدلان  
ليحصل على ثروتي والاجدر بي ان أسلمه هذه الثروة واحفظ حياتي لانفرد  
بنفسي واحترف بادنى حرفة يتيش منها اطفالى » ثم يدور فيقول « كلا اذا  
دفعت له اموالي فانه يظن اننى خبأت معظمها ولم أظهر له غير جزء يسير  
منها واذا ذاك تحرك اطاعه ويمدني لاسله الباقى ولا شك فى اننى أموت  
بسبب المذاب وحينئذ اكون قد جئت على نفسي » ثم يقول « أحلف  
بالطلاق الثلاث ان المسألة معقدة لا يقدر أحد على حلها والاولى بي أن أنظرها  
بالجنون والله تعالى يفعل بي ما يريد »

ثم انه يظهر بالجنون مدة حتى بداه أن يتضرع الى التمايش ليقبله من  
أمانة بيت المال فأجابه التمايش الى ذلك على شرط ان يجزى اختصاص بيت المال  
الى ثلاثة اجزاء احدها أمين بيت مال يختص بمعامل الذخيرة ( الورش  
الحربية ) والثاني يختص بمال النبيء الذي يزعم التمايش انه خاص به والثالث  
هو بيت المال العام وأن يكون النور الجريفاوى اميناً لبيت المال الاول وأن  
يكون محمد بشير كرار العبادي قائد دابة التمايش اميناً للثاني وأن يكون العوض  
المرضى اميناً للثالث

وعلى ذلك صار اختصاص أمانة بيت مال ( الورش الحربية ) منوطاً بالنور  
الجريفاوى وعليه ان يتفق مع التجار الذين يدورون الى الديار المصرية ليجلبوا  
المقايير اللازمة لملك المعامل ويهربونها حتى لا تنظرها الحكومة ولهذا  
المسألة كلام خاص بها سنورده فى غير هذا المحل



أما اختصاص بيت مال النبي فهو عبارة عن جميع موارد الإيرادات المهمة وذلك مثل خمس مبيع التجار المصريين وعشر بضائع التجار السودانيين وخمس واردات بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الأجنبية وعشر الصادرات التي تخرج من البلاد السودانية إلى البلاد الخارجية كالصمغ والماج ودرش النعام وكذلك عشر واردات التجارة التي ترد على أم دومان من داخلية السودان وأهمها الحبوب والملح والبلح والخوص الذي يصنع منه الحصر المسماة (إراش) وكذلك إيراد السنن الشراعية التي تنقل الحاصلات من جميع الجهات التي اغتصبها التمايشي كلها وجعلها ملكاً له وكذلك عوائد الالتزام (التعدية) في جميع الجهات وكل هذه الإيرادات مضبوطة بدفاتر وحسابات جارية لا يصرف منها فلس واحد في غير لوازم التمايشي على يد رئيس خصيائه (عبد القيوم)

وأما اختصاص بيت المال الثالث فإنه قاصر على الإيرادات التي تجلب بواسطة الجباية التي تقدم لنا الكلام عنهم وله اختصاص آخر هو مصادرة أموال الاغنياء وطلب القروض المالية من التجار حيث لا ترد لهم أبداً ومن امتنع صرد ماله كله وتنفق هذا لإيرادات على أقارب التمايشي فقط والحاصل ان التمايشي استأثر بجميع إيرادات البلاد حتى أصبحت في نهاية الفقر المدقع وأخذ يتفنن في أساليب زيادة المراج ومضاعفة المكوس التي صارت التجارة معها كاسدة لا تريح شيئاً وبالجملة فإن الحالة كانت تفقر من سيء إلى أسوأ وبمد الله كل شيء



## ذكر سورام درمان

قبل الكلام على السورناتي يتمهيد في تخطيط مدينة أم درمان ومواقع  
احيائها ليكون القاري على بينة من ذلك فنقول

من الاصطلاحات التي جرى عليها المهديون أن يسوا كل جهة سكن  
فيها للمهدي باسم (البقعة) وقد يضاف هذا الاسم الى اسم المدينة الاصلية  
أو الجهة التي سكنها المهدي فيقال (بقعة الابيض) مثلاً لان المهدي كان  
ساكناً فيها أو (بقعة الرهد) وهو منهل جنوب الابيض لانه كان نازلاً فيه  
كما تقدم لنا ذكر ذلك

ولما زحف المهدي على الخرطوم كان أول معسكر اتخذته في جنوب أم  
درمان على بعد عشرين ميلاً عند مكان اسمه (الفتيح) بعيداً عن شاطئ  
النهر اتقاء لمفذوفات البواخر التي كانت تحاربه في الخرطوم ولم يجسر على الدنو  
من شاطئ النهر الا بعد سقوط الخرطوم في قبضته

وقد أشرنا فيما تقدم أنه عقد مجلساً للمداولة في أمر سكناهم لم يوافقته على  
ذلك الامراء لانهم قالوا ان نقطة أم درمان يمكن أن نغادرها بسهولة الى  
كردفان اذا حدث ما يضطرنا الى التفتقر فنزل المهدي بها واختط المسجد  
وداره بعيداً عن ضفة النهر نحو ميل واحد ونزل التعايشي جنوب بيت  
المهدي نحو مائة متر في الجنوب الشرق للمسجد حذاء منزل المهدي المتأهل  
لنقطة الوسط من قبلة المسجد وكان بين منزل التعايشي ومنزل المهدي ميدان  
فسحياً ونزل الاعراب والبقارة الذين أصلهم من جهات كردفان ودارفور  
وهم التابعون لرايات التعايشي جنوب منزله وامتدت مساكنهم الى الجنوب

الغربي والجنوب الشرقي الي قرب المعسكر الذي كانت به جنود الحكومة وهو (خندق أم درمان) ويبعد عن للمسجد جهة الجنوب بضعة أميال وقد اتخذ هذا الخندق معسكراً للجهادية الذين يقيمون بأم درمان وسمى معسكر أبي منجه

ونزل جماعة من المصريين الذين كانوا بكردفان شمال هذا المعسكر عند نقطة (الموارد) وأمير هؤلاء المصريين هو حسن حسين الذي تقدم لنا الكلام عنه

ونزل يوسف منصور رئيس الطوبجية ومن معه من المصريين شمال معسكر أبي منجه

ونزل الخليفة على حلف في الشمال الشرقي من منزل المهدي ونزل أتباعه (دقيم وكنانة) في الشمال الغربي من المسجد بمابلي السوق الذي نزل فيه جماعة من التجار وجاهلهم من اليونانيين واليهود والسوريين وأطلق على جهم اسم (حارة المسلمين) ونزل الخليفة شريف شرقي منزل المهدي ونزل أقارب المهدي وسائر أتباع الخليفة شريف الذين جهم من أهالي السودان الاوسط في الجهة الشرقية من منزله وامتدوا الي الشمال حتى اتصلت منازلهم بضفة النهر وحد المدينة يومئذ يقف في جهة الشمال عند معسكر ابن النجومي الواقع في شمال المسجد بنحو ميلين فقط ولما أمر التمايشي بنخريب مدن الجزيرة في سنة ١٣٠٤ وحشد سكانها في أم درمان نزل سكانها في الجهة الشمالية لمعسكر ابن النجومي وصاروا يسبون أحياءهم بأسماء بلادهم الأصلية فيقال (حى المسلمية) و (حى رفاعة) وغيرهما من بلاد الجزيرة حتى وصل امتداد حدود المدينة الي جهة (خور شنباء) التي تبعد عن المسجد بسة أميال

وعتب افشاء الخلافة للتعايشي وسع منزله حتى ادخل فيه المهديان  
الذي بنى بين منزله ومنزل المهدي  
ولما نار الخليفة شريف وأقاربه وصارت مذبذبات جماعة الخليفة  
شريف تقع في وسط دار التعايشي خاف التعايشي طائفة اختلاط المنازل  
فأمر باخراج جميع اقارب المهدي واتباع الخليفة شريف من منازلهم التي  
هدم جلها وأسكن أقاربه البقارة فيما بقي منها ليكون منزله محاطا من جميع  
الجهات بمن يأمنهم على حياته  
وأسكن من أخرجوا من منازلهم في الجهة الواقعة شمال معسكر ابن  
النجوى الذي صار لا يسكن جنوبه خير البقارة وقد قاسى الناس أهوالا  
شديدة من جراء اخراجهم من منازلهم وصاروا في حالة تقتت الكبد اذ  
صاروا بينما يكونون في منازلهم يدخل عليهم البقارة فيأسروهم بالخروج  
منها بغير ان يتمكنوا من حمل امتهم التي يأخذ البقارة جلها فيخرجون  
وليس عليهم غير ثيابهم وماخف حملهم من نأفه متاعهم فيعضون على هذه  
الحالة التميصة زمنا لا يستطيعون في خلاله تشييد مساكن ان كانوا من أولى  
اليسار وقليل مأم وظل الفقراء في هذا الشقاء حينما كان نصيبى من  
هذه للعصية عظيما وسيأتى تفصيله بعد حيث اخرج المعبودون الساكنون  
بالقرب من مكة كرا أبي عنجه من منازلهم وكنت أنا من جملتهم  
على أن بناء سور أم درمان يدل على ماخسر التعايشي من الخوف على  
حياته من ثورة الخليفة شريف

وفي ذات يوم رقى التعايشي منبر الخطابة وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم  
أمره باخراج من أخرجهم من منازلهم وأمره ببناء سور من الاحجار يتدى

من ضفة النهر حتى يبلغ منزله ثم يتجه الى الشمال حيث يصير شرقي المسجد  
وغربي منزله ثم ينتهي الى ضفة النهر أيضا وانه صلى الله عليه وسلم أمره أن  
لا يذن في السكنى داخل هذا الدور لغير البقارة والبهائم ووضع أساس الدور  
وجعل عرضه أربعة أمتار ووزع حصصاً على القبائل ومن جملتها المصريون  
الذين يجامر الكلام كنت أحد أمراءهم فكانت تذهب الى شاطئ النهر وتستخرج  
منه الحجارة ونحوها الى عمل العمل ومكثنا على هذه الحالة نحو سنتين ثم في  
خلالها تشييد الدور بسخرة الناس وبلغ ارتفاعه فوق خمسة أمتار

### ذكر قدوم الزاكي طبل من فشودة الى ام درمان

لما فرغ الزاكي طبل من قتل الشك وأخضعهم لسلطة للهدوية حيث  
قتل ملكهم (عمر) الذي قيل عنه أنفا انه مولى من قبل المهدي وحل رأسه  
الى التمايشي الذي أمره بمهادنة الشك وإبرام معاهدة معهم وتولية ملك  
عليهم يكون من اعداء عائلة الملك السابق فأقام رجلاً من أطراف الشعب  
سماه (عبد الفضيل) ملكاً عليهم غادر فشوده بجيشه فاصداً أم درمان وذلك  
في أوائل سنة ١٣١٠

ولما بلغ أم درمان استقبله التمايشي بالخفاوة والاكرام وقدم له الاغذية  
ثم قدم الزاكي للتمايشي مقدارا عظيماً من المال الذي غنمه من الشك وكثيراً  
من الماشية وأمره بأخذ الالهة والاستمداد لمناذرة أم درمان الى بلدة  
أبو حرد

## انزاعي في ابو حراز

أبو حراز قرية في الضفة الشرقية للنيل الأزرق تبعد عن أم درمان مسيرة سبع مراحل وهي مفتاح الطريق الوصول الى القضايف عن طريق الصحراء المسماة ( عقبة المذبذبة ) وهو موطن لقبيلة صغيرة اسمها ( المركين ) ومن هذه القبيلة نبغ رجال في القرون الماضية اشتهروا بالصلاحيات وحازوا منزلة عالية في مشيخة الطريقة القادرية وأشهر هؤلاء النابغين ( الشيخ الطارفي ) وكان معاصراً على ما يروونه للشيخ تاج الدين الفاكهاني من مشاهير رجال الطريقة القادرية ببغداد وقد صحبه الشيخ الطارفي وأقام معه في بغداد زهاء عشرين عاماً عاد الى قرية أبو حراز وانتشر نفوذه الديني في سائر أنحاء السودان حتى أكرمه ماركس السوداني واقطعوه الاراضي الواسعة وخلفه عدد كبير من أولاده كانوا على قدمه في الشهرة واعتقاد الناس وماتوا كلهم ولهم قبور شيدت عليها قباب

ومن نسلهم الشيخ حمد النيل المركي وكان ذا نفوذ كبير في السودان وكتب له المهدي كتاباً تقدم لنا ايراده يتوعده هو وعوض الكريم بن أبي سن زعيم قبائل الشكرية لانهما ساعدا الحكومة على قتل داعيته الشريف احمد طه الذي تقدم ذكر قتله

ولما ولي التعايشي بعد المهدي صادراً أموال الشيخ حمد النيل وقتله صبراً في سجن أم درمان

ولنعد الى ذكر زواي طبل فنقول انه لما وصل الى أبو حراز كبرها وأباحها لجنوده فأرهبوا سكانها سلباً ونهباً وأمر قببب المشايخ فهدمت وشاد بانقاضها

داراً لسكناء وأطلق العنان لمقاتلته فانتشروا في مدن الجزيرة كلها ونهبوا أموال  
الاهالي وحملوهم من المظالم والمغارم ماشو بمحله الجبال حتي كان آخر سنة ١٣١٠  
أصدر التمايشي أمره الي الزاكي طبل بمنادرة أبو حرز واللعاق بالتضارف وبي  
البلاد التي ذكرنا فيما مضى أنه غرّبها وحمل أموالها الي التمايشي ثم من التضارف الي  
كسله التي اتخذها معسكراً له بقصد شن النارة على حدود الايطاليين في مصوع

### علائق التمايشي ومنليك

يدل تتبع الحوادث التي جرت بين المهديين والاحباش على أن منليك  
نجاشي الحبشة الذي خلف النجاشي يوحنا الذي مات قتيلا بيد الدراويش  
في واقعة القلابات التي صر الكلام طبا وعلى ما تقدمها من حروب الدراويش  
والاحباش على هزيمة هؤلاء وظهور الاولين

وأول هاته الادلة أن الاحباش لما انهزموا من القلابات وتتل منهم  
يوحنا كان المنتظر أن يعيدوا الكرة لاختد الثار وجلاء المارقم بفعلوا  
وعلم من ذلك أن منليك الذي خلف يوحنا أيقن أن مصلحة مملكته تقضي  
بالكف عن مناوأة الدراويش لينفرغ لصد الفاتحين من الايطاليين الذين اغاروا  
على الحبشة من جهة مصوع وانقصوا المملكة من أطرافها وهم طامعون في  
الاستيلاء عليها والقضاء على استقلالها

وقد أشرنا فيما تقدم الي أن سبب الحرب بين المهديين والاحباش أن  
النجاشي يوحنا خاف من انتشار دعوة المهدي بين مسلمي الاحباش فصرع  
في اضطهادهم واجبارهم على اعتناق النصرانية دينا فساد عمله اقبال الحبشة  
واستهجنوه وخافوا تفرق كلمة الاحباش القوي لا محمد عاقبة وكان منليك

قبل (التيقره) وقتشأول مستهجن لهذه السياسة الحرقاء وقد نصح النجاشي  
بالمعدل عنها فلم يلتفت لنصائحه

ولما قتل يوحنا النجاشي السابق وخلفه منليك أعاد الحرية الدينية  
الى حالتها الاولى ومن ثم لزم جنود الحبشة حدودها وامتنعت من  
الاعتداء على تخوم الدراويش وبعد سنة سحب التمايش جيشه من القلايات  
كما تقدم ولم يترك لحراستها أكثر من ألف مقاتل

وقد ذكرنا أنه وجه جيش القلايات لاختضاع اشك في فشوده  
ثم وجهه الى القصارف ومنها الى كسله لمهاجمة تخوم الايطاليين من جهة  
مصرع وكان هذا الاستعداد في وقت كان الايطاليون يستعدون فيه للربط  
على الاحباش في (لاريتره) مما يدل على أن تقدم الزاكي الى كسله متفق  
عليه بن التمايش ومنليك وسيجي أن التمايش لما أحس بدنو الحملة الانكليزية  
المصرية من أم درمان أنفذ سفيراً يستصرخ منليك لمعاونته

ولا مندوحة لنا عن الإشارة هنا الى أن الايطاليين كانوا حلفاء للدراويش  
على الحبشة وقد تمت هذه الحادثة بمعاونة بعض رؤساء الحبشة الذين كانوا  
على رأي البعض معاضدين لانكثرا التي كانت ترى بهذا الفرض لاشغال  
المهدين بمحاربة الحبشة عند حدود مصر حيث تجبني انكثرا وايطاليا من  
وراء تلك الحروب أضعاف مايجني الدراويش والاحباش مما تقتضيه ايطاليا لباتها  
من هؤلاء وتذكر انكثرا غايتها من أولئك

على أن ذلك كله مأخوذ من قرائن الاحوال ومن روايات بعض الذين لهم  
اطلاع على سياسة التمايشي الذي لم يصرح بشيء من أمر المحامتين مما يدل  
على أنهما سريتان والحاصل أن منليك أفلح في سياسته التي نهجها اذ جني



من ماقبها اراحة الحبشة من حرب دينية كحرب الدراويش ومن جهة أخرى  
ان تمكن من اشغال قسم من حامية ايطاليا بدفع الدراويش عن حدود بلادهم  
ثم كان من وراء ذلك انتصاره الباهر في واقعة (الاريتره) التي لا يحيط بها  
القراء وهو ما يجعلنا في غنى عن التصدي لابرادها وتدوين تفاصيلها

### ذكر سجن الزاكي طمل وقتله بام درمان

الزاكي طمل هو الذي خلف القائد أبا عنبه في قيادة جيش القلابات  
كما بسطنا ذلك في مكانه وفي بداية ولايته انهزمت جيوش الحبشة في القلابات  
وقتل النجاشي يوحنا ثم وجهه الثعاشي لاختضاع الشك في فشوده فقتل  
زعيمها عمر وأتى فيها ما سبقت الاشارة اليه وأهله من قبيلة اسمها (البنضله)  
وهي التي منها أبو عنجه سلفه وهي قبيلة من البييد المتوحشين في جنوب  
دارفور تسكن قبيلة (الثعاشية) وقد تقدم تعريفها بأوفى من هذا فلا حاجة  
لتكراره هنا وكان الزاكي هذا في بداية أمره جنديا مع النخاسين الذين يمشون  
الفساد في بلاد البييدوم المروفون باسم (البخارة) وفي أيام المهدي صار قائداً  
من قواد جيش أبي عنجه حتى صار وكيله

ولما خلف أبا عنبه في الامارة خالفه في كثير من أحواله وصار فظاً  
غليظاً يسفك الدماء ويقتل رؤسياه لاقول هفوة وأخذ يتظاهر بالانتماس  
في الثرف وشاد اسكناه القصور في القلابات حتى أنه شاد قصرأ زوج فيه  
ابنه وشرع في نقشه وزخرفته بصغار يرض الدجاج وفرض على الاهالي تقديم  
البيض ومن تأخر عن الميعاد المضروب له عاقبه عقاباً صار ما فارتفع ثمن البيضة  
الواحدة الى بضعة قروش ورحل الناس من المضاريف على ظهور المهن الى

بلاد الجزيرة جلب البيض حتى تم النفش والتبيض  
ولما اتصل بالتماشي خبر هذا القصر أرسل الى الزاكي يأمره بهدمه فهدم  
الدور الاعلى وترك الدور الاسفل وكان قد جلب له البنائين والتجارين من  
الخرطوم وكلهم مصريون

وبعد هدم القصر أمر التماشي الزاكي بمنادرة القضايف واللعاق بكسله  
لاخذ الاهبة للثارة على الايطاليين فتأدر القضايف وعسكر في كسله

وكان الزاكي في جميع أحوال ولايته حكام مطلق يفعل كل ما يراه وإذا  
قدم أم درمان يستقبل بالحفاوة والاكرام ويخرج أنى سار في موكب يحيط به  
خمسون حارسا مسلحون وكان بما أحرزه من الانتصارات على الاحباش والشك  
وما كان يقدمه للتماشي من الاموال الطائلة يرى نفسه ذامنة على  
التماشي حتى أخذ يتقوه في حديثه بأنه قادر على سلب الملك من يد التماشي  
ولولاه لم تقم له قائمة فسمى به الى التماشي وبدد وصوله القضايف ظلمت فيه  
السماية وارتأب التماشي في أمره ونمي اليه انه طامع للاستقلال فارسل  
اليه يستقدمه فقدم عليه وخرج للقائه وبالحق في الاحتفاء به حتى انه تنازل  
الي معاقته وهي حفاوة لم يسبق من التماشي مثلها وبعد بضعة أيام اجتمع في  
منزل يعقوب جماعة من مشيريه أحدهم القاضي أحمد بن علي وأنفقوا على  
طريقة القبض على الزاكي فاستدعوه من منزله وجلس يعقوب داخل ثلاثة  
أبواب فلما دخل الزاكي الباب الاول حجبوا عنه الحراس فدخل بالاحراس  
ثم قابله القاضي أحمد وجلس معه داخل الباب الثاني ثم فارقه حيث ولى الباب  
الثالث الذي في داخله يعقوب فجاء اليه جماعة بعشرة رجال من حراس يعقوب وجثوا  
على ركبهم امام الزاكي ومدهم أحدهم يديه مسلما عليه فدفع له يده ليقبلها فأسكها

ووثب الآخرون وأمسكوا سيفه ثم صرعه وغلوا يديه فأخذ يصبح مستقيماً  
يعتقوب الذي أمر بأرساله إلى السجن فوضعوا في وجليه عشرة قيود  
وجنيزا كبيرا ومكث ثلاث ليال مع سائر المسجونين ثم نزل إلى غرفة في  
السجن تسمى (غرفة الإعدام) فأجلسوه في وسطها وشبعوه بالأغلال  
حتى كان لا يتمكن من التزحزح عن متمدته يمنة أو يسرة ودربطوا إكمام ملابسه  
وصاروا ثمان من السجنائين يذهبون إلى الحريات ويلتقطان المقارب ويدخلانها  
داخل ملابسه وقد منع عنه الغذاء والماء فكث أربع ليال يصبح صياحا يفتت  
الجسادات حتى ضحفت قوته ومات في منتصف الليلة الخامسة وحات  
جثته وألقيت خارج البلد غذاء للطيور والكلاب وعين أحمد علي التمايشي  
قائدا للجيش بدله وعلق بكسلا بعد أن تلقى أوامر التمايشي بالهجوم على  
الإيطاليين وسبأني ذكر هزيمة الدراويش من وجه الإيطاليين

### ذكر قتل صالح حسين خليفه

تقدم لنا إيراد شيء عن قبيلة (الهابدة) والمناظرات الشديدة التي بين  
(المشاباب) و(المليكاب) وقد أوردنا أن المشاباب نالوا إرهم من المليكاب  
في دولة التمايشي وتمكنوا من الإيقاع بحسن أبي خليفه الذي كان معسكرا  
في نقطة آبار (المرات) بجيش من قبل التمايشي  
ولما قبض التمايشي على حسن أبي خليفه ونفاه إلى خط الاستواء كآمر  
ذلك احتل ابن عمه صالح بن حسين خليفه تلك النقطة برجال من قبيلته  
(المليكاب) الذين كانت الحكومة المصرية تدفع لكل رجل منهم رواتب  
من جيشه لاشئين فأخذوا يثيرون على حدود المهديين وقد ذكرنا فيما مضى

إغارتهم على (أبو حمد) وقتلهم ابن نمان قاتل الكولونل ستياورت قبل سقوط الخرطوم

وفي أوائل سنة ١٣١٠ هجرت ثرذمة بن الدراويش على ضابط انكليزي رتبة بكباشي وآخرين في جهة وادي حلفا وقتلوهم غرة وحلوا رؤسهم الى التمايشي وقعد صالح خليفة ومن معه بالسبل وقبضوا على كثير من جواسيس المهديونية الذين هم من مناظرهم (الشباب) ومن بينهم رجل اسمه كرار ابن بشير كرار رئيس حملة بريد التمايشي وأسندوه للحكومة فأودعته سجن اسوان ولم تطلقه الا بعد ان كلما في شأنه بشير ابو جبران شيخ قبيلة الشباب فداد الرجل الى أم درمان وأخبر التمايشي بما يقاسيه جواسيسه من تضيق صالح خليفة عليهم وقطعه السبل عليهم فسأله التمايشي عن عدد المقاتلة الذين معه فأجابهم بأنهم لا يتجاوزون لاثني فارسل التمايشي الى يونس الديكم أمير دنقلة يأمره بانفاذ خمسمائة راكب من (المرات) تحت قيادة عثمان ازرق للهجوم على صالح خليفة فانفذهم وفي صباح بعض الايام هجموا عليه ونشبت الحرب بينهم فقتل صالح خليفة وحملت أسلابه الي التمايشي الذي خطاب في الناس بأن الله تعالى قد أهلك صالح بن خليفة ونشله بيد أنصار المهديونية شر قتلة

### ذكر واقعة (غوردت) بين الايطاليين والمهديين

لما وصل أحمد على الذي خاف الزاكي طبل في القيادة الى كسلة سار بجيشه وكان نحو عشرين الف مقاتل واثار على حدود الايطاليين وأنخن في التباثل الموالية للحكومة الايطالية واستولى على أحد الحصون وفرمن

وجهه الايطاليون خدعة ثم كروا عليه وهاجموه على غرة فسقط أكثر من  
اثنى عشر الف قتيل من الدراويش وقتل أحمد على ومن معه من القواد  
ولم ينج غير النور قرأ أحد القواد ومعه نحو ستة آلاف مقاتل ولو امكن عود  
حتى وصلوا الى كسله وأرسلوا يخبرون التماشي بأمر المذبحة التي ساء وقعها  
عنده وجزع جزعا شديدا حيث لم يبق منه جيش يعول عليه غير جيش  
محمود الذي هزم في واقعة أتبره

### ذكر احتلال الايطاليين كسله

ذكرنا ما كان من أمر كسله وسقوطها في قبضة الممويين الذين التفت  
القبائل حولهم في بادي الأمر عدا القبائل التي كانت قاطنة بالرب من  
نهر مصوع فانها باتت على ولاء الحكومة حتى احتل الايطاليون نهر مصوع  
وأشهراته القبائل قبيلتنا ( بنى عامر وتهياب )

وكانت كسلة تابعة لامارة عثمان دقنة الذي لم يعض على سقوط المدينة  
في قبضته الا عام واحد نفرت في خلاله القبائل عنه واشتدت وطأته عليهم  
فلجأ إليها الى ارباض مصوع واحتلوا بالايطانيين

وكان الحاكم على كسله من قبل عثمان دقنه محمد بن علي دقنة وهو ابن  
أخي عثمان دقنه وفي أيامه نارت قبيلة الهندودو عليه لانه سجن زعيمها  
وهجرت على السجن وأطلقت من اعتقاله

وعقب ذلك ولي التماشي بافرجة وعزل عثمان دقنه عن منصب الامارة  
كما أمر ثم عزل بافرجه أيضا وفصل حكومة كسله عن إمارة السودان  
الشرقي وولى عليها حامد بن علي أحد أقاربه البقارة فعمها الظلم والدمار

وهلكت قبيلة الهندوه التي كان عدد نفوسها ثربو على مليون نسمة كما هلك غيرها من القبائل التي لا يقل مجموع نفوسها عن مليون نسمة وحمل حامد بن على القاطير المنطرة من الذهب وانفضت الى التمايشي وأخيه يهتوب وفي سنة ١٣٠٩ عزل التمايشي حامد بن على وولي عليها مساعد بن قيدوم الذي كان في دقنة مع ابن النجوى وقد ذكرنا بمض أخباره ضد حواشي التي تقدم إرادها ثم تلا ذلك الواقعة التي قتل فيها أحمد بن على وهلك معه اثنا عشر ألفا من الدراويش

وكان مع مساعد في حامية كسله عبد الرحمن بن بان النقا الذي كان مع الجنرال هيكنس وقد ذكرنا بمض أخباره هناك وأنه أصابه ضربة سيف فتأت عينه فأخبر عبد الرحمن هذا مساعد بأن الايطاليين اقتربوا من المدينة فزأ بقوله ولم يأخذ لنفسه حيلة حتى ارتفعت الشمس فاذا الايطاليون زاحفون على المدينة بانتظام حيث كانت القوة مشكلة من قلب وجناحين فاندحر مساعد ومن معه من الدراويش وأسرعوا بالفرار وتركوا نساءهم في المعسكر الذي دخله الايطاليون ووضعوا السيف في رقاب من فيه وأحرقوا الاكواخ بالبرترول والناار

وتخلف عن الدراويش كثير من أسري المصريين وكذلك تخلف في المعسكر عبد الرحمن بن بان النقا الآنف الذكر فاصابته رصاصة أودت بحياته ويقال أنه كان يرسل الايطاليين ويطلبهم على عورات الدراويش هذا ما كان من أمر الايطاليين أما مساعد ومن معه من النصارى فانهم لحقوا بمكان اسمه (أصوري) في الضفة الاخرى من نهر اتيهه وعلى

بعد نحو ست مراحل من كسله وهناك أرسلوا يلفون التمايشي الذي كاد يفقد صوابه لشدة التزعج ماجرى فأرسل الى بان النقا والد عبد الرحمن يخبره أن ابنه مات كافراً لأن مساعدا لم يجد عذراً يعتذر به عند التمايشي غير إخباره بأن عبد الرحمن كان يطلع العدو على عورات المعسكر ويرفع اليه أخباره وأخيراً قدم مساعداً إلى أم درمان فقبول من البقارة والتمايشي بالازدراء والاحتقار لفراره من وجهه العدو واسكن التمايشي أصدر منشوراً قال فيه ان المهدي أخبره بأسر هذه الواقعة وان مساعداً شجاع وليس جباناً ونهى الناس عن تحقيره وتوبيخه

وقد استولى الخوف والرعب على قلب التمايشي وخاف تقدم الايطاليين الى جهات القصارف فأسر بأقامة معسكر في جهة (اصوري) على ضفة نهر اتيه

ذكر معسكر اصوري وإخبار حامد علي وإحمد فضيل (اصوري) اسم لمكان على نهر اتيه لم يكن حوله عمران ولا بلاد وغاية الامر انه علم على جهة صحراء (دبره) التي كانت قبيلة الشكرية البائدة ضاربة أطنابها في أرجائها وهي صحراء واقفة بين النيل الازرق ونهر اتيه ولما خلت الصحراء من أعراب الشكرية بانت اصوري وغيرها فقرا بلقما ليس فيها دار ولا ديار غير وخوش الفلاة وحيوانات القفار ولما انهم الدراويش وأجاءوا عن كسله لحق القارون بجهة اصوري حيث اجتازوا النهر وصاروا آمنين غارة الايطاليين الذين كانت طلائعهم تصل الى الضفة الشرقية من نهر اتيه الذي صار حداً فاصلاً بين العتئين

وبعد ان جاءت اخبار الايطاليين الى أم درمان بإيام جمع التماشي رؤساء  
 قبيلتي (الجليلين) والدنقلين وجلبهم من التجار وأولى اليسار وخطابهم في  
 المسجد قائلاً انكم انصار الدين واصحاب المهدي الاقدمون وقد توفى المهدي  
 وهو عنكم راض وقد علمتم امر الايطاليين وأنهم قد أخذوا كسله منا ونحن  
 نود منكم ان تكفونا ما اهدنا من أمرهم وقد جعلت لكم ميزة على غيركم  
 وذلك انني تركت لكم الخيار في من رضونه أن يكون قائداً عاماً عليكم  
 وانكم لا تجهلون ما فيه بيت المال من العسر وأنتم بحمد الله موسرون فعليكم  
 أيضاً أن تقوموا بشقة سفركم من خاصة أموالكم وأعقب ذلك بكلام طويل  
 في مدح المجاهدين بأموالهم وأنفسهم واستشهد بالآيات الشريفة الآمرة والمأدحة  
 للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم فقام جماعة منهم وقالوا لا نرى أهلاً لهذا المنصب  
 غير حامد بن علي الذي كان أميراً على كسله وهو أخو أحمد بن علي الذي  
 مات قتيلاً في واقعة أتبه فاندھشنا من كلام هؤلاء الذين لم يروا أهلاً  
 للرئاسة عليهم غير بقاري ولكننا ما لبثنا أن علمنا أنهم موحدون اليهم بهذا  
 الاختيار لانه لا يمكن أن يولي الرئاسة في دولة التماشي غير البقارة .  
 فاستدعي حامد بن علي وصدر نطق التماشي الذي كانوا يسمونه أبان دولته  
 باسم (النطق الشريف) كما كانوا يسمون بابه باسم (الباب العالي) بتعيين حامد  
 على قائداً على الجليلين والدنقلين ومرابطاً في معسكر أصوري

هذا وقد كنا نظن أن التماشي يروم أن يري الايطاليين من هذا الجيش المرمرم  
 بما لا قبل لهم به ولم يكن يدور في خلدنا أن غاية الاستفادة من ثروة الجليلين  
 والدنقلين وجلبهم كما قلنا من التجار وأولى اليسار فقد أصدر أمرا خواه  
 التفويض لحامد بن علي في إشخاص من يري إشخاصه وترك من يري تركه



من الرؤساء والرؤس من الاجناد والقتالة قبل الناس الى داره يقدمون له  
الرشا على تركهم فكانت الرشوة عن كل شخص خمسية ريال فصاعدا  
كل بحسب ثروته وما يملكه من المال اغتنم حامد بن علي القناطير المقنطرة  
من الذهب والفضة وقد كان للتعايشي وأخيه يعقوب النصيب الاوفر  
من هذه النسيبة

وبعد أن فرغ حامد بن علي من أخذ الرشا سار في بضعة آلاف  
الى أصوبري وجعل معسكره على ضفة نهر (تبره) وأقام الناس وهم في حالة  
ضنك شديد لان ما حوالى تبره لم يكن مأعولا بنير الاعراب الرحالة الذين  
بادوا وختل الديار منهم منذ أعوام وكذلك كان من في الماء بكر في شظف من  
الميش تجلب لهم الحبوب من القضايف التي تبعد عنهم بمسيرة عشر مراحل  
ودواب النقل قليلة جداً وليس في المعكرشي من الحضر وقس على ذلك  
سائر حاجيات الافراء وشاد حامد داراً واسعة لسكناه وقصره على  
مصادرة أموال من معه من القاتلة واغتصاب نساءهم حتى جمع في داره من  
الحظائيات اللواتي تغرب الامثال بجمالهن اكثر من عشرين محظية ونحو أربع مائة  
غلام لا تتجاوز أعمارهم خمسة عشر عاماً فاشتد البلاء على الذين معه من  
القواد وعمل صبرهم وأخذوا في رفع الشكاوى تباعاً الى التعايشي يوضحون  
بها سوء سلوك حامد المذكور ويخبرونه بأن معسكرهم لا أهمية له وأن  
الاطالين لا يتقدمون خارج كسله

وكان في القضايف أحمد بن فضيل البقاري ابن عمه التعايشي أميراً من  
قبله عليها فكتب اليه يأمره بالشخص من القضايف الى معسكر أصوبري  
لتحقيق شكاوى الامراء من حامد بن علي فشكل الى أصوبري وقدم له

الامراء أموالا طائلة ليهي في خلاصهم من ظلم حامد بن علي أولا ومن  
معسكر أصوري ثانيا فأمرهم بتدوين مطالبهم في عريضة يقدمونها له فقبلوا  
وكتب إلى التمايشي يسأله إجابة التماسهم فأصدر أمره إلى أحمد بن فضيل عصابة  
أموال حامد بن علي والقاه معسكر أصوري وإضافة مقاتلته على القضايف  
فتناول أحمد بن فضيل أموالا طائلة من حامد وأرسلها إلى التمايشي وقتل  
راجعا إلى القضايف ومن يومئذ أتى معسكر أصوري

### اجمال حال السودان بعد ذلك

رأيت من مفصلات ما سردناه أن حالة اللمدية تبدلت تبديلا عظيما  
وتوالى عليها القتل في أماكن متعددة وبالجملة فإنها لم تقم لها قائمة منذ سنة  
١٣٠٦ ولم تجزى ثمرة انتصار في ميدان قتال بعد نصرتها على أبي جزيمة في  
دارفور ونجاشي الحبشة يوحنا في (القلابات) وكلا الانتصاريين كانا في سنة ١٣٠٦  
ثم تلت ذلك الفتن الداخلية والاضطرابات الاهلية كانتقاض الخليفة  
الشريف وغيره ممن بينا لك حواشيهم واستقصينا فيما تقدم أخبارهم  
وقد أضربنا عن ذكر كثير من سفاسف الامور فراراً من التطويل  
ولأنها كثيرة تحتاج إلى مجلدات ومنها أخبار الذين حاولوا قتل التمايشي الذي  
صار لاهم له غير المحافظة على حياته ودفع من يريدون به السوء ولذلك زاد  
في عداد حراسه حتى بلغوا ثلاثين ألف مقاتل فكان إذا خرج من منزله إلى  
المسجد أحاط به عشرون ألفا مدججون بالسلاح ثم يحيطون بالمقصورة بعد  
دخوله فيها فلا يستطيع أحد الدنو منها  
أما هو فقد انغمس في ملاذه أكثر من ذي قبل وضخم جسمه حتى

صار أضعاف ما كان عليه قبل ذلك

أما الاهلون فقد قعدوا كل شيء ولم يبق بأيديهم من وسائل الحياة سوى بعض الاراضى التى يستغلون منها الحاصلات التى يأخذ بيت المال نحو ثلاثة أرباعها

وكرر النفي والقتل فى الاعيان لا باب غير انتقاض الخليفة شريف ومن الذين نفوا وقتلوا فى منقام اسماعيل بن عبد القادر ابن أخت الشيخ المكي وكان فقيها أزهريا اجتمع بالمهدي فى لايبض واشتغل عدة سنوات بكتابة سيرة المهدي وتدوين وقائع المهذوبة وفى أخريات أيامه صار من مقرري التمايشى فوشى به حساده بأنه يعتقد اجتنابا سريريا ضد المهذوبة فنفى الى خط الاستواء وقتل فى منقامه

وأصدر التمايشى أمرا قال فيه ان كل رجلين اجتماعا بعد صلاة العشاء خارج المسجد بعد اجتماعها لثاية هى الانتقاض كما أصدر أمرا بإبطال المنتديات العمومية ( القهاوى ) لأن أكثر الذين يدبرونها مصريون ولأن الذين يجلسون فيها لشرب القهوة يكلمون فى أشياء تمس المهذوبة وهذا كله كما لا يخفى خوف من الاجتماعات التى ربما اتفق المجتتمعون فيها على خلع طاعة التمايشى وقد تغيرت حالة العمال والجباة الذين سبق لنا الكلام عنهم حيث عين التمايشى أحمد السني جاكأ عاما على أقسام الجزيرة وألزمه بتقديم مائتى ألف ريال الى أخيه يعقوب وثمانين ألف أردب من الذرة ومائة ألف ثوب من خرقة ( الدمور ) وهذا عدا الهدايا والتحف والجوارى الحسان والحيول

وعلى ذكر أحمد السني نريد هنا ترجمته فنقول هو من عشيرة صغيرة ينتسب

الى رجل اسمه مدنى السنى وأصله من عشيرة ( البصيلية ) في جنوب مقاطعة  
قنا سكن هذا الرجل في قرية بين الخرطوم وسنار يطلق عليها اسم ( ودمدنى )  
ثم مصرتها الحكومة ابان الفتح الاول وجعلتها قاعدة حكومة السودان وكان  
الترجم من رعا واولاد هذه العشيرة وكان يرعى غنم المرحوم الشيخ محمد  
بخت الجبل سر تجار تلك المدينة

ولما خضع السودان للمهدوية وصار ابراهيم عدلان الذي تقدم لنا  
ذكر تعيينه أميناً لبيت مالها وكانت آله من هذه العشيرة لحق به للترجم فلم  
يزال ابراهيم يرفعه رعاية لحقوق القرابة حتى صار رئيساً لقلم مبيعات بيت  
المال فكان جزاء ابراهيم أن أحد السنى هذا صار من ألد أعدائه الذين وشوا  
به عند التعايش وكانوا السبب الأقوى في الإيقاع به كما ألمنا الى ذلك فيما  
تقدم من هذا الكتاب

وبسبب وشاية هذا الوضع بمن أحسن اليه ورفعته من حضيض  
الخلول الى ذروة العلي التي صار بها ذا حيثة في الوجود رفعه التعايشي حيث  
آنس منه لؤما ودناءة هو في حاجة الى استخدامهما للنهب والسلب وأكل  
أموال الناس بالباطل فولاه على الجزيرة ككلها فارفق أهلها ظلماً يعجز عن  
وصفه القلم وسلب مابقى في يد الاهالى من الثروة ووسائل الحياة وجمع  
لنفسه أموالاً طائلة تقدر بمئات الالوف

والحاصل أن حالة السودان في هذه السنة أى سنة ١٣١١ هجرية  
كانت تفتت الأكباد وتندربسوء المصير ولاغربة فان الظلم مدمر لكل عمران



## ذكر قراءة الناس بالالواح

كان التماشي أميا يجمل الكتابة والقراءة وكان اذا أم الناس في الصلاة  
الجهرية يسر في القراءة حتي لا يسمع من واد قرائه التي يرجح  
الا كثرون انها لم تكن قرآنا لانه فضلا عن جهله المركب كان يلبد النهم  
حتي قيل ان الذي أقرأه فاتحة الكتاب نفي معه مدة في سبيل تلقينه اياها  
وفي سنة ١٣١١ شرع في قراءة السور الصغيرة من القرآن الشريف  
وخطب في الناس قائلا يجب على كل فرد من أفرادكم صغيرا كان أو كبيرا أن  
يحضر بعد ثلاث ليال لوحا من الخشب ويبتديء في كتابة القرآن كما يفعل صبية  
المكاتب فاجابه أحدهم بأن كبيرا من الناس يحفظون القرآن عن ظهر قلبهم  
ومنهم العلماء والفقهاء فالاولى أن تكون القراءة الزامية بالنسبة للاميين والذين  
لا يحفظون القرآن فاجابه التماشي بان حفظه القرآن والعلماء والفقهاء لا تشغهم  
معرفةهم ولا تنفي عنهم فتيلا الا اذا امتثلوا ما أشرت به عليهم فاجابوا بالسمع  
والطاعة وانصرفوا الى حوانيت التجارين لصناعة الالواح فارتفعت أثمان  
الالواح وكان الفائز من يحصل على لوحه قبل الميعاد المضروب لكيلا يصبح  
تحت طائلة العقوبة

وبعد ثلاثة أيام أحضر جل الناس الالواح فلما رآهم رقي منبر الخطابة وقال  
لهم هيا ابدأوا بقراءة القرآن من 'وله وعلى كل أمير أن يجمع آامه في المسجد  
بعد غروب الشمس ويؤدوا من اخطب يحيط بها الناس وبقرون ألواحهم  
على ضوئها حيث يصير الأمير كفقير يعلم الصبيان فيتنهر هذا ويزجر ذاك  
وهكذا ثم يمر التماشي متفقدًا تلك الحلقات كأستاذ أكبر ويقف على كل حلقة

ويبدي ما يمين له من الانتقاد فانظروا الى هذه السخافة فكأن هذا الطاغية  
 النشوم لم يكن بما صار له من السلطان يلى الناس يحكم فيهم كيف شاء  
 حتى أراد ان يجعل نفسه معلم صبيان ويجعل شعبه كاطفال يتعلمون  
 على أنه ربما كان الباعث له على هذا الامر هو أن والده ( التمايشي ) كان  
 يعلم الصبية القرآن وقد كانت نفسه قبل نيله الملك تتوق لان يكون معلم  
 صبيان كايه وكان بينهما تلك الامنية صموبة تمامه القراءة والكتابة فلما قدر  
 له أن يكون ملكا رأي أن يقضي وطره من تلك الامنية التي كان دون وصوله  
 اليها خبط القناد هذا ما يمكنني ان ابرره به سخافة ذلك الظالم ان كان ثمت ما يبرر  
 السخافة والا فالناس كلهم كانوا في حيرة لا يتدون معالي الباعث له الى  
 هذا الامر

والحاصل أن الناس ظلوا أكثر من عامين حاكفين على القراءة في المسجد  
 والتمايشي يلهذ بالتبخر حولهم وتة قد حلت بهم التي كانوا يتكفون فيها  
 ويرفون أصواتهم بالقراءة

ولسنا ندري بعد ذلك هل زالت عنه بلادة الفهم ووفق الى حفظ بضعة سور  
 من القرآن الشريف فانه استمر على القراءة - راء كانت الصلاة مما يسرفي  
 قراتها أو يجهر فيها وكان يحمل لوحا مثل بقية الناس يخرج به من منزله ويمود  
 به وكان من جملة ما أمر به أن يحمل آيات المأوايت من التجار والصناع الواحا  
 تكون معهم مدة العمل وبعد غروب الشمس يحملونها الى المسجد لينضموا  
 الى الحفلات التابئين لها حتى ارتفعت أصوات الناس بالندس والشكوى وبعد  
 أكثر من عامين أصدر أمره بمحافتهم من اقراء قتركوها وعم فرحون

## ذكر بقية اخبار سلاطين باشا وفرار

وعدت بذكر بقية اخبار سلاطين باشا التي وفت ذمها عند ذكر سجنه لما وفت عليه تهمة مخارة الأسوف عليه غردون باشا واقول الآن انه ظل مسجوناً الى ما بعد سقوط الخرطوم حيث أطلقه التمايشي من السجن وأصره بالازمة بابه مع شزيمة من حراسه يطاق عليهم اسم (اللازية) فظل مقبلاً هكذا وشاد لنفسه داراً بالقرب من منزل يمتد بآخي التمايشي وكان يقضي معظم ليله ونهاره في باب التمايشي وانما صوته بالتهليل وكان صوته أشبه بنمات الافرنج وكان عنده من الخيل حصان يركبه كلما ركب التمايشي وكان في بيته جوارلخدمته أهداهن له التمايشي وهن رقيات عليه وكان يلبس الملابس الرثة اظهاراً لازهد وتوبها على اجتناب الرفاهية وكان يمشي في أكثر الاحيان حافياً وكان له حذاء من نوع النعل الذي يقال له (شقبانه) واذا ركب جواده في مركب التمايشي تميم بهامة حمراء وتمنطق بمنطقة حمراء مثل سائر الفرسان وفي بعض الاوقات يحمل بندقية من طرز رامنبتون من النوع المخصص للفرسان وكان شديد الحذر والنيقظ فلا يظهر ما تكنه نفسه من المقاصد وله أصدقاء كثيرون منهم من لا يصدق بدعوى المهدوية أصلاً وهؤلاء لا يحترس من التصريح لهم بما يوافق مشربهم وله أصدقاء أيضاً من الذين يصدقون بدعوى المهدوية لكنهم ينقمون على التمايشي ويودون أن يكون سيره مطابقاً لمداللة التي تكفل عمران البلاد وتنظيم الحالة وهؤلاء يظهر لهم انه من الذين من الله عليهم بالمهداية الى الاسلام وانه يود من صميم قواده ان تصبح دولة المهدوية من أرقى دول الارض ويتعجبهم بكثير من اخبار تقدم الممالك وما

يلزم له من ضمانه المدالة والمساواة اللتين هما اس العمران وله اصدقاؤه  
غير هؤلاء واولئك ومالبقارة والذين معه في ملازمة باب التمايشي وهؤلاء  
يظهر لهم في كل لحظة وحين انه من اخلص المخلصين للتمايشي وربما ألقى عليهم  
من المواعظ ما يزيدهم تمسكا بولاء التمايشي حيث يقول لهم ان لاسلامه  
للانسان في الدنيا والاخرة بغير ان يكون طامعا لحليفة المهدي في كل  
ما يأمر به

والخلاصة انه صار ذا صداقة مع جل الناس ومع ذلك كله لا تجدد منهم  
من لا يحترمه ويشهد له بالعقل والدهاء  
وأما علاقته مع قلم المخابرات في مصر فبالطبع انه كان يكتنفها كل  
الكتمان ولكن يظهر انه كان ذا علاقات كثيرة معه اذ كان يوافيه ببعض الانباء  
مع حذر ويتقظ

هذا بمجل حال سلاطين باشا وفي اواخر سنة ١٣٠٣ كان التمايشي  
انفذه بأمر موزية الي يونس الديكيم لما كان مسكرا في (ود العباس) فعاد منها  
ويقال انه قدم للتمايشي نصائح عديدة كان البعض يظن وقوعها موقع القبول  
عند التمايشي فغابت ظنونهم

وأما قراره فقد تم الاتفاق عليه بين قلم المخابرات وشخص يدعى  
(احمد الفحل) احد أفراد قبيلة الجميلين وكان علي مابلقني جاسوسا لقلم المخابرات  
براتب قدره عشر جنيهات وكان يستتر بالتجارة في ذهابه وايابه الي مصر  
وكذلك يوجد شخص آخر اسمه (الصادق بن عثمان) كان يماون أحمد الفحل  
لانجاز هذه المهمة قدم الشخصان أم درمان وخبأ آ الجبال وادلاء الطريق خارج  
أم درمان واخبراه بالامر فلم يريدا من الفرار لانه أصبح في خطر من



التماشي بسبب ان بعض التجار جاء باعداد من احدي الجرائد المصرية وفيها  
من الاخبار ان الحكومة باذلة جهدها لانقاذ سلاطين باشا وان الجساسة  
التي كانت مجبولة لمن ينقذه ضوعف مقدارها فاشترى سلاطين باشا احدي  
تلك النسخ بمبلغ من الريالات ثم علم بوجود غيرها وانه لا سبيل الى شرائها  
بغير مبالغ عظيمة وذلك من جملة الاسباب التي جرأته على المخاطرة بحياته  
في سبيل الفرار كما قيل

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا فلا يسمع المضطر الاركوبها  
وكان التماشي وقتئذ ملازما داره لانحراف طرأ على صحته فاعتزم سلاطين  
باشا الفرصة وغادر ام درمان فارا الى اصوان حتى بلغها بعد جهد جيد وبعد  
ما عين الهلاك بميزبه ولا فائدة لنا بعد ذلك في سرد ما لاقاه في الطريق من  
الصعوبات وما فاقسه من فادح الاخطار لانه والحق يقال شجاع من الذين  
لا يبالون بالاخطار وذو ذكاء تضرب بحذقه الامثال على انه اذا كان افضل  
لكتشنر باشا فيما ابداه من الحنكة والتدريب في فتح السودان ونجحت باشا في  
ادارة المخبرات التي تتوقف عليها اسباب النجاح فان سلاطين باشا لا يصح  
أن يفشل ذكره كما ذكر هذان القائدان اذ هو صاحب المعلومات التي كان  
الاشنان في حاجة لها في جميع أطوار الحملة. والخلاصة انه من الذين كانوا السبب  
الاكبر في انقاذ بلاد السودان من رقة الظلم والاستبداد وسيذكر ما ذكر  
هذا الفتح المجيد والى الله عافية كل شيء.

وأما التماشي فلم يتصل به نبأ فرار سلاطين باشا الا بعد ليلتين مضتا على  
فراره فاحتدم غيظا واركب خلقه الركبان الذين رجحوا بغير أن يدركوا غباره  
وقد كان من شدة غضب التماشي انه أمر بسجنى خوفا من فرارى كما سيجي

ذكر لك مفصلاً فيما يأتي وكما سيبيء ذكر القبض على اللذين دبرا له القرار  
وهما أحمد الفحل والصادق عثمان

ذكر نفي أحمد الفحل والذين ساعدوه في فرار سلاطين باشا  
قلت ان أحمد بن الفحل كان جاسوساً لقلم الخابرات المصرية يتناول  
واثماً قدره عشرة جنيهات ورفيقه الصادق بن عثمان كان كذلك لكنني لأعرف  
مقدار الراتب الذي كان يتناوله على الجاسوسية

وأحمد الفحل هذا من قبيلة صغيرة من الجبلين تسكن قرية اسمها  
(التحلاب) في الضفة الغربية لليل وعلى بعد بضعة أميال جنوب بربر وأما  
الصادق عثمان فانه كان من أهالي بربر وكان من جنود الحكومة (الباشبوزق)  
ثم ترك الجندية وصار يتجر بالسلع ظاهراً وبالجاسوسية باطناً

ولما عقدا الاتفاق مع قلم الخابرات الذي لا بد أن يكون نقدهما شيئاً من  
المال يستعينان به على ابتياع الجبال وشراء الدواب واستئجار الادلاء غادرا  
القاهرة وفاقاً ببربر ويظهر أنهما كانا خير مبالغين بما عقدا النية على انفاذه  
حيث أخذوا في شراء الجبال بنفسهما ومعهما الادلاء وهما في بربر وقد كنت في  
حيرة عسر على الاهتمام معها الى الاسباب التي ملأت قلوبهما جرأة حتى  
صارا في حركة كانت سبباً في وقوعهما في برائن التعايشي حتى نقل الي بعضهم  
أن أحمد الفحل قدم رشوة من المال الي الزاكي عثمان أمير بربر يومئذ وأطلعه  
على ما يتوهم فوعده بالكف عن عرقلة حتى صار يباشر شراء الجبال غير خائف  
ولا متعيب حتى أن التعايشي لم يستدل على الذين هربوا سلاطين باشا الامن  
احد أهالي بربر كما تراه مبسوطاً في هذا الباب ويظهر جلياً للتأمل صحة هذا

القول ولو لم يكن كذلك لما خفي على الراكي ما يحاوله أحمد الفحل ولا استطاع أن يقبض على سلاطين باشا قبل مفادرة قرية الفصلا ب وقد نقل الى مخبري أيضاً أن أحد الجواسيس أخبره بأن سلاطين باشا لما بلغ قرية الانحلاب ذهب وأخبر الراكي بمكنته فأمر بإيداعه السجن لكيلا يذاع الخبر وبعد بضع ليال أطلقه بعد أن أمره بكتمان هذا الامر

والخلاصة اني أرجح اشتراك الراكي في مسألة هرب سلاطين باشا وأنه تناول رشوة اذ كان أحمد الفحل صديقاً حميماً له ومقرباً عنده. والحاصل أن أحمد الفحل ورفيقه لما فادرا بربر وعلقاً بأن درمان وأوعزا الي سلاطين بالهرب وظل التماسي في حيرة لا يعرف معها من ساعده علي الهرب قدم عليه عبد الماجد بن الحاج محمد وهو ابن أخي محمد الخير الذي كان داعية المهدى في بربر فأخبره أنه رأى أحمد الفحل ورفيقه الصادق عثمان ومعهما دليل يتناغون الجبال في بربر فأرسل التماسي العوض المرضي أمين بيت المال الى أحمد الفحل فاستدعاه اليه وقال له اننا نريد منك أن تجلب لنا موسيق من القاهرة فتال لهم نعم أنهم هم لكم باحضارها ويأمنها في الكلام اذ هجم عليه المبيد وقبضوا عليه وأوثقوه كئنا فاشم زجوه في السجن وكذلك قبض على رفيقه الصادق عثمان وعلى شخص آخر يدعي ابن أبي بشر اتهم بأنه كان يمينهما ثم أرسل التماسي الي بربر فقبضوا على الدليل الذي رآه معهم وهو عبد الماجد الآنف الذكر ولما أوقف الدليل بين يدي التماسي خاطبه قائلاً اذا صدقتني الخبر فانت آمن علي نفسك ومالك فاجابه قائلاً ان أحمد بن الفحل والصادق عثمان استأجرا نني من بربر وجاءا بي مع الجبال التي اشترياها منها وتركاني في سنج جيل (كردي) ثم أتاني في يوم كذا بنصراني ميتور الاصبع الوسطى وقالا

لى أوصله قرية ( الفحلاب ) وسلمه الى أخوة أحمد الفحل فذهبت  
وأوصاته لهم ثم لا أعلم ماذا صار قاسر به الى السجن وبعد أيام أطلقه ولم  
يصبه بسوء إذ تحقق صدقه ثم أرسل فقبض على أخوة أحمد بن الفحل  
الثلاثة وأودعوا السجن وبعد أن مضى عليهم شهران فى السجن سجنوا فى  
خلالها منهم كما ذكر ذلك فى مكانه ثا شعت الا ونحو خمسين عبداً من حراس  
يعتوب دخلوا السجن وبأيديهم السياط فأخرجوا أحمد الفحل والصادق عثمان  
وابن أبي بشر وأخوة أحمد الفحل الثلاثة ونزعوا ثيابهم عنهم وقرنهم فى  
الاصفاد وأخذوا يضربونهم بالسياط حتى تمزقت جلودهم وسالت الدماء منهم  
وكانت احدى البواخر راسية على ضفة نهر فسبوا اليها وهى على وشك  
الغرق الى خط الاستواء ولما وصل هؤلاء المسجونون الى ضفة النهر أغمى  
عليهم من شدة الضرب فكان الحراس يحملونهم كما يحمل المتاع ويلقونهم  
فى غبار الباخرة فكانت تسمع مصادمة اجسامهم مع جسم قاع الباخرة  
كانهم من نوع المتاع ثم اقلعت بهم الباخرة الى خط الاستواء وهناك لقوا حتفهم  
فهؤلاء هم الذين ذهبوا ضحية سلاطين باشا وانا سابعهم لسكنى والله الحمد  
نجوت بعد عذاب قاسية خمسة خمس سنوات فى السجن كما سأتى ذكر ذلك

### ذكر سجن ابراهيم حمزة وجماعة من اعيان بربر

ابراهيم حمزة عميد قبيلة فى بربر اسمها ( الاقرباب ) ولما وصلت دعوة  
الهدى الى بربر نفر عنها ابراهيم وقومه وبنى على ولاء الحكومة حتى اكراه على  
الخويع لمهدوية وهو كريم جواد ذو أيداء يضاء على جل اسرى للمصريين  
وفو سمة وسبجىء فى اخبار سجن المؤان ذكر كثير من شامالة الغراء

ولما فر سلاطين باشا كما تقدم وبلغ قرية (الغلاب) ذهب مخبر الى  
ابراهيم حمزة هـ ا وأعلمه بمكن سلاطين فامتنع من القبض عليه وبعث اليه  
من حذره وامره بسرعة الريل وأوصي نومه بدم التمرض له وتظاهر  
بدم العلم بامر فاقبل ذلك بالتماني فارسل يستقدم ابراهيم وبعض أقاربه  
ومنهم ابن عمه محمد الشايق وكذلك استقدم منصوراً ومحمداً ابني المجي وهما  
عميدا عشيرة في بربر أيضاً

ولما قدم ابراهيم جلس التماشي مع القضاة واهل الشورى وادخل  
عليه فسأله قائلاً لماذا تركت سلاطين اجناز بلادك فاجابه بأمل لا اتي لم  
اعلم بامر وانه شيطان قدر على الفرار من بابك وفلت من ايدى الالوف  
من حراسك فكيف لا يقدر على اجتياز بلاد التي هي فلاة مملوءة بالادغال  
والنسابات فاطرق التماشي ثم امر بسجنه وابن عمه وكذلك ابني المجي  
ووضع في رقبته كل منهم جنزيراً من الحديد وجملة من القيود فكنوا في السجن  
خمس سنوات حتي اتقدم اللورد كتشنر يوم فتح ام درمان وسنذكر بقية  
اخبارهم في السجن وما كان من احتفالهم بي فيه اذ لولا ما كان يستلذه  
ابراهيم حمزة من المال في سبيل دفع اذي السجائين عن هلاكات فجاءه الله  
عني أحسن الجزاء

تمهيد في ذكر السجن ونظاماته واطلاق اسم

السائر على كل سجن

علمت مما تقدم كيف هرب سلاطين باشا الذي لم أثبت بعد فراره الا  
أما قلائل صار سجنى فيها حيث ظلت في السجن خمس سنوات ثم أطلق

اعتلى منه اللورد كئشتر يوم دخل أم درمان  
ولما كان جل ما يحىء ذكره في أخريات هذا الجزء من أخبار السجون  
التي قاسيتها رأيت أن أقدم هذا التمهيد في ذكر نظمات السجن وترجمة السجنان  
للمسمى (الساير) ادريس الذي اطلق اسم الساير على كل سجن من سجون  
المهدوية وفي الانحاء الخاضعة له لاجله فاقول أما ترجمة الساير المذكور فانه أعرابي  
من قبيلة (الجمع) التي تسكن شرق كردفان وقد تقدم لنا ذكر شيء من  
عوائدها التي من جملتها ان الفتاة لا تزوج الا بعد ان تلد بضعة أولاد من الزنا  
ليحيوا اخاها ويطلق عليهم اسم (عينة خالهم) وكان الساير هذا من أكبر أشقياء  
تلك القبيلة وكان رئيس هبة تقطع الطرق بالهيب والسلب  
ولما ظهرت دعوة المهدوية في جبال قدير لحق بها الساير فقلده المهدى  
وخلية سجن ومن ثم اطلق على السجن اسم الساير  
وأما أوصافه فانه كان ودية في الطول بدين الجسم ولونه نحاسي خامق ووجهه  
هبوس وكان عيذه شعلة نار  
وكان النمايش لا يدفع له صربا ولكنه ذو قوة عظيمة تقدر بمئات الالوف  
جمعها من الذين أوقعهم نكد الطالع بين يديه وسترى فيما يأتي أمثلة من ضروب  
ابتزازة اموال المسجونين  
وأما معاونهم كثيرون وجلهم من المبيد (الجهادية) ورؤساؤهم من ذوى  
قربته من قبيلة الجمع  
وأما السجن نفسه فانه عبارة عن سور من اللبن الاخضر على أكمة  
مرتفعة عند ضفة النهر وفي داخل السور العام عدة اسوار ومبان اسكنى  
الخبراء وجلس السجنان

وأما غرف المسجونين فهي كثيرة منها ما هو مشيد بالحجارة وجلها ليس له نوافذ لتبديل الهواء ويوجد من الغرف ما يطلق عليها اسم (الاعدام) وعلى كل حال فإن السجن نوعان خفيف وثقيل أما الخفيف فهو عبارة عما يعامل به الذين يسجنهم القضاة بسبب الديون أو الحدود وغيرها وأما الثقيل فمخصوص بالذين يسجنهم التعاشي وهم في الغالب ذوو الجرائم السياسية وما يلحق بها وسترى فيما يأتي ذكر كثير من أخبار السجن وغرائبه والله الموفق



### ذكر سجن المؤلف

لما فر سلاطين باشا استدعى التعاشي القضاة وكثيراً من أهل شوره وجلس معهم وعدد لهم ما أتاه مع سلاطين باشا من أنواع الأكرام وما غمره به من الاحسان ومع ذلك فقد كفر تلك التماء وارتد عن الاسلام ولحق ببلاد الكفار فأجابوه بالاستغراب وقال له أحدهم انه لا أمان لمن كان وجهه أبيض خصوصاً اذا كان ذا وظيفة في الحكومة وقال له آخر ان سلاطين قد كان مضراً للكفر مظهرراً للإسلام والدليل على ذلك انه كان صديقاً حميلاً لبراهيم فوزى (المؤلف) وكانا يجتمعان في منزلهما ويشربان الخمر ويدخانان التبناك ولا بد أن يكون ابراهيم فوزى ذا ضلع في مسألة فراده فقام ثالث وقال للتعاشي انك اذا لم تأمر بسجن ابراهيم فوزى فر ولحق بسلاطين لان سلاطين أصغر منزلة في الحكومة من ابراهيم فوزى اذ هو حائز رتبة (باشا) أما سلاطين فلم يكن حائزاً الا على رتبة (بك) فصادت هذه الاقوال أذناً صاغية من التعاشي فأرسل أحد حراسه لاحتضاري

وبينا أنا في غفلة من هذا اذ فاجأني الطلب فارتمت له وأدركت ان  
المصير سيئ فحاولت اخفاء ما ألم بي فلم أفلح وذهبت وكأني أودع الحياة  
على أن ماقله مشيرو سوء لم يكن له نصيب من الصحة اذ كنت  
لا أجتمع بسلاطين باشا الا نادراً وليس بيني وبينه غير مودة سطحية لانه  
كان يخاف على من تهمة كهذه ولكن لا يفتي حذر من قدر

ولما دخلت على التمايشي أقيته جالساً على عترب ( سرير ) وحوله  
القضاة والمشيرون جاثين على الارض كما دتهم وسيفه موضوع على فخذه  
ممسكاً يمينه على قبضته كأنه يريد أن يستله والنضب باد على وجهه فخطبني  
قائلاً يا ابراهيم فوزى فقلت لييك يا خليفة المهدي عليه السلام فقال أين سلاطين  
صاحبك فقلت لا أعلم ياسيدي وأظن انه في منزله فاتهرني بصوت جهوري  
قائلاً اذهب اليه وأحضره لي فثبت بضغ خطوط نحو الباب فقال لي  
يا ابراهيم فوزى فمدت اليه فقال ألم يكن عندك خبر بهروب سلاطين فقلت  
كلا فقال لي انه هرب فقلت بانه هاش (أهرب أهرب) فقال لي ماذا تقول  
في أمر هربه فقلت يا خليفة المهدي عليه السلام ان سلاطين نصراني ارتد  
عن الاسلام وعاد الى دينه النصرانية وقد أبعد الله عن التمتع بمشاهدة أنوار  
خليفة المهدي عليه السلام في الدنيا والآخرة ومع ذلك فانه لحق بمصر التي  
ينوى مولانا الزحف عليها في هذا العام ولا بد من وقوعه في قبضة المهدي  
ويذوق جزاء خيائته وفراره فأطرق التمايشي الى الارض هنيهة ثم رفع رأسه  
وألقى على الاسئلة الآتية

س - هل كان سلاطين يدخن التبناك - ج - لا أعلم شيئاً من هذا -

س - هل كان سلاطين يشرب الخمر - ج - أستغفر الله يا خليفة المهدي عليه



السلام أنا أعتقد أن مدينتك طاهرة مطهرة من كل رجس وليس فيها خمر أو محرم - س - هل كان سلاطين تاركا للصلوات الخمس - ج - ان سلاطين كان ملازم خليفة المهدي عليه السلام في أوقات الصلوات الخمس وبذا لا يكون تاركا للصلاة وهذا ما نراه نحن بأعيننا أما البواطن وما تخفى الصدور فان عليها عند خليفة المهدي عليه السلام

وعند نهاية هذه الكلمة التفت التماشي لمن حوله وقال خذوا هذا (وأشار الي) الى السجن وكان ذلك آخر عهدى بمحادثته ورؤية وجهه فاجتذبنى أربعة من الحراس الى خارج الباب وهناك اجتمع على نحو خمسين منهم فاخذوا يضربوننى حتى سال الدم من أنفى وجسمى ثم نزعوا عمامتى وشدوا بها وثاقى وساروا بى الى السجن والسياط تمزق جسمى فلم أقدر أن أمشى الا بمض خطوات ثم سقطت على وجهى وقد أغشى على فأمسكونى وأسندنى بمضهم والبعض الآخر يضربنى بالسياط حتى بلغت باب السجن فتلقتنى حراسه بالضرب بالسياط أيضا ووضعوا فى رجلى ستة قيود يربو وزنها على أربعين رطلا ووضعوا فى رقبتي غلا كبيرا (جنزيرا) وامسك الحراس عن ضربى بالسياط فالتفت اليهم وقلت اسقونى ماء فكان جوابهم الضرب بالسياط وقالوا الى مثلك لا يستحق شربة ماء ياعدو خليفة المهدي عليه السلام ثم أدخلونى السجن

### اول ليلة في السجن واخبار اثنين يدعيان النبوة

كان وصولى الى دائرة السجن في أصيل النهار ولقد وضع الحديد فى رجلى ادخلت الى أودة يطلق عليها اسم (أودة الحجر) لانها مشيدة

بالاحجار وليس فيها نوافذ غير الباب الذى يدخل منه وهى مظلمة جدا  
 قدخلت وليس على جسمى من الملابس غير السراويل فوجدت فيها نحو مائتى  
 مسجون وهى لاتسع أكثر من ربع هذا المدد فرأيت بينهم ثلاثة رجال  
 بيض الوجوه يكادون لقرط مام فيه من العذاب مع طول مدة السجن أن يكونوا  
 أشباحا بلا أرواح قدنوت منهم وجلست بجانبهم فاذا أحدهم الموسيو شارل  
 نيوفيلد الذى تقدم لنا ذكر خبره والآخر صيدلى مصرى اسمه خليل أفندى  
 بسيم والثالث رجل من تجار اليهود فى أم درمان جلست بينهم وأنا اقلب  
 فى آلام الجروح والضرب اللذين ذكرتهما قبل فاطهر والى من المواساة  
 والتوجع لمصابى ماكاد يمزى واخذت أجيل نظرى فى القرفة فاذا الذين  
 فيها جلهم مرضى مصابون بالاسهال واذا بجانب كل واحد حفرة يتغوط  
 فيها ولضيق القرفة كان الناس مترامكين على بعضهم ومنهم من هو واقف  
 على ثغذغيره ومنهم من يصيح وطئت على رقبتي كل ذلك ولا منفذ يستنشق  
 منه الهواء غير الشقوق التى فى الباب

ولم يمض على أكثر من ساعة حتى أغمى على وفقدت الشعور ولم أفق  
 الا على صوت الموسيو نيوفيلد الذى كان يصيح من داخل الباب لخفير  
 السجن قائلا ( ان الرجل الذى جثم به قد مات ) لانهم أيقنوا بموت فلم يبا  
 الخفير ولا السجنانون بكلامه ولما رفعت رأسى سمعت أصحابى الثلاثة  
 يقولون ظننا لك فارقت الحياة فالحمد لله على سلامتك وكان عند كل واحد  
 قطعة من الخرق بالية يروح بها على نفسه من شدة الحر فكان  
 الثلاثة يروحون على بخرقهم وقد نسوا أنفسهم بخزام الله عنى  
 أحسن الجزاء

وقيل الصباح دخل علينا السجانون فأوسعوني وأصحباني ضربا بالسياط  
 قائلين لنا لماذا يا أولاد الريف يا كمار تجلسون مع بعضكم ثم وضوا كل  
 واحد منا في أودة مع أناس من المسجونين فجلست بجانب عبد أسود تظهر  
 عليه علامة المرض فبدأته بالحديث مستفهما عن جرمته فرفع رأسه وقال لي  
 أما تعرفني فقلت كلا فقال أنا عيسى بن مريم نبي الله ورسوله فظننته مازحا  
 فقلت له أصحيح ما تقول فالتفت إلى وقال لي ستري مصداق ذلك قريبا فقلت  
 له ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه أبيض اللون وانت عبد أسود فأجابني  
 بثبات جاش ان جميع الألوان يبدى ولو شئت جعلت لوني أبيض ولكنني اخترت  
 سواد اللون تواضعا لله تعالى ثم رأيت بجانب رجل آخر ذا ملابس نظيفة  
 وهيئة مهيبة فقلت له هل سمعت ما يقوله هذا الذي يزعم انه عيسى بن مريم  
 عليه السلام فلم يرد علي فظننت انه مستغرب هذا الخبر وأخذت أكلمه  
 وقلت له حقا ان هذا الامر غريب جداً وهل يظن مثل هذا الكذاب  
 ان دعواه تقابل بالتصديق ولو من البسطاء فلم يرد علي بشيء بل أعرض  
 عني وبينما أنا متعجب اذ التفت الى خلفي فرايت احمد الفحل ورفيقه  
 الصادق بن عثمان اللذين سبق لنا الكلام عنهما وانهما هربا سلاطين باشا  
 يضحكان فلم أفهم لماذا يضحكان فدنوت منهما وسألتهما عن سبب  
 ضحكهما فقالا لي ان الرجل الذي تكلمه وتشكوه أمر المثنى بدعي هو ايضا  
 انه عيسى بن مريم عليه السلام فازددت تعجبا ودخل ساعته أحد  
 السجانين واسمه (ابولباهه) وقال لي يا ابن الريف لماذا حبسوك فقلت  
 لا أدري فقال لي انكم معشر أولاد الريف لا تتركون كفركم وانكاذكم على  
 المهدي وخليفته فدنوت منه وأخذت أترامى على اقدامه ورجوته أن يقتلني

من هذه الغرفة التي فيها متنبهان فقال لي على شرط أن تنقذني ريثا فقلت له  
أنت قدك الريال مع اني لا أملك قرشا واحداً ولا في بيتي درهم ولا دينار  
فأخرجني من تلك الغرفة الى غرفة أخرى فيها أكثر من مائة مسجون فقضيت  
بقية الليل واقفا على قدمي والناس يضجون من شدة الحر والازدحام  
وتوفي اثنان منهم في تلك الليلة

ولما لاح الصباح أخرجونا من الاودة فسمعت السجانين يقولون ان  
(الاودة كرمت) اى أنها ضمت هذين الرجلين ثم جروا الرجلين من  
أرجلها وألقوها في النهر

هذه أخبار الليلة الاولى في السجن أوردتها بإيجاز كثير وسأعود الى  
ذكر بقية الاخبار في محالها والله الهادي الى سواء السبيل

### انذار المؤلف بالاعدام

وبعد خروجي من الأودة جلست مع المسجونين في حوش السجن  
وبعد بضع ساعات كنت أستنشق الهواء في خلالها جاءني أحد السجانين  
يدعوني للخروج الى أودة أمير السجن فخرجت أرسف في قيودي فوجدت  
بها اثنين من القضاة أحدهما سليمان بن الحجاز والثاني احمد بن حمدان  
فقالا لي ان خليفة المهدي عليه السلام بلته عنك انك كنت تصنع أشياء  
مخالفة للمشورات المهدي عليه السلام وانه رأى وجوب قتلك فقلت ان خليفة  
المهدي عليه السلام أوتى الحكمة وفصل الخطاب وان المهدي عليه السلام  
أخبر بانه من اهل الكشف فاذا كان هذا القول من عندياته فهو  
صادق والا فاني أعداء يرومون التشكيل بي من قبل زمن المهدي فمهم

كذابون وعلى كل حال فأنالا اطلب لديناى أو آخرقى غير رضا خليفة المهدي  
فاذا عزم على قتل فأنارا رض بأمره واسأله أن يرضى عنى وان شاء استعياى  
فانى لا أرغب في الحياة الا اذا كانت مصحوبة برضاه فذهب القاضيان له  
وأخبراه بما قلته وبعد ساعتين عادا الى وقالا لى ان خليفة المهدي عفا عنك  
واستبدل تلك بسجنتك مؤبداً فسجدت بين يديهما شاكرآ لله تعالى ثم  
رفت رأسى وقلت لهما أبلغنا تحتى لمولاي خليفة المهدي عليه السلام وقولا  
له ان عبدك طامع في عفوك ومتوسل اليك بحلمك وحنانك فذهب ولم يعودا  
الا بعد سنتين وسيجيء ذكر ذلك في مكانه

### ذكر قتل القاضي احمد بن علي

القاضي احمد بن علي أصله من عشيرة اسمها ( بنى هلبه ) تسكن جنوب  
دارفور وكان يحفظ القرآن الشريف ويعرف قليلا من الفقه على مذهب  
الامام مالك وولى القضاء في أحد مراكز مديرية (شكا) إحدى مديريات  
دارفور ولما ظهرت دعوة المهدي في جبال قدير فر احمد المذكور ولحق بها  
وشهد مع المهدي واقعة يوسف باشا الشلالى وقدم معه الى الابيض عاصمة  
کردفان حتى كانت وقعة يوم الجمعة التى قتل فيها احمد بن جباره الذى كان  
قاضيا للمهدوية كما مر ذكر ذلك باسهاب في الجزء الاول

وكان احمد هذا ميالا للجانب عبد الله التعايشى الذى جعله قائدا صغيرا  
على عشيرته ( بنى هلبه ) وأعطاه راية صيرها تالمة لرايته الزرقاء فتكلم  
مع المهدي في شأنه وسأله أن يوليه القضاء بدل احمد جباره فؤلاه  
ولقبه بلقب ( قاضى الاسلام ) ولكن وظيفته هذه صارت اسما بلا منى

وذلك لان المهدي أقام نوابا للفصل في القضايا المهمة ونصب أمناء ينوبون عنه في نظر ما يرفع اليه من المسائل وقد تقدم ذكر ذلك فيما مر من الكتاب

وقد ذكرنا ان لكل من القاضي والنواب والامناء اختصاصا في وظائفه ولكن النواب والامناء تجاوزوا حدود اختصاصهم ولم يتركوا للقاضي اختصاصا ينظر فيه حتى صارت وظيفته اسما بلا معنى الى أن هلك المهدي واستبد التماشي بالملك فألغى وظيفة الامناء ثم النواب وجعل المحكمة واحدة تحت رئاسة أحمد بن علي تنظر في كل ما يرفع اليها من الدعاوى والخصومات وقد أشرنا فيما مضى الى الغرض الذي كان يرى اليه التماشي من وراء هذا الانقلاب الذي يتوخى به الاضرار بأقارب المهدي واضطهادهم. وحاصل القول ان أحمد بن علي أصبح ذا مركز سام وتقوذ عظيم ولم تقف خطواته عند القضاء فان التماشي وأخاه يعقوب كانا لا يقطعان أمرا دون مشاورته فاستفحل أمره وتلاعب بالقضاء أي تلاعب وانضم الى رايته أغنياء البلاد وسراة في سائر أنحاء السودان وصار يكتب الى الجبابة بمعاونة المتنين اليه من أهالي البلاد من الضريبة والخراج التي صاروا يؤدونها له واقتنى عددا كبيرا من السفن الشراعية وامتلك كثيرا من قطع الاراضي الخصبة أما الرشوة فقد كان دخله اليومي منها يقدر بالآلاف من الريالات وشاد لنفسه دارا واسعة بالقرب من ضفة النهر ملأها بالنساء الحسنات من السودانيات والمصريات وجلبهن قبطيات من سكان الخرطوم اللاتي استباحهن المهديون وامتثلت القياقي وأماكن المرعى بقطعان ماشيته من الابل والبقر والغنم وبالجله فقد أصبح ذا ثروة طائلة

ومن غرائب شعورته في القضاء وخراب ذمته وميله الى الارتشاء ما أوردته هذه النكتة ليقاس عليها بقية أعماله وذلك انه في احدى السنين تشاجر جاب اسمه حبيب مع احدى قبائل البحر الابيض لاسباب طفيفة كان الحق فيها مع رجال تلك القبيلة فأمر مقاتلته باطلاق الرصاص على الحى فقتل من الرجال نحو ثلاثين رجلا عدا الجرحى فرفقت الحادثة للتمايش فأكبرها وغضب على الجاني وأحال محاكمته على القضاء فعمدت الجلسة الاولى ثم أرجئت الى الندوة في تلك الليلة حمل الجاني الى القاضى أحمد بن علي ثلاثة آلاف ريال فأمر في النداء بآيداع المعتقلين من تلك القبيلة السجن وأفهم التمايش انهم شهروا حربا على المهدي وخليفته وبعد غناء شديد أخرجوا من السجن وذهبت دماء القتولين هدرًا ومثل هذا كثير لا يسع المقام ايراده وانما أوردنا هذا مثالا تقاس عليه حالة ذلك القاضى

وفي أواخر سنة ١٣١١ كتب التمايش سرا الى الجباة يأمرهم بإرسال الكتب التي ترد اليهم من القاضى احمد بن علي يأمرهم فيها بمغافة المتدين لرايته من الضرائب والمخارج فاجتمع عنده شيء كثير منها فجلس ذات يوم ومعه القضاة واستدعى القاضى أحمد وقال للحاضرين ما يأتى

أيها القضاة أخبركم اني اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم والخضر والمهدي عليها السلام وبينما كنت معهم اذ رأيت شخصا معذبا بين السماء والارض فسألت عنه فأجبنى المهدي بانه القاضى احمد بن علي فدهشت لذلك فقال لي الخضر عليه السلام انه تقض عهدك وجمع الاموال وظلم المباد فلهذا أنا أمر القاضى احمد بالتوبة والاستغفار كما أمره بالتخلي عن الرايات التي يتوددها والاقطاع الى القضاء فقط اه

فقام القاضي وقبل يد التمايشي ويكي واتحب وتاب واستغفر وخرج  
مع زملائه يرجوهم أن لا يذكروا شيئا مما جرى في هذه الحاضرة لاحد من الناس  
وبعد مضى بضعة أسابيع على هذه الحادثة ضبط محتسب السوق  
شخصين يدعى أحدهما عبد الحميد عبد الله الدقلى ويدعى الآخر عبد الله سليمان  
يزفان المسكوكات من نوع ريلات المهدوية وأحضرهما امام التمايشي الذي  
سألهما عن جنائيهما فقالا له لم نزيف بل نضرب العملة لك فتعجب من هذه  
الجرأة وسألهما الايضاح فقالا ان القاضي احمد بن علي هو الذي أمرهما بسك  
هذه النقود وأفهمهما انه مأمور من قبل التمايشي وكانا يؤديان له كل ما يصنعه  
منها ثم أبرزنا كتابا من القاضي يحتتمه متضمننا هذا المعنى فأمسك التمايشي  
الكتاب واطلع من حوله عليه فأكدوا صحة صدوره من القاضي احمد بن علي  
فاستدعاه وسأله قائلا ألم يكفك ما غتته من الاموال حتى صرت تزيف  
النقود فأنكر ذلك فأبرز له التمايشي الكتاب المذيل بتوقيعه ثم عاد الى  
الاعتراف فاحتدم التمايشي غضبا وقام من مجلسه ودخل الى أودة جلوسه  
واستدعى القضاة فجلسوا ولم يكلمهم بشيء بل أمر باحضار القاضي احمد  
ابن علي فلما حضر بين يديه أمر الحراس بايداعه في السجن فسبق اليه ثم قال  
لمن حوله من القضاة سأقوم فيكم خطيبا بعد صلاة المغرب فليكن أن تسموا  
ما أقوله لكم ومروا الناس بانتظارى لسماع ما أقوله فخرجوا من عنده وبعد  
صلاة المغرب صعد منبر الخطابة وقال ما يأتي

ان احمد الاسود (لانه كان أسود اللون) أصله مولى قبيلة بنى هلبه  
ولم يكن منها وقد أفسد وظلم المباد واغتال أموال المسلمين فلذلك أرى ان موته  
خير من حياته فرد عليه الحاضرون بلسان واحد حسنا تفعل



ومن هذه الخطبة أيقن الناس ان القاضي احمد سيقتل  
وفي اليوم التالى ذهب يعقوب أخو التمايشى الى السجن واتهم بالقاضى  
احمد وخدعه بانه سيسعى فى خلاصه من السجن فانخدع له ثم سأله عن  
أمواله فأوضحها له وكانت شياً كثيراً من الذهب والقصة فضبطت كلها  
وصودرت لجانب بيت المال

وبعد استصفاء أمواله طرح منفرداً فى احدى غرف السجن ومنع عنه  
الطعام والشراب حتى توفى بعد بضع ليال وكان طويل القامة بدين الجسم  
شديد سواد اللون وكان غير مصدق بدعوى المهديّة وكثيراً ما رأيت  
منه محابة لجانبى فى أمور اُحليت محاكمتى فيها عليه بسبب فلتات من اللسان  
عقوبتها الجلد بالسياط عند الدراويش

### ذكر تولية الشيخ الحسين الزهراء (القضاء وقتله صبراً)

تقدم لنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب شئ من أخبار الشيخ  
الحسين بن الزهراء وما كان من أمر قصيدته الهزلية التى نصح بها المهدي  
وقد نشرناها برمتها وأن المهدي أخذها الى كسلا وقد كان التمايشى  
حاقداً عليه بسبب النصيحة المذكورة اما هو فقد رجع على نفسه باللائمة  
لما فرط منه من الميل الى دعوى المهديّة التى أنكر كل اعمالها وجاهر  
المهدي بانكاره والمهدي ينفى عن عقابه رعاية لجلالة قدره وتقواه حتى  
توفى المهدي وخلفه التمايشى الذى كان ذاميل شديد للانتقام من الشيخ  
الحسين المذكور

وقد كان التعايشي استقدم الشيخ الحسين من بلده في الجزيرة وعهد  
اليه بالقضاء دروس في علي الحديث والموارث في المسجد ولما قبض على القاضي  
أحمد بن علي ولاء القضاء بدله

ولما ولي القضاء قال لخواصه اني لأريد المحابة بل أريد الوقوف عند  
حد الشرع وكل أمر يمرض علي لا أقول فيه غير الحق وأنا لا أجهل ان  
عاقبة ذلك ستكون الموت

وبعد أن تولى القضاء عرضت عليه مسألة وهي ( ان رجلاً من الموسرين  
اسمه عوض الكريم من أهالي قرية ( المتنة ) بمقاطعة بربر هجر دياره  
فراراً من ظلم المهديوة ولحق بالحرمين الشريفين وتوفي هناك فافتى القضاء  
بكفره ووجوب مصادرة أمواله ) فقال الشيخ الحسين لم يكفر هذا الرجل ولا  
تجوز مصادرة أمواله أبداً فحقد التعايشي عليه وأضر له السوء

وفي ذات يوم دعاه ومعه قاضيان هما حسين جزو ومحمد حمدان وكلاهما من  
أهالي السودان الغربي لا يعرفان شيئاً من الاحكام الشرعية ولكنهما يحفظان  
الفاظ القرآن وكانا من اكبر قضاة الجهل والظلم ومعهما أمين بيت المال ولما  
استقر بهم الجلوس بين يدي التعايشي خاطبهم قائلاً « أيها القضاة ان بيت  
المال ليس فيه نقود وان الانصار يطلبون أعطيتهم فماذا نضع » فاجابه محمد  
حمدان بما يأتي

اني سمعت المهدي عليه السلام يقول ان الناس يلعنوني على ان  
اتصرف في رقابهم واموالهم تصرف المالك فيما يملك لاني خليفة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وعليه فيجوز لامين بيت المال ان يكره ذوى اليسار على  
ان يقرضوه ما يطلبه منهم وليس بيت المال ملزماً بالسداد ولكن بعد الدائنين

بالوفاء تطليبا لخواطرم فاحتدم الشيخ الحسين غضبا وضرب يده محمد حمدان قائلا

استغفر الله مماقلته فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقترض ويوفي دأئنيه ولا يجوز ابدأ أخذ اموال الناس بالطريقة التي قلها فساء ذلك التمايشي واحتدم غضبا وقال مخاطبا الشيخ الحسين

لقد كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ملازما بتأدية ما يقترضه وقد اباح الله اخذ اموال الناس ثم أمرهم بالانصراف وقال للقاضيين الضالين حسين جزو ومحمد حمدان احكما بكفره لانكما قاضيان يجب انفاذ ما أمركم به فاخذاه وذهبا به الى السجن وامرا بوضع ثلاثة قيود في رجله وغل في عنقه ثم ذهبا الى منزل يعقوب اخي التمايشي ليتداولا في الامر ثم رفا الى التمايشي حكما فخواه ان الشيخ الحسين كفر وان عقوبته احدى ثلاث اما ان ينفي واما ان تقطع يده ورجله من خلاف واما ان يسجن مؤبدا فاختر التمايشي هذه ظاهرا واضر قسله فاعوز الى السجن بوضعه في احدى غرف الاعداء ومنع الاغذية عنه فنقله اليها بعد ان وضع في رجله اثني عشر قيداً وجزيرين ومنعوا عنه الماء فكان يستغيث من الظمأ وفي ذات ليلة رفع صوته بالاستغاثة طالبا شربة ماء ليستعين بها على معالجة سكرات الموت فلم يعطوه شيأ وكانت ليلة شديدة الحر فلم ينشر الا بالطر قد هطل على السجن كافوا القرب مع اتنا في فصل لا تحطر السماء فيه في السودان ابدأ وتداعى ركن من اركان الفرقة المسجون بها فامتلا بماء المطر فشرّب الشيخ واغتسل وتوضأ وملا ابريقه وفاض الماء حتى تجاوز ركبته

وفي الند دخل عليه السجانون ولوسموه ضربا قاتلين انك ساحر فقال

لهم لست بساحر ولكن الله سقاني الماء لما طلبته منه فاخذوا منه الابريق  
واصلحوا ما تداعي من ركن الغرفة وبعد ليلتين دخلوا عليه فالتوه في سكرات  
الموت بثبات جاش غريب ولما توفي أمر التعاشي بعدم غسل جسده وتكفينها ودفنها  
وصرح بان تلقى على وجه الارض لانه كافر بزعمه وأمر بكتمان أمر وفاته عن  
ذويه الذين ظلوا يروحون ويندبون الى السجن حاملين له الاطعمة والملابس  
فكان السجانون يأخذونها منهم ويمودون لهم قائلين ان الشيخ يأمركم  
باحضار كذا وكذا من الاطعمة والملابس فيسرعون باجابتهم وهم لا يملكون  
ان الشيخ مضت على مفارقتها الحياة بضعة أسابيع وجسده قد مدت غذاء لا نور  
وظلوا على هذا الحال زهاء شهر من الزمان حتى أمر التعاشي عقيبها بمصادرة  
امواله وأخذ نساءه فلم ذووه انه فارق الحياة

أما وفاته فقد كان لها تأثير سيئ عند الاهلين واطهر المسجونون حزنهم  
عليه وكان له تلامذة عديدون اختفوا وخافوا الايقاع بهم. ولا بأس يا رادلمة  
من ترجمته اتاماً للقائمة فنقول. هو من قبيلة صغيرة في الجزيرة قدم القاهرة  
صغيراً وتلقى العلوم بالازهر الشريف وبرع في العلوم العقلية وكان ذا ذكاء  
عظيم ودين متين حتى قال أحد مشايخه الازهرين انه لم ير سودانياً مثله ذكاً  
ولما قتل راجعاً الى دياره وهبت ثورة المهديّة صادفت هوى في قلبه  
لانه كان ناظرّاً اليها من الوجهة السياسية وقد تقدم أنه لما قابل المهدي  
ونصحه بقصيدهته التي أودعها مقامز كثيرة ندم ولم يمد قادراً على احتمال  
معاشرة المهديّة فكان يقضى أكثر أوقاته في قرته بالجزيرة راضياً بالخمول  
والبعد عن المهديّة وشرورها حتى استدعاه التعاشي وكلفه قراءة درسين  
في الحديث والمواريث وكان قصده من ذلك الحجب عليه بام دربان تمهيداً

لما حل به من القضاء المحتوم

وعلى ذكر الشيخ الحسين نقول ان من الوشايات التي كان التعاشي يقبلها ويطش بالوشى به ان يقال له ان فلانا من أهل العلم لانه يوقن اذ ذاك بان من كان عالما لا بد ان يكون غير راض بالمهدوية وفي ذات يوم قال ان العلماء مفسدون في الارض ولا أمان لنا من مفاسد التي يفسونها في اقدة الناس الا يقتلهم ومثل العالم في البلاد كمثل شجرة في وسط مزرعة تاوى المصافير اليها وتقتات ثمار المزرعة وهكذا العالم يأوى اليه الناس ثم يبت فيهم موارفه التي تأكل ايمانهم وتصديقهم بالمهدوية كما تأكل المصافير ثمار المزرعة فكما انه لا سبيل لحفظ المزرعة من عبث المصافير الا بقطع الشجرة كذلك لا سبيل لحفظ عقائد الناس في المهدوية بغير قتل العلماء

وخلاصة القول ان الشيخ الحسين كان اعلم أهل السودان ومن اكبر الذين شايعوا المهدوية في بدايتها وقد رأيت ما حل به من الانتقام مثل كثير من الذين ساعدوا المهدي وأعانوه على دعوته ومن أعان ظالما سلط عليه

### خفراء السجين

كل خفراء السجين والسجانين من أقارب السائر السجان أى من قبيلة الجوامعة التي عرفناها فيما تقدم من هذا الكتاب وجعلهم من أبناء السفاح الذين يقال لهم ( عينة خاله ) فاذا سألت واحدا منهم عن اسم أبيه يجيبك بقوله « أنا ابن أخت فلان » ولم اسمع بواحد منهم اسمه من الاسماء المألوفة والاعلام المعروفة كمحمد واحد وغيرهما بل لهم اعلام هي في الحقيقة صفاتهم مثال ذلك ان احدهم اسمه ( شقيب ) ومعنى هذا الاسم « الصارع اي انه

يصرع كل من صارعه وآخر اسمه « كبه كله » ومعناه ان خلاله كلها مما  
يمجه الانسان ولا يقبله احد وقس على هذين العالين سائر اسماء الخفراء  
والسجائين

وهؤلاء لا يدفع لهم التماشى رتباً ولا يجري عليهم رزقا فاذا ذهبوا  
الى بيت المال طالين اعطية قابلهم موظفوه بالاستغراب قائلين كيف تطلبون  
عطاءً من بيت المال وعندكم من الناس المسجونين من يمكنكم ابتزاز المال  
منهم وضرب الضرائب عليهم وهم مرغمون على اجابة مطالبكم فكان امير  
السجن يفرض الضرائب على كل مسجون بما يزيد عن طاقته وكان ابراهيم  
حمزة عميد قبيلة ( الانقرياب ) الذى ذكرت امر سجنه كثيراً ما يؤدى تلك  
الضريبة عنى اذ لم اكن املك درهما منها وكنت فى ايام الاعياد والمواسم تؤدى  
ضريبة فوق المادة عدا الضريبة الشهيرة التى لامناص من دفعها وعدا  
ماندفعه كل يوم وليلة للسجائين الذين كثيرا ما كانوا خذون ملا بسنا بدل الرشوة  
ومن نظمات السجن ادخال المسجونين فى الغرف التى لا منفذ فيها  
ليقضوا الليل فى فصل الصيف والرياح فى الحر الشديد أما فى فصل الخريف  
والشتاء فينامون تحت السماء مقرنين فى الاغلال فراشهم الارض وغطاؤهم  
السماء يحيط بهم السجانون بايديهم السياط وأمر ونهم بالاضطجاع على جنب  
واحد فاذا تحرك احد لم تحرك ولو خيفة اوسعوه ضربا بالسياط

### الايام الاولى فى السجن

لما ادخلونى السجن ضاعفوا قيودى حتى بلغت ستة قيود ثم  
اتدبوني مع آخرين لحفر بئر فى منزل امير السجن المجاور للسجن فكان

اثنا ينحفران بداخل وأنا أجذب الاناء الذى يضمنا فيه التراب وكان هذا الاناء من الحديد ورنه لا يقل عن خمسين رطلا والحبل الذى أجذبه به جنزير من حديد فتورمت ككفائ بسبب ذلك وسالت الدماء منهما والسجانون حولي يضربونني بالسياط فددت يدي لهم با كيا مسترحا من ألم الجروح التى بهما فما كان منهم الا ان ضربوني بالسياط عليهما فوقعت منشيا على فاخذوا يضربونني ضربا مبرحا

### شارل نيوفيلد

والمؤلف مقرونان فى القيود

ذكرت اننى فى الليلة الاولى التى سجت فيها كنت مع شارل نيوفيلد ثم فرقوا بيننا وكان كثيرا ما يجتمع فى كلما لاحت له فرصة فى غفلة السجانين الذين كانوا قد تلقوا عن التمايشى تعليمات سرية بالحيلولة بيننا خشية ان تنشق على الهرب

وفى ذات يوم كان السجان الاكبر مارا فوقع نظره علينا فامر بجمعنا فى قيد واحد زيادة فى تمديننا وبعد بضعة أيام أصبت بحصى شديدة كادت تؤدى بحياتى وأصيب شارل نيوفيلد باسهال شديد يضطره الى الذهاب الى المراض كل خمس دقائق وأنا بسبب شدة الحمى لا أقدر على القيام من مضجعى وكان الفصل صيفا شديد الحر فتقب قبا فى الارض بجوار مضجعتنا لقضاء حاجته فكنت على ما بى من الم الحمى فى أشد حالة من تن رائحة المراض الذى يجانبى وظللنا على هذه الحالة السيئة مدة خمس ليال ثم مرت بنا ذات يوم ثم أحدي نساء أمير السجن وكانت مصرية من أهل

الخرطوم فوقفت وسلمت علينا وهي باكية متحسرة وسألتنا لماذا قرتما في قيد واحد فقلنا لها هكذا أمر أمير السجن فذهبت متشفعة ومسترحمة لنا فقبل شفاعتها وأمر بوضع كل واحد منا في قيود على حدة

### أمير السجن في منزله ونسائه

لامير السجن دار بالقرب من المسجد لم ينفق في تشييدها قرشا بل كان يشغل المسجونين في بنائها  
وكان عنده من النساء خمس عشرة امرأة منهن واحدة مصرية من اللواتي أخذن مسبيات من الخرطوم والبقية من أجناس مختلفة من السودانيات  
وكان له حارس اسمه طنبل الشاقي يجلس على باب المنزل وله سلطة كبيرة في السجن اذ لا يؤذن بادخال طعام الى أحد المسجونين الا اذا رآه طنبل فاذا كان جيدا أمر بادخاله الى منزل أمير السجن واذا كان متوسطا دعا بقية الخفراء الى الاكل منه وقل ان يتركوا لصاحبه رنمه  
وقد أطلق المسجونون على طنبل لقب (شنقل منقل) ومعناه المنشار يا كل صاعدا ونازلاً

هذا وقد ذكرت الضريبة الشهيرة التي كنا نؤديها الى أمير السجن وعدا ذلك فانه كان يجمع المسجونين كلما أراد ان يشتري محظية أو يتزوج امرأة جديدة أو يولد له ولد ويحاطبهم قائلاً انكم لا تجهلون اني لست تاجراً ولا زارعاً بل انتم زراعتي وتجارتي فعليكم ان تجمعوا الى مائة ريال لاني أريد الزواج أو ولدي ولدني ولم يضرب لهم موعداً للدفع فاذا تأخروا أمر السجناء بتعذيب المسجونين فاذا كان الفصل شتاء يكون التعذيب بصب الماء البارد



على اجسامهم ليلا مع الضرب بالسياط واذا كان الوقت صيفا وضعوا الاغلال في اعناقهم وجردوهم من ملابسهم واجلسوهم في الشمس مع الضرب بالسياط أيضا كل ذلك عدا ما تؤديه الى السجنائين والخبراء فلنكل واحد الحق في طلب ما يريد من المسجونين مثل مطالب اميرم التي هي الضريبة الشهرية وضريبة المواسم والاعياد وضريبة الزواج وضريبة الاولاد وعدد الخبراء يبلغ المائة ورؤساؤهم اربعة لكل واحد منهم نوبة يوم وليلة يتصرف في خلالها التصرف المطلق بدون ادنى معارضة من امير السجن

### صلاة المسجونين

من نظمات السجن ان المسجونين يصلون الصلوات الخمس جماعة ولهم امام منهم وفي كثير من الاحيان تكون وقوفا في الصلاة فيجزم علينا الخبراء بالسياط ويضربوننا بحجة اننا لم نحسن الصلاة فنفرع وترك الصلاة ونهرب مذعورين

وفي احدى ليالى الصيف قتنا لصلاة المغرب التي بعد انتهائها يدخلوننا الى الغرف التي تقدم لنا وصفها فرجونا الامام ان يطيل القيام والسجود لنتمكن من استنشاق النسيم في خلالها ففعل وكان الخبراء ادركوا ذلك فوثبوا علينا بالسياط واوسعونا والامام ضريا ففترقنا شذرا مذر واسرعنا الدخول الى الغرف

### ضريبة ربال كل يوم على المؤلف

قلت ان المسجونين يدخلون الغرف في ليالى الصيف وفي كل ليلة

يموت بمضهم اختناقاً وفي إحدى الليالي اتفقت مع أمير السجن على أن أدفع له في كل ليلة ريالاً وهو في نظير ذلك يأمر بتركى جالساً عند باب الغرفة لاستنشاق الهواء من شقوق الباب

ولقد كنت لأملك قرشاً من هذا الريال ولكنني أقدمت على الاتفاق معه رجاء تركى تلك الليلة فنى الخبر إلى أحد معارفى وهو يوناني اسمه الخواجه مانولى دياكونى كان تاجراً في الخرطوم وله في معى صداقة قديمة ومعاملات مذكنت حاكماً على أقاليم خط الاستواء وبعد سقوط الخرطوم وقع أسيراً في قبضة المهدوية فاستعمله التمايشى في صناعة الصابون فأرسل إلى أمير السجن وتمهد له بتأدية الريال في كل يوم وإن لا يظلمني به بل يدفعه هو في نظير مطالب قديمة كانت لي في ذمته وبذلك تمكنت من الجلوس خلف الباب كل ليلة واستمر الخواجه مانولى يؤدي عني ضريبة الريال حتى من الله عليّ بالخلاص لما دخل اللورد كتنر أم درمان فأنحأ

### النادرة العباسية في السجن

رأيت أن أعنون هذه النادرة بهذا العنوان لما تراءفها من الخبر الغريب الذي أقصه عليك وقد كنت ذكرت أن التمايشى زوجنى امرأة من نساء الخرطوم اللاتي كن عنده وكانت لها أخت متزوجة بسوداني اسمه «عباس» وفي ذات يوم دخل عليّ بضعة أشخاص من البقارة وكنت وقتئذ جالساً بالقرب من عبد متهم بقتل واسمه (عاكيش) غفطيني أولئك الأشخاص فاثلين يافوزي فقلت نعم فقالوا أصدقنا ما هي قرابتك من عباس فقلت انه عديلي فقالوا كلا بل هو ابن أختك فقلت كلا كيف يكون ذلك وأنا

مصرى وهو سودانى قالوا وضح لنا الحقيقة فقلت لهم ان خليفة المهدي عليه السلام زوجنى امرأة عباس هذا زوج أختها فقالوا يظهر انك لم تفهم كلامنا لانا نسألك عن (عباس خديوى مصر) وفي غضون ذلك كان شارل نيوفيلد قد وقف بجانبنا فالتفت اليه وقلت ان الفرق بينى وبين عباس خديوى مصر كالفرق بين خليفتكم وبين «عاكيش» هذا وأشرت الى المبدى السالف الذكر فقالوا كذبت فقد علمنا انك خاله ثم انصرفوا عنى وذهبوا الى امير السجن فقصوا عليه ما دار بينى وبينهم من الكلام ففضب وامر الخفراء باحضارى فساقتونى اليه بعد ان اوسعونى ضربا ولما وقت بين يديه امر الخفراء بضربى حتى صرت استغيث فلا اغاث ولمد ان مزقوا جسى امرم بالكف عنى وقال لى يا كافر انت شاك فى خليفة المهدي عليه السلام فقلت ياسيدى ما الدليل على ذلك فقال انك قلت للذين كانوا يحادثونك «خليفتكم» ولم تقل خليفة المهدي عليه السلام وهذا يدل على كفرك فانكرت اننى قلت هذه الكلمة واستشهدت بشارل نيوفيلد فاحضره بحالة تشبه الحالة التى احضرونى بها ولمد ان اوسعوه ضربا سألوه فانكروا انه سمع هذه اللفظة منى وأصر على الانكار فقال له انت تشهد لابن عمك وامر امير السجن بمجلد شارل نيوفيلد خمسين جلدة وضاعفوا قيوده

اما انا فقد ضوعفت قيودى واغلالى وغلت يداى الى عنق وامر بوضعى فى الغرفة المعدة لمن يراد قتله وهى التى اعدم فيها القاضيان احمد بن على والحسين بن الزهراء اللذان تقدم لنا ذكرهما وهم امير السجن بالذهاب الى منزل التعايشى لاستصدار امر باعدامى وفي الحقيقة لو ابلغته القصة لامره بذلك فترامى المسجونون على اقدامه يرجونه الصفع عنى فقال لهم لا بد من

ان يحضر عشرين ريالاً فدخل على صديقاي ابراهيم حمزه ومحمد الشافعي عميدا  
 بربر اللذان سجننا من أجل تهمة الاشتراك في تهريب سلاطين باشا وقالا  
 ان أمير السجن وعدنا بالصنع عنك على ان تدفع له عشرين ريالاً فقلت لهما  
 كيف ذلك واتما لا تبجلان اني لا املك قرشاً من العشرين ريالاً وليس  
 عندي متاع ولا أرقاء غير عبيد المسى «لدوم» وهو لا يبلغ ثمنه عشرين ريالاً  
 مع ان قيمته الحقيقية عند توازي الآلاف من الريالات لانه كما تعلمان يطوف  
 على منازل اصدقاءى واخوانى المصريين يجمع منهم ما تجوده به مروءتهم  
 لفتاى وغذاء زوجتى وولدى فاذا كان لا ينفى فاني اختار الموت لارتاح  
 ويبقى عبيد «لدوم» ليقوم بحمل نفذية عائلتى الشقية اذ هو ينفق كسبه  
 عليها زيادة على ما يتبرع به المصريون لى فرقالى ورثيا لحالى ودفعوا العشرين  
 ريالاً من مالهما وخلصانى من هذه الورطة التى لارتاب ان التعايشى يأمر  
 باعدامى لو وصلت اليه هذه القصة فجزاها الله خير الجزاء وعوضهما عن ثروتهما  
 وما خسراه من الاموال الطائلة التى اتفقاها في السجن خيراً أما مثار القصة  
 فان احد اعدائى وشى بى عند اقارب التعايشى وافهمهم اننى خال مولانا  
 الخديوى عباس حلى باشا وقصده من ذلك زيادة تمديبى او اعدامى لان  
 اتسبأ كهذا عما يضر ضرراً ليعايل يكون سبباً للهلاك فتأمل في غباوة هؤلاء  
 المهديين وظلمهم

### ذكر ابطال القهوة

من غرائب احكام التعايشى انه امر بابطال الاماكن العمومية التى تباع  
 فيها القهوة ويجلس الناس فيها للسرر واصحابها في الغالب من المصريين وهى عبارة

عن اكواخ من الخوص فيها كراسي من الخشب والجلد تنبته (المنقرب)  
وفي بداية الامر اصدر امرا بابطال المقاعد وان لا يجلس شاربو القهوة الا على  
الارض فاستماض اصحاب القهاوى عن المقاعد بالحصر السودانية التى تسمى  
(برشا) ثم وشي له واش بأن الذين يتسامرون فى القهاوى جلهم من المصريين  
وانهم اذا جلسوا فى تلك الاماكن يخوضون ويتحدثون فى شأنك وهم يطلقون  
عليك اسم (الزر) فاذا جلسوا تحدثوا مع بعضهم ماذا فعل الزر فيحيون  
بعضهم فعل كيت وكيت فاصدر امرا بابطال القهاوي وجرت فى ذلك محادثات  
ومداولات كثيرة وكان التعايشي ميالا الى وضع قانون يحرم به القهوة كتحريم  
الدخان الا انه عاد الى الصواب وقال لولا اننى رأيت المهدي يشربها لحرمتها  
ولاغرابه فى ذلك فان اعراب السودان العربى الذين منهم التعايشي  
لا يعرفون القهوة ولا البن ولما قدموا الى الخرطوم ورأوا الكثيرين من  
الاهلين يشربونها كانوا يجاهرون بانكار ذلك ويمدونه من دلائل  
قلة العقل وفقدان الرشد فيقولون ماهى القائمة من شرب شي شديد الحرارة  
مر الطعم أسود اللون وبعضهم يسميها « القطران » ومن الشتائم التى  
يشتمون بها الاهالى (ياشاربى القطران) ولهم نوادر كثيرة فى القهوة لآباس  
من اراد بعضها لمافيا من الفكاهة منها ان اعرابا قدم له «فنجال قهوة» ففتح  
فاه فلما وصل جوفه كان سببا فى موته ومنها أنه نزل اضياف من أهالى السودان  
على أحد امراء البقارة فقال لهم انتم اضيافى وانا ابذل الجهد فى اكرامكم اكراما  
حقيقيا اقدم لكم فيه الاغذية من الخبز واللحم واللبن والعسل اما الشيء  
القييح الاسود فانه يدل على قلة عقل من يستعمله فلذلك لا اقدمه لكم ابا  
فضحكوا وقالوا نحن لا نكلمك ذلك بل نصنعه بايدينا وتناوله فقال لهم لولم

يكن قدركم معظما عندى لاسمحت لكم باستعمال هذه الدنيا في منزلى  
وقس على ذلك وقد ذكرنا ان التمايشي كان يريد ان يحرمها لو لم يعارضه الناس  
ويخبرونه بان تجارة البن تمنع ثروة عظيمة ليبت المال وانه هو رأى المهدي يشربها  
ولولا ذلك لحمل الناس على تركها فأمل

### ذكر ختان المسيحيين واجبارهم

على تعدد الزوجات

كان في السودان تاجر من اهل حنب الشهاب مسيحي اسمه «جورج»  
اسلامبوليه يتردد بالتجارة بين الخرطوم وكردفان حتى ادركته الثورة  
المهدية في مدينة الابيض فنادرها واسلم نفسه للمهدي صيانة لامواله وجاهر  
باعتراف دين الاسلام ولكنه مالبث طويلا حتى نكب وصودرت امواله  
واتهم بانه يطن النصرانية ويقلد اطفاله الصلبان من داخل الملابس وانه  
يراسل الحكومة في الخرطوم فضبط كتاب منه باحدي اللغات الاجنبية  
فطلب التمايشي مترجما يترجم له الكتاب فتصدي للترجمة يهودي اسمه  
(داود منديل) مع انه لا يعرف لغة اجنبية وتوعد جورج بانه اذا لم يدفع له  
خمسة ريات ترجم الكتاب بما يوجب قتله فاسرع جورج باجابة ماطلبه  
اليهودي الذي ترجم الكتاب بان جورج يدعو الحكومة للتسليم للمهدوية  
ويحذرهما منبة عدم التسليم فسجن الرجل وصودرت امواله ثم اطلق سبيله  
وقدم الخرطوم مع المهدي وهناك اجتمع برجل آخر حلي ايضا  
اسمه (نورم العجي) وتصارها بزواج اولادها وكان نغوم مدعيا انه يعلم  
بعض العلوم الكيماوية فذهب الى التمايشي ذات يوم وقال انها يفران

بصناعة صك النقود وانهما قادران على تحسين حالة المعاملة لقبول طلبهما من التماشي بالاستحسان فكتب الى أمين بيت المال يأمره بمساعدتهما على جلب ما يطلبانه من القوالب بواسطة الترسانة فاخذ يماطلها ويمددهما من يوم لاخر حتى يدبر حيلة للايقاع بهما تخلصا من استيلائهما على دار الضرب الذي يتسرب من ايرادها شيء كثير الى جيب النور الجريفاوي امين بيت المال واقاربه القابضين على منابع تلك الايرادات. وبالجملة فانه اخذ يقرر بهما حتى اتفقا نحو مائة جنيه من مالهما في سبيل تهية القوالب واعداد المعدات

ولما يئسا وايقنا انهما خدعهما النور الجريفاوي ذهبا متظلمين الى الطاغية التماشي الذي استدعى النور وعنفه على ما ارتكبه فاخذ يستدر بان ابدال المسكوكات يوقع بيت المال في أزمة مالية شديدة اذ تكون النقود القديمة بأيدي الناس ثم يطلبونها مما ضرب حديثا ثم ذيل اعتذاره بأن ذنك الرجلين لا يزالان نصرانيين فسأله التماشي كيف يكونان كذلك وما هو الدليل على صدق هذا القول فقال الجريفاوي انهما وسائر الذين أسلموا على يد المهذوبة لا يزالون غلقا لم يختنوا حتى الآن وهناك دليل آخر وذلك انهم لا يزالون يحافظون على توحيد الزوجة فغضب التماشي وأرغى وأزبد واستدعى القضاة وسائر المسيحيين الذين تظاهروا باعتناق الاسلام وفي مقدمتهم جورج ونعوم فسألهم هل أنتم غلف فاعترفوا بذلك فدخل القضاة على التماشي وأخبروه بهذا الاعتراف فخرج علي عاداته متسرلا سرايل القهر وخاطبهم بمبارات التعنيف ولم يسكن غضبه حتى بالتوا في الاعتذار بأنهم لم يمنعهم من الاختتان غير الخوف من ألم الجروح فقال لهم اذهبوا واختنوا على يدمتطب اسمه شعبان فذهبوا وهم لا يصدقون بالنجاة

وشرعوا في الاختتان وكانت عدتهم نحو أربعمائة فكان الرجل يختن مع ابنه وأخيه ومنهم من قاسوا آلاما شديدة من الجروح ومكثوا نحو شهرين طريحي القراش

ثم بعد ذلك ذهبوا إلى التمايشي اليه متظلمين من عدم مقدرتهم على ثقات أكثر من زوجة لما هم فيه من شظف العيش والفقر المدقع فلم يقبل منهم بل توعدهم فعدوا وشرعوا يمتقون الجوارى ويتزوجون بهن لأن المسلمين لا يرضون بمصاهرتهم وعلى ذكر ختان هؤلاء نورد هنا قصة مصري مكث عدة سنوات لا يعيش له ولا كسب إلا من تهديد جماعة المسيحيين بأنه سيعرض على التمايشي أنهم غلف فكانوا يدارونه ويؤدون له ماشاء من المال حتى جاءت حادثة جورج ونوم بما لا يستطيعون دفعه فكانوا يتدمرون منها ويسخطون عليها زيادة على ما أصابها من ضياع مالها ومقاساتها آلام الجروح وزد على ذلك اضطرابها إلى تعدد الزوجات التي لم يجدوا منه مفرًا



### ذكر سجن ابن المؤلف

مر الكلام على أن زوجتي كانت على وشك الوضع لما سقطت مدينة الخرطوم وفي شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٢ سكنت بالخرطوم ابتناء الحصول على قابلة مصرية تساعدها على الوضع وقد تقدم أني بسبب ذلك وشي إلى التمايشي واتهمت بانني انما قدمت الخرطوم لتدبير مكيدة ضد المهديّة ولذلك أمرت أنا وأسائر المصريين بمغادرة الخرطوم وسكني أم درمان التي بعد أن وصلت إليها بإيام قلائل وضمت زوجتي غلاما سميت (محمد فوزي) ولما أن سجن كان عمره زهاء عشر سنوات فوقت عائلتي في



الشقاء الاليم ولما مضى عليّ ثلاث سنوات ونصف في السجن كان سن ابني هذا عشر سنوات وشهورا فذهب في أحد الايام الى التمايشي باصيا مسترحا يسأله ان يطلق سراحي فرق له وقال له اذهب الى اهلك وأخبرهم انني ساطلق عقال أيك في الند فاقضوا ليلتكم هذه بفرح وسرور فذهب الولد واخبر اخوته بذلك فقضوا تلك الليلة بفرح وسرور

وفي الند ذهب الولد مستنجزا للوعد فاعرض عنه التمايشي فصار يتعرض له حتى التفت اليه غاضبا وقال لمن حوله « هل يلد الثعبان الاثعبانا » فقالوا نعم فقال « وهل يحسن بالانسان ان يربي ابن الثعبان » فقالوا كلا فقال أليس هذا الولد ابن المنافق ابراهيم فوزى فقالوا بلى فقال لا بد من الحاقه بابيه فاستدعى كاتب أخيه يعقوب المسمى « بان النقاموسى » وقال له خذ هذا الولد الى بيتك وضع في رجليه القيود ووكّل به غلمانك يحرّسونه ويشغلونه بسياسة خيلك ودوابك

فأخذ به بان النقا ووضع في رجليه القيود ومع كونه كان يراعيه ويرأف به في السر فانه كان يلاقى من عييده وخدمه المذلة وسوء المعاملة

والسبب في اخلاف التمايشي ما وعد به وعدوله الى حبسه انه في نفس اليوم كانت جواسيسه قبضت على واحد من جواسيس اللورد كتشنر جاء أم درمان من قبل سلاطين باشا لارسال مكاتيب الى بعض الناس وكان ذلك الجاسوس يسأل بعض الناس هل ابراهيم فوزى حي يرزق وهل شارل نيوفيلد على قيد الحياة وسأل عن بقية المسجونين بتهمة تهريب سلاطين باشا كبراهيم حمزة وغيره من الذين مرّ ذكرهم فقبض على ذلك الجاسوس وكانت الحملة المصرية وقتئذ في دنقلة

واخلاصة ان الولد بقي محجورا في منزل بان النقا الى يوم دخول اللورد  
 كتنشر أم درمان ظافرا حيث أصيب بان النقا بجروح ليفئة كانت من أقوى  
 الاسباب على نجاة الولد لانه لما انهزم التعايشي وركن الى الفرار اتقد الى بان  
 النقا يأمره باللاحاق به مستصجبا الولد فلم يستطيع مناداة فراشه بسبب الجراح  
 ولما دخل كثير من اخواني الضباط المصريين منزل بان النقا ورأوا  
 الولد فيه وضموه الحراس على المنزل فحفظ من عبث بعض الاعراب  
 الموالية للحكومة وهم الذين اعملوا التهب والسلب على أثر دخول الجنود المدينة  
 أماتأثير حبس ابني على فكان سيثا جدا حيث فقدت الرشد ولقد أخبرني  
 من كانوا حولي أنه لما فاجأني ذلك الخبر قطعت سبعتي وقلت وأنا ذاهل يا الله  
 رصيت يلائك في نفسي ولزمت طاعتك شاكرا على السراء والضراء فابتليتني  
 بحبس ابني لاركن الصلاة وسائر العبادات

ولما عدت الى صوابي واخبروني بما قلت أسرعرت بالتوبة والاستغفار وعدت  
 الى ما اتافيه من ملازمة الفكر والانقطاع الى الذكر ولم أعلم أن رحمة الله تعالى  
 ستدركني وابني الذي صابر حبسه سببا لصيانة من حبس عنده فالحمد لله  
 الذي انقذني وابني وجعل لنا بعد الضيق فرجا وبعد الخوف أمنا ونجاة

### التعايشي قبل حملة دنقلة

لما تمكن التعايشي من قهر أقارب المهدي وسجن مناضره الخليفة  
 شريفا كما تقدم اطلق لاقاربه البقارة العنان في البلاد يظلمون ونهبون  
 وعكف على شهوته وصار يركب العربية التي ذكرنا في اخبار فتوحات خط  
 الاستواء ان الطيب الذكر غردون باشا جلبها من القاهرة ليقدمها هدية الى

الملك « امتيسه » صاحب أوغنده وقتذ  
على ان هاته العربة لم تكن مقصورة على ركوبه بل كانت تسير في  
شوارع المدينة ليلا فيها الخصيان ليقبضوا على النساء البارعات في الجمال  
ويعضوا بهن الى دار التعاشي فيلبثن بها حتى اذا قضى وطره منهن أعادوهن  
الى بيوتهن وقد كانت بداية عملهم هذا اثر القبض على الخليفة شريف  
وسائر أقارب المهدي الذين تفوا وقتلوا في زمن تلك الحوادث المرعبة  
ولا فرق بين امرأة ذات بعل أو أيم أما ذات البعل فان الخصيان  
يفهمون بعلمها أن خليفة المهدي يريد اسماعها مواعظه التي يسمونها (المذاكرة)  
وأما التي لا بعل لها فليسوا في حاجة الا الى أخذها وادخالها العربة  
ومن اللواتي أخذن بهذه الصورة زهراء بنت محمد شقيق المهدي الذي  
تقدم انه قتل يوم الهجوم على الايض عاصمة كردفان وكانت تحت أحد  
أقاربها الذين تقاهم التعاشي الى خط الاستواء وكذلك فعل بنات حامد  
شقيق المهدي وقد مر أنه قتل في احدى وقائع جبال قدير  
وقد كان التعاشي متزوجا بأم كلثوم بنت المهدي وأولدها بضمة أولادهم  
طلقها لغير ذنب جنته غير انه أراد الاقتران باختها مريم لجمالها المفرط حيث  
تزوجها ودخل بها لمد وقوع الطلاق بيوم وليلة  
أما المظالم فقد تضاعفت وفس الناس من الخلاص بشوة داخلية  
حيث تمسكن الطاغية من القضاء على كل قوة يتوقع منها القيام للخلاص  
من ظلمه

وبالجملة فان حلقات المصائب قد استحكمت ولم يبق للناس صبر على  
الخطوب المتوالية والمصائب النازلة على رؤسهم حتى أنهم كانوا ينقطعون في

الخلوات يضرعون الى الله أن يخلصهم من هذا البلاء واذا سمعوا بشيء من أخبار الحملة ظهرت عليهم علامات الفرح والسرور وبذلوا الصدقات للفقراء والموزين شكرا لله تعالى وقد كان التعايشي أول من أنبأ بتقدم الحملة علي دنقلة قبل تقدمها ببضعة شهور وسيأتي ذكر ذلك

### جواسيس المهديّة

قلنا فيما مر ان أهالي مديرية الحدود كانوا يميلون الى دعوة المهديّة في بداية امرها وخصوصا (البرابرة) الذين يسكنون بين أسوان وحلفا وقد أشرنا الى العذاب المكين الذي أرهقهم به النور الجرفاوى في بربر اذ كانت مغبته تقورهم عن المهديّة وانحراف جلهم عن موالاتها وقبل ذلك كان جلهم يتقربون الى المهديّة بإبلاغها أخبار الحكومة بفلسو فاحش في اسناد العيوب اليها ونسبة الوهن الى حامياتها في الحدود وبقي كثير منهم على الولاء حتى قتل عبد الرحمن النجوى حيث كانوا يستمدون لمعاوته والانضواء الى لوائه بالرغم عن فظائع النور الجرفاوى التي عامل بها تجارهم لولا الحيلة التي اتخذها السير غراقتيل باشا سردار الجيش المصري وقتئذ ويقال ان الاسباب التي دعت هؤلاء الى التمسك بولاء المهديّة والانحراف عن الحكومة هي تحرير الارقاء وابطال النخاسة واذا ذلك أى في بداية دعوة المهديّة كان كبارا مديرية الحدود كما قلنا يرسلون أمراء المهديّة بالاخبار ويتطوعون لهم بالتجسس وفي كثير من الاحيان كانت أخبار سواكن وما يقع فيها من الحوادث تبلغ التعايشي قبل وصول زريد سواكن اليه فكانوا اذا حملها البرق من سواكن يتلقاها الرواد في

الحدود فيذهبون بها على ظهور الهجن الى بربر وقد اتهمت الحكومة كثيرين من هؤلاء الكبراء وحاكمتهم أمام المجالس العسكرية ولكنها لم تتمكن من قطع دابر جاسوسية التمايشى التي لم تعد بفائدة عليه

وفي الايام الاخيرة صار للمهدوية جواسيس بعضهم يتجسسون لليونس الديكيم أمير دنقلة وبعضهم للتمايشى وآخرون للزاكى أمير بربر وكان من أشهر جواسيس التمايشى رجل يدعى ولد الحسين وأصله سوداني وآخر يدعى أبا شعبان وهو مصرى من سكان مديرية الحدود وللأول منها نادرة مع سلاطين باشا وهي أنه وشى به الى التمايشى بأنه على أهبة القرار حتى خيف من التمايشى على سلاطين باشا الذى تمكن من استمالة القضاة الى جانبه حتى وشوا بولد الحسين الجاسوس عند التمايشى فحبسه وارتاب فى صدق ما رفعه اليه من الأنباء

أما أبو شعبان فكان التمايشى ذائقة عظيمة به وكان يتردد على الحدود المصرية ومع شهرته التى لا يحفلها جواسيس قلم المخابرات كان يمود دون أن يصيبه مكروه حتى ذهب بعض الناس الى أنه مأجور لقلم المخابرات ومتواطىء معه على ان لا يبلغ التمايشى خبرا الا بموافقة والحاصل انه كان للتمايشى جواسيس ولكنهم قلما يرفعون اليه ما يستفيد منه العلم بشيء قبل وقوعه

على ان جواسيسه رفعوا اليه قبل حملة دنقلة ببضعة شهور ان الحكومة مصممة على الزحف الى دنقلة واستدلوا على ذلك بأنها جمعت الملاحين الذين لهم خبرة بالشلالات الواقعة جنوب وادى حلقا ولما اتصل به هذا النبأ أمر بإخراج تجار المصريين من البلاد وضرب لهم موعداً يخرجون فيه ومن تخلف منهم

صودرت أمواله ونفى الى أعلى النيل  
هذا ما فعله حينما اتصل به الخبر وهو يدل علي ما مر من عدم حصول  
فائدة للتعايشي من هذا التجسس

ويقولون ان أغلب جواسيسه متفقون مع الحكومة عليه ومنها يتلقون  
ما يرفعونه اليه ولا ينافي ذلك ما قلناه من ابلاغهم اياه أمر الحملة قبل حركتها  
ببضعة شهور اذ يحتمل انهم موعز اليهم بهذا الامر ليرى الموعزون ما يكون  
من وراء ذلك

والخلاصة ان رواد التعايشي كان جلهم من أهالي مديرية الحدود وأخبارهم  
ملققة مبالغ فيها كقولهم للتعايشي ان حكومة مصر في رعب شديد وكلما طرق  
آذان رجالها ذكر كرك ارتبكوا وكذلك أهلها فانهم يصرعون خوفا وجبنا كلما  
سمعوا بذكر كرك فيتمایل طربا ويظن أن ما قالوه حق

علي انه يوجد في البلاد رواد ولكنهم قاصرون في ارتيادهم علي ضبط  
السكيرين وصناع البوظة والمدخين والذين يتاجرون بالدخان

وفي كثير من الاحوال يتناولون الرشاً منهم ويتركونهم ويلقون  
الدعوى الكاذبة علي من كانوا مظنة المال ليتوصل بيت المال الى مصادرة  
أموالهم بمجرد اتهامهم بوجود دخان أو بوظة في منازلهم وقد خطاب التعايشي  
يوما فقال ان القدر الذي يوجب مصادرة المال من الدخان هو ربع درهم  
ومن البوظة ربع رطل وربما دفع المتهمون الالوف من المال بنية النجاة  
من الضرب والتعذيب والاهانة ومصادرة المال

## ذكر جلب الممنوعات من مصر

ومن أنواع جواسيس التمايشى ناس يجلبون له «الممنوعات» من مصر  
وهى الذخائر الحربية التى منمت الحكومة ارسالها الى السودان ولذلك  
أطلقوا عليها اسم « الممنوعات »  
وقد تقدم ان التمايشى أنشأ معامل لتعبئة الخرطوش وغيره من ذخائر  
الحروب

وقد مر الكلام على الرصاص فى قصة الايقاع بالمقدم عمر الجلى  
وكذلك ما أتاه المسمى كمال الدين الهندي الذى أحرقت رفات قتلى الخرطوم  
ومثل باشلائهم أبشع تمثيل مدعيا أنه يستطيع اخراج صنف البارود من تلك  
المقام وقد ذكرنا فشل جميع هؤلاء الدجالين ماعدا اليونانى بردى قاجى فانه  
وفق لاستخراج صنف البارود ثم احترف هو وواعوانه لما اتعجرت عليهم  
آنية البارود

وقد كان نجاح هذا اليونانى متوقفا على ابتعاد شىء كثير من المقابير  
الكىماوية التى لا توجد فى السودان لاتمام تجهيز «عجينة الكبسون» (وملح  
البارود) وغيرهما من المواد القابلة للافتجار التى على محورها يدور عمل المعامل  
الحربية ولا سبيل الى ذلك الا بجلبها من القاهرة فاهتم التمايشى بهذا الامر  
واستقدم اليه النور الجريفاوى وكان يومئذ أميناً لبيت مال بربر وفأوضه فى ذلك  
الامر فأشار عليه بالاتفاق مع جماعة من تجار بربر وأم درمان للاستعانة بهم  
على التحايل على تهريب تلك «الممنوعات» وهؤلاء التجار هم (عمر كشه) وأصله  
من أهالى سواكن (وعلى محمود الضوى) وأصله مصري من مديرية الحدود

استوطن أبوه بربر (وعبدالرحمن منصور) من أهالي أم درمان وصهر النور  
 الجرباوى فصار هؤلاء التجار ينفذون أعوانهم الى مصر فيتعاون الممنوعات  
 ويحتالون على تهريبها بوضعها في أكياس الارز ومن العجيب ان الحكومة  
 لم توفق لاحباط أعمالهم حتى استمروا على ذلك عدة أعوام وجلبوا  
 مقادير عظيمة من الرصاص وغيره من العقاقير وتمكن أعوان على محمود  
 الضوى من استحضار ذخيرة من خرطوش مدفع « المترليوز » الانكليزي  
 الذى غنمته المهدوية من حملة الجنرال هيكس وكان التمايشى يؤدى لهم الأمان  
 مضاعفة ويتجاوز لهم عن مكوس سلمهم التى يصدرونها الى مصر أو يجلبونها  
 منها لتشيطا لهم فكانوا يجلبون هذه الاشياء دفعتين فى العام وفي بعض  
 المرات بلغ ما جلبوه مقدارا عظيما من الرصاص وارتقت همة على محمود  
 الضوى الى انه ابتاع نحو ألف وعاء من الاوعية التى يسونها شنته وضع فى  
 كل واحدة خمسين خرطوشة جلبها من مصوع وقال ان الحكومة لم  
 توفق الى معرفة حيلهم واحباط أعمالهم الا فى الايام الاخيرة  
 والحاصل ان هؤلاء التجار كانوا من أقوى الاسباب فى تقوية المهدوية  
 وامدادها بالذخيرة التى لولاها ما استطاعت محاربة الاحباش فى القلايات  
 والشلك فى فشوده وغيرهما من الحروب الاهلية التى شبت نيرانها فى دارفور  
 واكثر انحاء السودان وكان أبو شعبان الجاسوس الآنف الذكر بمن يجلبون  
 الممنوعات أيضا

ذكر غارقالدراويش على الواحات

لما افلح عثمان ازرق فى الفارة على (آبار المرات) وقتل صالح بك خليفة



كما مر وكان يونس الديكيم أميراً على دقلة وقثذ من قبل التمايشي وثمان  
ازرق قائد الدرأوش المسكرين في الجهات الشمالية بالقرب من ضواحي حلقا  
وكان عثمان هذا لا ينفك عن الغارة على الجهات الواقعة شمال حلقا طمعا  
في السلب والنهب وكان يونس الديكيم يرسل الكتب تباعا الى التمايشي  
منفعة بالثناء على عثمان ازرق واقدمه وما حازه من النصر المتتابع في  
وقائمه وسطواته التي أضر بنا صنعها عن جها ولم نذكر الا القليل منها اذ هي  
أشبه بما يجري من عصابات السطو واللصوصية

وفي أوائل سنة ١٣١١ هجرية كتب التمايشي الى يونس الديكيم كتابا  
يأمره باقتاذ عثمان ازرق في الف راكب علي ظهور الابل للغارة على الواحات  
وكان ذلك اجابة لالتماس يونس الذي كان يشعن كتبه الى التمايشي بذكر  
الواحات وما فيها من المال الذي سينتبه اذا أغار عليها فتحركت اطماع  
التمايشي وأمره بالغارة عليها وأوصاه أن يفاجئها تحت غلام الليل  
فسار الالف راكب يقودهم عثمان ازرق وبعد ان مضى عليهم بضع ليال في  
السير واقتربوا من الواحات أقصد عثمان الميون ليأتوه بالخبر فعضوا الليلة  
وعادوا في الفد وأبلغوه ان أعراب الواحات كثيرون جدا وأن أطنابهم  
متدانية من بعضا وعندم الاسلحة النارية وليس بينهم حامية للحكومة بل  
هناك ضابط للشرطة ومهندس لحفر الآبار فخاف عثمان ازرق مقبة محاربة  
أهل الواحات فعول على خديصتهم حيث زحف في مقاتلته حتى بات قريبا  
من احيائهم ثم تقدم اليهم في الفد بصفة سلمية وأفهمهم ان يونس الديكيم  
أمير دقلة نازل علي مسافة مرحلة من حيمم وانه قادم لفتح مصر عن طريق  
الواحات وانه جاء من قبله لبذل الامان لهم فانخدع الاعراب وراجت

عليهم حيلته ثم قال خمسة عشر عميدا من رؤساء القبائل وللمهندس اذهبوا  
معي لمقابلة الامير فامتطوا الحمر وذهبوا معه وهو يخدعهم بقوله هو نازل وراء  
هذه الربوة أو الغابة حتى مضى التهاركله وحينذاك ايقنوا بانهم خدعوا وان  
القصد من ذلك ايصالهم الى دقله التي بنوها بعد بضع ليال  
ولما وصلوا دقله استقبلهم يونس الدكيم وأطلق واحدا وعشرين  
مدفعا علامة الاتصار وكاتوا في حالة سيئة من شدة مانالهم من وعشاء السفر  
القبجائي ثم لم يلبثوا في دقله الا ليلة وبعض يوم ثم أرسلوا الى أم درمان  
تحت الحفظ

ولما مثلوا بين يدي التمايشى عاتبهم وألأن لهم القول قائلا نحن واياكم  
اعراب وكلنا نبغض الترك الكفار ونفصر منهم فلماذا لم تنضوا الى لواء  
المهدوية وتحاربوا الترك الكفار الذين نبذوا الشريعة وتمسكوا بالبدع  
وأصروا على الكفر

فأجابوه بقولهم نحن نتوب الى الله مما سلف ونحمد الله الذي قدر لنا  
اخلاص من ربقة الكفار ومن علينا برؤية وجه خليفة المهدي عليه  
السلام فأصرهم بمبايعة فبايعه ثم استدعى أحد التجار وأمرهم بالاقامة في  
داره وخصص لهم مرتبات من بيت المال فقام التاجر بكل لوازمهم بمجد  
وسخاء أما بيت المال فانه كان اذا تقدم مرتب شهر ماطلهم ثلاثة شهور  
وهذا التاجر اسمه (البلال الاسيده) وهو رجل سخي مشهور بالرأفة بالمصريين  
الاسرى وخصوصا المؤلف وقد مكثوا على هذا الحال زهاء عامين كانت  
حالتهم فيما تنتقل من سيء الى أسوأ

وفي ذات يوم استدعاهم التمايشى الى منزله بحضرة القضاة وأهل

الشورى وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أخبره بان  
سرايرهم قد ملئت بالاخلاص للمهدوية وانه عليه الصلاة والسلام امره ان  
يبيدكم الى اوطانهم دعاة للمهدوية وأمرأى على عشارهم ليصدعوا في الواحات  
بدعوة المهدية وبنواوؤون الحكومة المصرية فرقصت اقتلتهم طربا لما لاحت  
لهم بارقة النجاة ولكنهم بكوا واتعجبا وأظهرا كراهة ان يكونوا بيدين عن  
خليفة المهدي الذي كان يكثر الاحاس عليهم بوجوب الامثال لما اشار به الرسول  
صلى الله عليه وسلم وهم يتأسفون ويتعجبون وما زال بهم حتى تابوا  
الى الطاعة وكتب لهم صكوك الامارة وتلقوا التعليمات وتقدم بيت المال  
تفقات السفر وشدد عليهم في موافاته بالضرائب التي يجلبونها من أعمالهم  
فنادروا أم درمان وهم وجلون لا يصدقون بالنجاة حتى بلغوا الحدود المصرية  
وهناك مزقوا المرقعات ودفعوا للحكومة صكوك الامارة ومنشورات  
الدعوة واعلموها بما وقفوا عليه من ضعف المهدوية وانحراف الناس  
عن طاغيتها وكانت نجاتهم في الزمن القريب من حملة دنقلة

### دنقلة قبل الحملة عليها

انتهينا في الكلام عن دنقلة فيما مضى من الكتاب الى ذكر المجاعة التي فشت  
فيها سنة ١٣٠٦ والى ذكر عزل عبد الرحمن النجوى عن امارتها وولاية  
يونس بن الديكيم  
وهنا نلخص في الكلام على مدة يونس التي ابتدئت من ذلك العهد  
تبينا للمظالم التي دمرتها فتقول

لما تقش المجاعة في دنقلة وغادرها عبد الرحمن النجوى الى حيث لاقى حتفه  
 في (طوشكي) ضعف أمر الاحزاب التي كانت متشعبة له وهجر أهالي  
 دنقلة الشمالية أو طائهم فارين من وجه الظلم حيث لحقوا ببلاد مديرية الحدود  
 وكان يونس قد عزل كل الجباة الذين أصلهم من أهالي السودان الاوسط  
 أي الذين لم يكونوا من البقارة وعين نحو سبعين جايا من عبيده بدلهم  
 أما طريقة جباية الخراج فقد ذكرنا فيما مر من هذا الكتاب أن الضريبة  
 في دنقلة منذ دخول السودان تحت طاعة مصر كانت عقارية ولما كانت بلاد  
 دنقلة خصبة ومن حاصلاتها القمح والذرة واللوييا التي هي متعددة الاصناف  
 عدا التمر وريها بالآلات كالسواقي والشواذيف فقد اخترع يونس لجباية  
 ضريبة الحبوب طريقة سماها (التخريس) وهي ان الجابي يذهب الى المزرعة  
 ويقدر ان محصولها يبلغ كذا فيلزم الزارع بتأدية نصف التخريس الذي  
 لا يقل عن ثلثي المحصول ثم يلزم صاحب الزرع بتأدية ريال مجيدي عن كل  
 أردب من المطلوب تأديته وهذه الضريبة ليست ليث المال بل هي للجابي  
 ويسمونها (ضيافة العامل) وزد على ذلك أنهم كانوا يطلبون من كل زراعة تبلغ  
 مساحتها فدانين فأقل نحو عشرة ريالات قيمة ثمن الثبن اذا كان المحصول  
 قمحا وقيمة ثمن البوص اذا كان من الذرة أو الجذور اذا كان من اللويياء  
 وهناك ضريبة أخرى تجبي لغذاء الامير يونس الديكم وتتجدد كل  
 شهرين أو ثلاثة وهي ضريبة المسلي والاعنم وهي لا تقل عن عشرة ارطال  
 وخروفين عن كل مزرعة فيرسل السبعون جايا للامير ما يجتمع عندهم وأقل  
 ما يتحصل من ذلك عشرون قطارا من السمن ومائة راس من الاعنم  
 أما الضرائب التي لا تدخل تحت قيد فكثيرة منها ما سببه اعسار بيت المال

الذى يضرب بسببه على كل شخص قدر من المال يؤدي له وثقات البعوث  
والسرايا وهي أجل من أن تدخل تحت حصر

وإذا سافر جيش أو سرية من الدراويش من مكان لا خرفاتهم لا يحملون  
ميرة ولا عقلا لدوابهم بل ينهبون ويأكلون وينهبون قطعان الماشية في  
الطرقات ولا يستطيع أحد من الاهلين منهم أو الحيلولة بينهم وبين ما يريدون  
وعلى أثر ذلك استأثر يونس ومواليه بخيرات البلاد وانطلقت أيديهم

في أموال الناس ويات الاهلون تحت اقبال هذا الظلم يثنون  
وقد مدة موالي يونس أيديهم الى الاعراض واستحلوا نكاح الحرائر  
المسلمات بملك اليمين فكنت تجد عند الواحد منهم أكثر من أربع حرائر  
وكانوا يبعثون بالنساء الحسان الى التمايشي وأخيه يعقوب وابنه شيخ الدين  
وجميع كبراء القارة

ومكث يونس علي هذه الحالة ثلاث سنوات ثم عزله التمايشي وولى  
بدله محمد خالد زقل الذي كان أميرا علي دارفور وقد ذكرنا شيئا كثيرا  
من سيرته فشرع في تخفيف الوطأة عن الدنقلين لانه دنفلي منهم ولكن  
مدته لم تطل حيث عزل بعد سنة وسجن ثم نفى الي خط الاستواء

وقد أعيد يونس الى الولاية وعادت كل المظالم التي ابتدعها ومكث كذلك  
الى ما قبل الحملة عليها ببضعة شهور

ويونس هذا أصله من قبيلة (التمايشة) التي منها التمايشي وكان  
زوجا لام التمايشي وكان قصير القامة جدا وجسمه ضئيلا نحيفا  
وكان أميا لا يعرف الكتابة والقراءة يأتيه الناس فيقولون له انك شجاع  
وان الاسود في آجامها تفزع منك وان ملامح وجهك ترعب من ينظر اليها

وانه اذا ذكر اسلك في مصر ولوندره يموت الناس فزعا فينتفخ من هذا البناء الكاذب ويثقت لمن حوله من الرجال والمشيرين فيقول لهم أما سمعتم ما يقول هذا الرجل فيقولون سمعنا فيقول وهل صدق الرجل فيقولون على أقدامهم ويرفعون أصواتهم قائلين ياسيدنا الامير اطلب منا دليلاً على الشمس والى متى تنكر صفاتك التي لا يجهاها أحد وانت فوق الاسود شجاعة وعزيمة ويحلقون انهم في حالة وجل وروع شديدين من رؤية وجهه والدنومنه فيطير سروراً وأمر في الحال بضرب الطبول ودعوة المقاتلين للاستعراض ثم ينم بالمال على الرجل الذي اتى وعلي الذين ايدوا أقواله

هذامع انه جبان لم يذكر بمثقة في حرب وقد ظهر جبنه في سنة ١٣٠٣ لما أتهذه التماشي لقتال عساكر بن كلام زعيم قبيلة (الجمع) شرق كردفان لما خلع طاعة المهديّة وكان عساكر هذا فارساً مقداماً يشق صفوف الرجال ويرزح الإبطال وكان كلما حمل ليارز يونس يخنق منه ويقول لمن حوله اياكم ان تركوني ابارز هذا الشق ثم يتظاهر بأنه سيهجم عليه فيتملق الناس بدابته فيرجع قائلاً أما لو تركتوني لمبارزته لجندلته لكم علي الأرض بغير سلاح بل كنت اختطفه من قريوس سرجه واجلد به الأرض وكان هذا حاله طول الايام التي نشبت فيها الحرب بين الجمع حيث انتهت بقتل عساكر وعودة قومه الى الطاعة

أما قسوته وغلفاته فحدث عنها ولا حرج فانه كان اذا أمر بحبس واحد أمر خمسين من عبيده بالاحاطة به وضربه بالعصي والسياط حتى يبلغ السجن وهم يسون هذه المائدة (الفرقة) أى المسافة ما بين منزل الامير والسجن وهي لاتقل عن ميلين وقد لا يصل السجنون حيا بل يقضي عليه وهو في الطريق

ونقل لى أحد الثقة ان يونس أمر بسجن على بن الامين أحد صفار القواد وابن الشيخ محمد الامين رئيس علماء السودان الذى ذكرناه مرارا فى هذا الكتاب فاحدق به مائة وخمسون عبدا وأخذوا يضربونه (الفرقة) حتى بلغت به السجن مفشيا عليه ومكث يوما وليلة لا يبي شياً فيسوا من حياته وبعد أيام أمر بالنقل أيضا الى السجن لذنوب طفيف فاسرع الى الاقتراب منه ووقع على الارض واتكنا على بطنه وقال له يا سيدى الامير اتوسل اليك ان تأمر بضربى (الفرقة) أمامك ثم تحظر على الحراس أن يضربوني فى الطريق فضحك وقال أنت خائف من الفرقة فقال كيف لا أخاف فقال له أتتوب فقال تبت الى الله والرسول والمهدى وخليفة المهدى ومولاى يونس فقال قد عفوت عنك فانهض ولا تخف .

هذا قليل من كثير من أخبار يونس التى لا تسعها المجلدات الضخمة أوردناه للدلالة على ما كان يقاسيه الدتاليون من حيفه وسوء معاملته وقد هلك نحو ثلاثة أرباع السكان وأمست أراضيهم قفرا بلقما . وكانت وفودهم تشخص تباعا الى التعايشى متظلمة من جور عماله فلا تجد منهم الشكوى ولا ينفعهم انتظلم وكثيرا ما كان يسجن الشاكين ويكبل بالمتظلمين والخلاصة انهم انقطعوا عن الشكوى وصبروا على مر البلوى حتى أراد الله تعالى انقاذهم فحملت الحكومة على دفنلة وأجلت الدراويش عنها فخرجوا منها مذمومين مدحورين كما سيأتى ذكر ذلك فى مكانه والله الهادى الى سواء السبيل

### ذكر مسألة العقرب مع التعايشى

يوجد بام درمان الحشرات السامة بكثرة فوق التصور وخصوصا نوع

العقارب لانها كانت قبل اتخاذها عاصمة للمهدوية برية ليس فيها زرع ولا ضرع وأرضها مكسوة بالحجارة ويستحيل نجاة من لسعته عقرب الا اذا كانت صغيرة وكثيرا مارأيت عقربا يبلغ طول مابين رأسها وذيلها عشرين سنتمترا

وفي ذات يوم وقف التعايشي لصلاة المغرب فابصر بعد تكبيرة الاحرام وقرأ قائم الكتاب عقربا تدب نحوه فارتاع وصار يكرر قراءة فاتحة ويشير بيده الى من خلفه من المصلين فلم يفهموا قصده بل ظلوا وقوا في الصلاة ولكنهم ادركوا انه لم يكرر قراءة فاتحة الا لسبب قوى من الاسباب فقطع المدعو (الحاج الزبير) أحد حراسه الصلاة ولحقه في حالة الاضطراب والفرع الشديد من العقرب ووقف بازاؤه فاشار بيده الى العقرب فقتلها ثم ان التعايشي خرج من الصلاة بتسليمه وهو في خجل شديد من اعتقاد الناس جبنه الى هذا الحد فجلس مضطربا وقد بلل العرق جبينه وبعد ان تاب اليه رشده قليلا عزم على التخلص من ذلك بوضع اكذوبة في غاية الغرابة حيث جلس وألقى على الناس خطبة هذا نصها.

اعلموا يا أصحاب المهدي عليه السلام ان هاته العقرب لم تجسر على الدخول في هذه المقصورة الا لان ساعة انقضاء حياتي كانت وشيكة غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهدي والخضر عليهما السلام حضروا في هذه اللحظة واخبروني انهم سألوا الله عز وجل تأخير منيتي لان الامة في حاجة شديدة الى هذا التأخير وقد أمروني بقتل هذه العقرب . أما الدهشة التي ظهرت علاماتها على فائها نتيجة أسرار لا يمكن اخباركم بها كانوا يخبروني بها حتى ودعوني وانصرفوا فاشرفت اليكم فلم تقهوا اشارتي حتى ألهم الله الحاج الزبير فهمها فهو من الشهداء



الكبار ومن خيرة أصحاب المهدي جعلكم الله مثله ومكث نحو ساعتين يقرر هذه الخرافة ولم يصل المغرب الا في آخر الساعة الاولى من الليل

أما الحاج الزبير هذا فانه رجل كثير التملق والاحتيال وقد ذكرنا فيما مضى ان التمايشي كان يشاوره في بداية خلافته ويستمد منه الآراء ولكن مدته لم تطل حيث نكبه وصادر أمواله بعد خلافته بعامين لظهور خيائنه مع عمه عبد الله الطرifi الذي كان عاملا للمهدوية على القضايف وقد نكب عبد الله المذكور سائر أقاربه أيضا وجسوا وعذبوا ليظهروا خبايا أموالهم

وقد ذكرت ان عبد الله الطرifi هذا وشى بي عند التمايشي لما كان ينوي اتفادي مع دراويشه الى خط الاستواء وقد كافأته علي هذا حيث نصحت التمايشي أن لا يولى غير أقاربه البقارة ومكث الحاج الزبير مسجونا نحو عام ثم اطلق سراحه لكنه لم يعد الى منزلته الاولى

وكان اذا ناداه التمايشي يرفع صوته قائلا (ليك يا خليفة المهدي عليه السلام) ثم يظهر التنير في صوته والاضطراب في جسمه كأن هية خليفة المهدي ونور حياه هما اللذان نشأ عنهما ما اعتراه وقد مكث بعد اطلاقه من السجن محفوا من التمايشي الذي لم يعد الى منزلته الاولى الا بعد حادثة المغرب التي شرحناها في هذا الباب وأخيراً توفي حتفاته قبيل فتح أم درمان وكان أبوه عبد الرحيم الطرifi أميناً من قبل التمايشي على إحدى الورش الحربية التي تصنع بها الذخيرة والمعدات الحربية

وبالمجلة فان الحاج الزبير هذا هو الذي قوى عزم التعايشي علي البقاء  
بام درمان وثناه عما كان عازما عليه في بداية خلافته من ان يأخذ نصيبا  
من الاسلحة وينادر أم درمان ويؤسس دولته بفرب السودان

❦ انتهى الجزء الثاني من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ❦

« ويليه الجزء الثالث وأوله البدء بحملة دنقلة »

( كل نسخة من هذا الكتاب تكون مخطومة

بخط المؤلف الذي هو هذا )





٣٠ شارع شبط للسنة

جديد : القاهرة

- ١ - تأسست « جمعية الاخاء الحركية » سنة ١٩٣٢ بالقاهرة . وتفيد اسمها ضمن أسماء الجمعيات المعترف بها من الحكومة .
- ٢ - أغراضها : إيجاد رابطة تعارف وتعاون بين الأعضاء ، واتصال باخوانهم في الأقطار المختلفة ، للتعاون الاجتماعي والثقافي ، وللعمل على دوام حسن التفاهم بين أولئك الاخوان والامم التي يقيمون بينها .
- ٣ - قامت الجمعية وتقوم بالهرف على طلبة العلم في الأزهر الشريف ، وفي مختلف المدارس الحكومية والأهلية ، وفي وجوه البر والعناية بالمرضى والمحتاجين ، وبالصيانة في دارها .
- ٤ - أموال الجمعية تتكون من الاشتراكات والتبرعات والاعانات .
- ٥ - لا دخل للجمعية في السياسة .
- ٦ - لجنة الجمعية تقرر قبول الاعضاء ومن ترى أن من المصلحة انضمامه للجمعية .

# تاريخ القوقاز

هذا الكتاب هو الأول من نوعه باللغة العربية ، وهو مترجم من كتاب للمرحوم عزت باشا الهرمسي الأصل ، وقائد سلاح السوارى بالجيش التركى الحديث ، والذي أبلى بلاء عظيما فى حرب الاستقلال التركى مع الغازى مصطفى كمال باشا .

والكتاب مدعم بالمستندات التاريخية واللغوية ، وهو صاحب النظرية التاريخية القائلة بأن الحثيين القدماء هم أجداد الجراكسة ، حيث يدل على ذلك بالأدلة الأثرية والانتروبولوجية ، وهى النظرية التى افنت نظر المؤرخين ورجال الأنساب والآثار من علماء أوروبا .

وقد أراد أتانورك ، فيما بعد أن يجعل من وجود آثار للحثيين فى بعض جهات الأناضول سبباً لآخذ هذه النظرية وتطبيقها على تاريخ الأتراك .

والكتاب مجموعة تاريخية نفيسة عن بلاد القوقاز من عصورها الغابرة إلى هذه العصور الحديثة ، وعن سكناها ومن لا يزال يسكنها من الأمم ، وما لهم من عادات وتاريخ تليد .

وهكذا وثقت جمعية الأخاء الهرمسية ، فى نشر هذا الكتاب بين الناطقين بالاضاد ؟

يناير سنة ١٩٤١













